

فيلم رعب



الكتاب: فيلم رعب

المؤلف: محمود علي ماهر

الغلاف: حسن العربي

نسيق داخلي: عبدالعليم منا

الطبعة الأولى: ٢٠٢١

رقم الإيداع: ٤٨٠٠٤/٢٠٢١

الترقيم الدولي: ٩٧٨/٢٤٦٠/٤٢٩٠/٩٠٦/٤

المدير العام: مروة المصري

التليفون: 01100528522

لمراسلة الدار: darnebog@gmail.com

الآراء الواردة في هذا الكتاب تعبر عن وجهة نظر الكاتب ولا

تعبر بالضرورة عن وجهة نظر الدار.

جميع الحقوق محفوظة ©

نبوغ للنشر والتوزيع

فيلم رعب



رواية

محمود علي ماهر



دار نبوغ للنشر والتوزيع



إهداء

إلى من علمتني كيف أؤمن بنفسِي... إلى السيدة ليلى عبد الظاهر... أمي
إلى من وهبني كل ما يملك، ولم أهبه إلا القلق والعناء... إلى الدكتور علي ماهر...
أبي

محمود علي ماهر

"حليفة الشيطان!"

في ليلة شتاء باردة الطقس دافئة الأجواء والتفاصيل في منتصف شهر نوفمبر سنة ١٩٩٠، وفي صالة شقة لأسرة من الطبقة المتوسطة، تضيئها أنوار نجفة قديمة كانت أنيقة في يوم ما ومعظم مصابيحها "محرقة"، والتلفزيون "التلمصر" يتربع على عرش الصالة في ركنها الركين كأهم مكون فيها، تجلس السيدة "هبية المتوكل" على الأريكة ذات الكسوة البيج "اللميع" التي تتوسط حائط الصالة الغربي، وهي سيدة في نهاية العقد الرابع من عمرها، تشغل منصب مدير عام بإدارة رعاية الشباب جامعة القاهرة، وجهها ممتلئ مطعم بالحمرة والنضارة والشيب الخجول، ونظارة النظر السميقة تأبى أن تستقر على أنفها الدقيق، فتتزلق كل بضعة دقائق تدريجياً إلى "أرنبه" أنفها، لتجعله أكثر صغراً ودقة مما هو، وتصيح في ولديها "وليد" ١٧ عام و"مي" ١٣ عام في نفاذ صبر مما بدا أنه نقاش جدلي نالت كفايتها منه

- الساعة دلوقتي ١١، مستحيل نشغل أفلام فيديو دلوقتي وانتوا عندكم مدارس الصبح، كان عندكم الخميس إمبراح ماشفتوش الفيلم الي أجرتوه ليه؟! فيقول "وليد" متوسلاً مستجدياً

- والنبى يا ماما وافقي! والله إمبراح أنا رجعت من التمرين تعبان وهلكان ونمت من الساعة ١٠، وكمان رجعت لقيت "مي" نامت فعلاً، و"محمد" كان سهران برة

مع أصحابه، وانتي وبابا كنتوا قاعدين بتتفرجوا على فيلم في القناة الأولى، يبقى كنت هاشوفه إزاي بقى؟! وكان ده فيلم رعب من الي انتي بتحبيهم وتبدو الجملة الأخيرة وكأنها دغدت أهواءها وأغررتها، فتسأله السيدة "بهية" وقد سقطت معظم دفاعاتها وتخلت عن جزء كبير من حزمها وعزمها

- فيلم رعب! بجد يا "ليدو"! اسمه إيه؟

فتعاجلها ابنتها "مي" التي تعد نسخة طبق الأصل منها أو كاستنساخ قبل اختراع الاستنساخ، وتقول متحمسة تداعب ضعفها وعشقها القديم لأفلام الرعب

- اسمه "حليقة الشيطان" يا ماما، عمو "طارق" بتاع "دينا فيديو فيلم" إمبارح طلعهولي مخصوص من المخزن عشان بيقول إن الرقابة منعتة

فتقول الأم مرتابة بعد أن برقت عيناها تشوقاً

- الله! اسمه حلو أوي، بس الرقابة منعتة ليه يا "مي"؟ أكيد فيه مشاهد قلة أدب

فتقول "مي" مأكرة ومستغلة إعجاب أمها مبدئياً باسم الفيلم

- ما هو ده السؤال الي سألتهوله يا ماما، قتلته "إوعى يا عمو "طارق" يكون فيه مشاهد قلة أدب لاحسن ماما تطين عيشتي"، قام اتلفت حواليه ووطى عليها وقالي وهو بيهمس "أقولك سر يا "مي" وما تقولي هوش لحد؟"، قمت قتلته "أكيد يا عمو "طارق"، ده إحنا أصحاب من أيام لما كنت في حضانة، لما كنت بتدي بابا أفلام

"توم آند جيرى" عشاني ببلاش" قام ضحك وقلالي "طبعاً يا "مي"، ده انتي حببتي بالضبط زي "ريهام" بنتي، بصي بقى يا ستي! الفيلم الأجنبي بعد ما بيعجي مصر، بيعرضوه على إدارة الرقابة على المصنفات الفنية عشان تشوف فيه أي مشاهد قلة أدب أو عنف، ولو قليلة يقطعوها ويوافقوا عالفيلم، ولو كثيرة بيرفضوا الفيلم نهائياً ويمنعوا عرضه في السينما أو نزوله في أسواق الفيديو، الفيلم ده بقى وهما بيعرضوه على لجنة مختصة من الرقابة، حصلت حاجة غريبة جداً"

فتسألها الأم والتشوق والترقب يقتلونها

- حاجة غريبة زي إيه؟

فتجيبها "مي" بأسلوب حكيها الرائع المحكم

- ما هو ده السؤال اللي سألتهوله يا ماما، قام عمو "طارق" رد وقلالي "أول مرة عرضوا الفيلم على لجنة الرقابة واحد من اللجنة دي جاتله نوبة تشنجات وعينه قلبت لورا وقعد يطلع أصوات غريبة، قاموا وقفوا عرض الفيلم ونقلوا الراجل على المستشفى، وتاني مرة عرضوه على لجنة تانية خالص غير اللجنة الأولانية جهاز العرض اتحرق وولع في صالة العرض كلها، وأعضاء لجنة الرقابة اتجسوا فيها وكانوا يا هايموتوا محروقين يا مخنوقين! وتالت مرة عرضوه فيها..."

فيقاطعها "وليد" ساخراً متصنعاً التماسك والشجاعة وملاحه تفضحه بالخوف والتفاعل مع القصة

- هو لسة فيه مرة تالته؟!

فتتجاهله "مي" وتمضي في حكيها بحرفية وتشويق بارعين

- "وتالت مرة عرضوه فيها، رئيس لجنة الرقابة نفسه مراته كانت حامل في الشهر السابع، جالها المخاض بدري في الشهر السابع ودخلت المستشفى وفقدت الجنين للأسف"

فتضرب الأم صدرها بخفة بحركة لإرادية وتقول منزعة متشائمة

- يا ساتر يا رب! بجد يا "مي"؟!

فتقول "مي" بابتسامة ظافرة مأكرة إذ نجحت كعادتها في التأثير على مستمعي حكاياتها بمؤثراتها الخاصة الفريدة وأسلوبها السريدي المخيف المحكم

- والله يا ماما زي ما عم "طارق" حكالي، وطبعاً أعضاء اللجنة بعد كل المصايب دي ما حصلت لكل واحد فيهم، اتشائموا من الفيلم وقرروا منع عرضه في السينمات ونوادي الفيديو،

فتسألها الأم فضولية

- طب وجاب نسخة الفيلم دي منين إذا كانت الرقابة منعت عرضه؟

- الله ينور عليكي! لما سألته جاب النسخة اللي معاه منين، قالي برضة وهو بيهمس إن فيه واحد قريبه شغال في الرقابة ويسرّبله أفلام الرعب الي الرقابة بتمنع

عرضها، وقال لي إنه مش ملاحق على طلبات أعضاء نادي الفيديو بتاعه عليها، وإنه ساعات بيأجر الفيلم الواحد فيهم مرتين وتلاتة في اليوم الواحد من كتر الطلب والضغط عليها، وإنه مادانيش الفيلم ده إلا عشان أنا زي بنته وعشان أنا "كيفة أفلام رعب" زيه، والله يا ماما قعدت أتخايل عليه أد كدة ما رضي ياخذ مني ولا مليم، مع إنه بيأجر الفيلم في المرة بـ ٢ و ٣ جنيه كمان، بس حلفني إني ماقولش الكلام ده لأي حد حتى في البيت، لاحسن الكلام يتنطور ويحبله مشاكل مع المصنفات، وأديني باقوله أهوه!

وتضحك ضحكة عابثة من فمها الجميل على وجه يتراوح بين السمرة و"القمحية"، وتتألق عيناها السينمائيتان المليئتان بالتعبير والمشاعر باختلاف أنواعها، لا عجب أن أمها تحبها حتى الموت، وبالطبع تتفاعل أمها مع هذه القصص الشيقة المثيرة في ليلة جمعة منزلية دافئة، فتقول متحمسة موجهة كلامها لولديها "وليد" و"مي"

- أقوم أعملكم بيض إسكتلندي؟ أنا عندي شوية لحمة مفرومة في التلاجة باقين من الغدا، إنتوا الاتنين ماعتشوش كويس، وأهوه بالمرة نلاقي حاجة ننأ فيها وإحنا بتتفرج عالفيلم

فيقول "وليد" متهكماً

- سبحان الله! مش كان الوقت متأخر ولازم ننام عشان عندنا مدارس بكرة بدري،
واللا حكاوي الست "مي" حبيبتك اديتك جرعة نشاط وحيوية فجائية!

فتهز السيدة "بهية" رأسها بالإيجاب كطفلة شقية وتقول عابثة

- انت عارف إن "مي" وارثة حب أفلام الرعب مني، وكمان انتوا كدة كدة بتيجوا
من المدرسة تتغدوا وتناموا الضهر، وعمركم ما نمتوا قبل الساعة ١ بالليل، حتى
في عز أيام الدراسة، هاه! أقوم أعملكم شوية سندويتشات عالماشي نتسلى بيهم قدام
الفيلم؟ وكمان أنا أصلاً ماتعشيتش

فيوميء الأخوان برأسيهما بالإيجاب متفاعلين مرححين بالفكرة بدورهما، وتنتشر-
أجواء دافئة حميمية شديدة الخصوصية والروعة في أرجاء المنزل مع رائحة القلي
والشوي والتحمير مع اقتراب منتصف الليل، هكذا كان منزل الدكتور "محمد علي
الشجيع"، رب الأسرة وأستاذ الأدب الروماني بجامعة القاهرة، نموذج حي
حقيقي للدفع والمودة والتواصل في حقبة امتلأت معظم البيوت فيها بتلك القيم.

اجتمعت الأسرة أمام الفيلم وفي يد كل منهم شطيرته "سندويشه"، وقامت "مي"
وأطفأت الأنوار، ليقول لها "وليد" منزعجاً وكأنه قد مسه الخوف

- يوووه! انتي مش هاتبطلتي العادة الزفت بتاعة طفني النور كل ما نيجي نشغل فيلم رعب!

فتقول "مي" متحفزة دفاعية

- وانت مش هاتبطل تخاف من الضلمة وانت في تانية ثانوية!

فيقول "وليد" لأمه مستجدياً وكأن الظلام يسبب له مشكلة حقيقية

- يا ماما قوليلها تفتح النور، أنا عينيّا بتتعب لما بتفرج على التلفزيون والدنيا ضلمة، وكمّا بيقولوا الموضوع ده مضر للعين

فتقول السيد "بهية" ساخرة بدورها

- بلاش استهبال يا "وليد"! بلا مضر بلا بتاع، انت اللي لسة بتخاف من الضلمة

ويهم "وليد" بأن يهب مدافعاً عن نفسه، حتى تقاطعه "مي" حازمة

- بس بس! الإعلانات خلصت والفيلم بدأ، وكمّا الأغلبية حكمت يا كابتن، أنا وماما مابنحبش نشوف أفلام الرعب إلا والدنيا ضلمة

ويستسلم "وليد" معدوم الحيلة، لكن كل ما فيه يفضحه بأنه منزعج أيّا انزعاج، بل وخائف حتى كمّا الأطفال، وتبدأ مقدمة الفيلم بموسيقى قوطية مخيفة مريبة بالطبع، وبعدها مباشرة في المشهد الأول من الفيلم فتاة مراهقة في سن "وليد" تقريباً، تقف أمام مرآة حمام غرفة نومها، لتجد شيئاً ما يتحرك تحت خدها، وكأنه

قلب ينبض، وبالطبع تقترب من المرأة لتبين حقيقة هذا الشيء، وكلما اقتربت من المرأة مع اقتراب زاوية التصوير، كلما ازدادت قوة وسرعة نبض هذا الشيء الغريب المجهول تحت وجنتها، وبالطبع يصحب ذلك موسيقى تصويرية مرعبة حقاً، تجعل اللقمة تتحجر في فم "وليد"، على العكس تماماً من أمه وأخته، اللتين تأكلان بغير وعي وعيونها تتألق بنشوة الاستمتاع بمشهد الرعب المتقن، وكلما اقتربت الفتاة في المشهد من المرأة، كلما ارتفع صوت الموسيقى التصويرية وتسارع وتعالى إيقاعها، كلما استحال الخوف في عيني "وليد" إلى فزع أو هلع أيهما أقرب، كلما ازدادت نشوة التفاعل والاستمتاع في عيني حليفتي الشيطان الحقيقيتين، ألا وهما الأم وابنتها، ويتسارع خفقان الجسم المجهول تحت وجنة الفتاة، ويتسارع خفقان قلب "وليد" معه وفزعه وجزعه، حتى فجأة! ينفجر في وجهها مخرجاً مادة لزجة خضراء كمعظم أفلام الرعب في تلك الحقبة الرائعة، حيث كانت كل الإفرازات التي تخرج من الشياطين أو الممسوسين بالشياطين أو الوحوش أو المسوخ أو حتى الأشباح، إما خضراء أو زرقاء وبالطبع لزجة، ويبدأ وجه الفتاة في الفيلم في التحول لشيء أو كيان ما مخيف ومرعب بالطبع، فهي "حليفة الشيطان" في النهاية كما يشير اسم الفيلم! ومع تحول وجهها لهذا الكيان الشيطاني المرعب يهب "وليد" من جلسته على أرضية الصالة كعادته عند مشاهدة الأفلام، ويقول جزعاً وقد فاض به الكيل بلا صياح ولا صراخ

- لا مش قادر! أنا مابحبش أفلام الرعب ومافاش أعصاب ليها، الله يسامحك يا ماما إنتي اللي نزلتيها تأجر فيلم وإنتي عارفة إنها مابتأجرش إلا أفلام رعب فتقول "مي" مأكرة متصنعة دور الضحية

- أعملك إيه! ما انت اللي كنت في التمرين بتاعك، ومن إمتى يعني مابحبش أفلام الرعب؟! ده انت اللي علمتني أحبها وكنت بتأخذني معاك دايماً نوادي الفيديو لما تسمع إن فيه فيلم رعب جديد نزل، وتقعّد تفرجني على علب الشرايط وكفريات الأفلام وتعلمني منها إزاي أميز فيلم الرعب التعبان من الفيلم الجامد، إيه اللي جراك يا "وليد"؟!

فيشرد "وليد" آسفاً وكأنها تذكر أمراً أو حدثاً تغير له وجهه وتجهمت له ملامحه، هو ذات الشيء الذي حوله من هاوه عاشق لأفلام الرعب إلى جزع مرتاب منها، ثم يقول وأقد أعياء القلق والارتباك

- عالعموم أنا كدة كدة تعبان وعاوز أنام، استمتعوا انتوا بالفيلم وأنا هاخش أنام وتنظر إليه السيدة "بهية" مشفقة وهي تعلم يقيناً أن ما يدور بخلده أكبر بكثير من أفلام الرعب، وأشد وطأة على نفسه بمراحل من مشهد الرعب السينمائي المبتذل ذاك، وأنه فعلاً كما تقول "مي" ما خاف يوماً ما فيلم رعب منذ كان طفلاً، فتقول وهي تستجديه وتسترضيه

- إيش حال ما كنتش انت الي قعدت تتحاييل عليا ساعة عشان أخليكم تشوفوا الفيلم، اقعد يا "وليد" بلاش بواخة، ولو عاوز تنام نام على الكنبه في وسطنا لحد ما الفيلم يخلص، واتي يا بلوه يا الي اسمك "مي" اتي، أنا إن عنت أخليكي تنزلي لوحدك تاني تأجريلنا أفلام!

فتقول الماكرة اللطيفة "مي" متصنعة دور الضحية مجدداً

- يا ماما وأنا مالي بقى! كتي عاوزاني يعني أجيب فيلم لـ "جاكي شان" واللا "بروس لي"؟!

فتضحك السيدة "بهية" لمكر هذه الصغيرة وتقول وقد فقدت جزءاً من لهفتها وحماستها لمشاهدة الفيلم، ما أن رأت ردة فعل "وليد" الجزعة المبالغ فيها تجاهه، وكأنها تعلم أن ما يعترك في عقله وروحه أكبر بكثير من مشهد الرعب ذاك، وأنه إرث قديم من الخوف، تقول نافذة الصبر

- طب شغلي الفيلم بقى في ليلتك دي وخلينا نخلص!

فتسرع "مي" وتستأنف عرض الفيلم متلهفة قبل أن تغير الأم رأس السلطة والقرار رأيها، وتجلس أمامه مشدودة مشدوهة مبهورة كعادتها أمام أي فيلم رعب، مبتذلاً كان أو جيداً، لكن لا أحد سواها على هذا الحال من الشغف والاستمتاع بالفيلم، فـ "وليد" يلوك شطيرته شارداً لا يزال، ويقلب كل قزمة يقضمها في فمه طويلاً وكأنها لا يميز حتى ما يأكل، كما الأنعام تلوك الأعلاف لا تميز لها طعماً،

وترسم على عينيه نظرة شاردة غريبة، من يراها يدرك في الحال أنه جزع من واقعة أو حدث ما، أبعد ما يكون عن الفيلم، ربما موقف أو حدث ما قديم ذكره الفيلم به، حدث مخيف أو ربما حتى مفزع، حدث تنخلع له القلوب وتشرد له الأذهان ويعتزل النوم الأجفال، حدث مهيب، حدث خطير... حديث حقيقي! كل هذا كان غريباً، لكن الأغرب كان نظرات التعاطف معه والإشفاق عليه من السيدة "بهية" أمه، وكأنها تعرف هذا الحدث أو تلك الواقعة تحديداً، وتدرك تأثيرها المباشر على نفس ولدها "وليد" وعقله كلما تذكره، لكن شيئاً فشيء يستفيق "وليد" من شروده وتشتته ويعود لمتابعة أحداث الفيلم، وشيئاً فشيء يندمج معه ويتفاعل مع أحداثه، وإذ تراه العابثة "مي" كذلك تبتسم فرحة بذلك، وتقفز من جلستها على الأرض لتجلس في كنفه حيث يستند على الأريكة بظهره، وبالطبع ما أن ترى الأم ذلك المشهد، وأن "وليد" قد تجاوز أزمته النفسية العارضة، تبتسم راضية وتنفس الصعداء إذ ترى قرني عينيها سعيدين منسجمين متحابين، ومستمتعين بصحبة بعضهما مطمئنين في كنف أمهما في ليلة شتاء دافئة عائلية بامتياز.

يهب "وليد" من نومه مفزوعاً متعرقاً، وقلبه شديد الخفقان، ومن يراه لأول وهلة يدرك في الحال أنه شهد كابوساً ما في منامه، فعيناه جاحظتان تتقلبان في الغرفة

وكأنها يناضل لاستعادة كامل وعيه وإدراكه للاستيقاظ كلياً من هذا الكابوس، وأنفاسه متسارعة ووجهه شديد الشحوب، وهو يتمتم بشكل هستيري متكرر حتى لا يكاد المستمع يتبين ما يقول

- أعوذ بالله... أعوذ بالله من الشيطان الرجيم

وسبحان من فطرهن على ذلك، تفتح أمه السيدة "بهية" باب الغرفة وكأنها علمت أن ابنها قام مفزوعاً من نومه بكابوس فظيع، وتقترب منه وتجلس على طرف فراشه وتسأله قلقة مشفقة

- الكابوس إياه برضة؟!

فيهز رأسه بالإيجاب مغلوباً على أمره بدون أن ينطق بكلمة واحدة، فتهز رأسها في حسرة بملامح شديدة الإشفاق والتعاطف وكأنها هي من يصيبها هذا الكابوس، وإذا يرى إشفاقها وألمها يسألها "وليد" مشفقاً بدوره

- إنتي إيه الي صحاكي دلوقتي يا حبيبتى؟ هي الساعة كام دلوقتي؟

فتقول وعيناها تتدفقان بالحب والأومة

- أنا مانمتش يا حبيبي من بعد ما خلصنا الفيلم، ما انت عارف لما باسهر باقعد أقرأ قرآن وأقيم الليل لحد الفجر، والساعة دلوقتي يا سيدي ٥ إلا ١٠، الفجر لسة مدن من ٥ دقائق أهوه

فيصمت "وليد" ويشرد مجدداً، وتشفق هي مجدداً لشروده وشتاته، فتسأله مهمومة
منشغلة

- طب إسمعني يعني شفت الكابوس ده تاني النهاردة؟! ده انت بقالك بييجي سنة
أهوه ماشفتوش!

فيهز "وليد" رأسه متحيراً مشتتاً لا يجد إجابة على سؤالها، ثم يبرق بصره وكأنه تنبه
لأمر ويقول

- يمكن عشان الفيلم الرعب؟

فتقول أمه مستنكرة

- ماله الفيلم الرعب؟ مش معقولة الفيلم خوفك يا "وليد"! على رأي "مي" انت
كنت أكثر واحد بيعب أفلام الرعب وما بيأجرش غيرها، وانت اللي علمتها تحبها،
إيه اللي جد يعني؟!

فيقول "وليد" وقد ازداد تشتتاً وحيرة

- مش عارف يا ماما إيه اللي جد، مؤخراً بقيت مابستحملش أفلام الرعب
خالص، الغريبة إني ماباخافش منها نفسها ولا من موضوعها ولا مناظرها، الغريبة
إني باحس إني أعصابي تعبانة وما بقيتش أستحمل أي خضة فيها، ولا الترقب اللي
قبل الخضة، مش عارف ليه، وحتى شكل الأشباح واللا الشياطين واللا الزومبي،

كل ده برضة بقى بيتعيلي أعصابي، مش بيخوفني، بس الي أغرب من ده كله، إني لازم أشوف الكابوس إياه بعد أي فيلم رعب باشوفه، مش عارف إيه ارتباط الاتنين ببعض!

وتصمت أمه متحيرة مشوشة بدورها تتفكر فيما سمعت، ثم تسأله مرتبكة

- طب معلش يا حبيبي أنا عارفة إن الموضوع ده ثقيل على قلبك، وعارفة إنك حكيتلي الكابوس ده بيجي ١٠ مرات قبل كدة، بس إحكيهولي مرة كمان عشان خاطري، بتشوف فيه إيه بالضبط؟

ويتجههم وجه "وليد" في الحال ويشحب بعض الشيء، ليس تجهم حزن، بل تجهم خوف، وبرغم ما فيه يبدأ الحكيم متحمساً لفكرة أن تشاركه أمه ما يعترك في قلبه وعقله

- فاكدة يا ماما لما كنا في المصيف في "بورسعيد" عند طنط "خديجة" تقريباً من ٦ سنين، يعني في صيف ١٩٨٤ تقريباً، فاكدة الكباين الشرقية الي كانوا قافلينها، وكانوا مطلعين إشاعة إنها مهجورة عشان فيه كذا عيلة اختفت أو غرقت مش فاكدة في الكباين دي بشكل غريب في كذا سنة ورا بعض، فاكدة يا ماما الموضوع ده؟

فتضحك السيدة "هبة" على وجلها في محاولة لكسر الأجواء المقبضة وتقول متصنعة السخرية

- انت لسة فاكريا "وليد"! دول كانوا قافلين الكباين الشرقية دي عشان إدارة المصيف ماكانش عندهم ميزانية يجددوها، وكنت أنا وأبوك بناخدك وانت لسة عيل عندك سنة أو سنتين ونحجز فيها، وكان حالها عدم وكانت مليانة فيران والرطوبة بتاعة البحر واكله الحيطان ومواسير المية وحتى كابلات الكهرباء، وكان النور يقطع فيها بالأيام، وسنة ورا سنة كانت شكاوي المصيفين بتزيد، لحد ما الكلام ابتدا يكثر إن فيها عفاريت، وإن بيظهر فيها حاجات بالليل، وناس بتمشي على البحر قدامها، وطبعاً إدارة المصيف عجبها الكلام ده جداً وخدمها خدمة العمر، فقرروا يقفول الكباين الشرقية دي تقريباً في صيف ١٩٨٢، ومن ساعتها لا جددوها ولا فتحوها، بس انت بتسأل ليه على الموضوع ده وإيه اللي فكرك بيه؟!

فيرد "وليد" مرتاباً وقد ازداد وجهه تَجْهَماً بالخوف

- في صيف ١٩٨٤ كنت بالعب مع الواد "محمد" ابن طنط "خديجة"، وشوية عيال من سني اتعرفت عليهم سنتها في المصيف، ما انتي عارفة كل سنة في المصيف كان باتعرف على شلة عيال شكل، المهم كنا بنلعب قدام الكباين الشرقية، مع إن إدارة المصيف كانت كاتبة يافطة كبيرة مكتوب عليها على ما أتذكر "ممنوع لعب الأطفال أو تواجدهم بأي شكل من الأشكال في منطقة الكباين الشرقية، سواءً في مباني الكباين أو على الشاطئء المواجه لها، نظراً لوجود كابلات كهرباء مكشوفة"، ومش فاكركنا بنلعب استغماية واللا "ثبت" واللا أنني لعبة بالضبط، بس المهم إنها كانت لعبة من الألعاب اللي العيال بيستخبوا فيها، المهم الواد "محمد" قعد يلح عليا نروح

نستخبي في الكباين الشرقية عشان العيال مايلاقوناش أبداً، وقعدت أقوله بلاش يا "محمد" عشان لو حد مسكنا فيها هابطينوا عشتينا وكمان بيقولوا إنها مسكونة، قالي إن كل الكلام ده إشاعات وإنه ياما دخلها ولعب فيها مع اصحابه ولا حد عمله حاجة ولا حد شافه حتى، المهم عرف يقنعني ودخلنا أول مبنى لقيناه في وشنا، وطلعنا استخينا في الدور الأول، وقالي لازم كل واحد فينا يستخبي في مكان لوحده عشان العيال مايلاقوناش أبداً، المهم هو راح استخبي في أوضة الزبالة، وطبعاً كانت فاضية عشان الكباين فاضية، وأنا فضلت مستخبي جنب السلم عشان أشوف لو أي حد جه من العيال أو حتى من الإدارة

فتقاطعه أمه مستغربة بلهجة لائمة

- بس انت عمرك ما حكيالي القصة دي قبل كدة! كل مرة كنت بتحكيالي الكابوس من غير ما تحكيالي القصة دي، وإيه علاقة القصة دي بالكابوس أصلاً؟

فيقول "وليد" ساخراً بلهجة وملامح تملؤها المرارة

- كنت باخاف أحكيها لك زمان وأنا عيل تلوميني أو تهزقيني، أو تقولي لبابا يهزقني هو كمان، لكن دلوقتي الواحد كبر وداخل على ثانوية عامة أهوه، وخلاص بقيتي انتي وبابا أصحابي، لكن السبب الأهم والحقيقي إني كنت خايف ماتصدقونيش وتقولوا إني عيال فشار، فأثرت السلامة زي ما بيقولوا

فتسأله أمه فضولية شديدة الاهتمام

- طب وإيه الي حصل بعد ما استخيت انت و"محمد" في الكبائن الشرفية؟ حد من الإدارة لقاكم وقفشكم؟ واللا العيال هما الي لقوكم؟

ويهز "وليد" رأسه بالنفي متحسراً وهو يقول

- يا ريت!

فتقول أمه منز عجة

- يا ريت! آمال إيه الي حصل؟

فيقول "وليد" وقد امتلأت ملامحه وصوته بالجزع

- مرت حوالي ربع ساعة وأنا مستخبي في ركن جنب السلم وقلبي هايقف من الخوف، وما فيش أي نور داخل الكبائن إلا نور ضعيف جداً جاي من عواميد النور بتاعة المصيف على بعد أكثر من ١٠٠ متر، وما فيش صوت غير صوت موج البحر والريح، والله العظيم يا ماما زي أفلام الرعب بالضبط!

ويقاطع أمه المشدودة لحكيه بكل ما فيها، إذ تضحك رغماً عنها، ويضحك معها على مضض ويمضي في حكيه بصوت مرتعش

- المهم ناديت على الواد "محمد" كذا مرة بصوت واطي عشان ما حدش يسمع، ماردش عليا، قلت مابدهاش بقى قمت ناديت عليه بصوت عالي برضة ماردش عليا، قلقت عليه طبعاً، وقلت أما أشوف الواد ده راح فين واللا جراه إيه ليكون

حد مسكه من الإدارة، المهم ربنا إدا في الشجاعة بمعجزة وخرجت من المكان الي كنت مستخبي فيه، ورحت لحد أوضة الزبالة ووقفت قدامها وقعدت أنادي وأنا صوتي مش طالع من الخوف، برضة ماردرش، قمت منور بالساعة الي بابا جابهالي من "كندا" من بعيد مالقيتش حد أصلاً في الأوضة، طبعاً مافكرتش ثانيته وقلت إنه أكيد مقلب عامله فيا الواد "محمد" وأصحابه، وخدت بعضي- ولسة هاجري وأهرب بعمري من المكان الرهيب ده، اتخايلت براجل واقف في آخر الطريقة بتاعة الكباين على بعد حوالي ٥٠ متر، أو بمعنى أدق راجل مش باين منه غير ضل، ضل بس! مش منه باين أي حاجة ثانية، لا شكله ولا لبسه ولا أي حاجة

فتسأله أمه وقد استبد بها التشوق

- وعملت إيه لما شفته؟ وطلع مين الراجل ده؟

فيجيب "وليد" مندجاً في حكيه

- أنا قلت أكيد الراجل ده من أمن المصيف وسمع صوتي وأنا بانادي على "محمد" وجاي يروقنا أنا و"محمد"، قمت قتلته بصوت عالي وأنا حاطط رجلي على أول درجة في السلم عشان أجري علطول لو اتحرك ناحيتي "أنا آسف يا عمو، ماعنتش هاجي هنا تاني"، ولسة هاجري مالقيتش الراجل ده اتحرك من مكانه مللي واحد

ولا كأني قتلته حاجة، قلت يمكن ماسمعش، قمت كررت نفس الجملة تاني، برضة
ماتحرکش ولا مللي واحد وفضل واقف مكانه ثابت زي الصنم

وينظر "وليد" لأمه ليجدها قد فتحت فيها تعجباً ودهشة بمسحة من الفزع في
ملاحظها، وتقول وهي مشتتة مرتبكة

- انت بتكلم جديا "وليد"؟!

فيقول جازماً وهو ينظر في عينها متحدياً

- قومي بصي على وشك في المراية وانتي تعرفي أنا عمري ماحكيتلك الحكاية دي
وأنا صغير، عشان كنتي هاتهربي من شعورك بالفزع الي مالي كل حنة في وشك
دلوقتي بإنك تتهميني بإني فشار أو باكدب عشان أهرب من العقاب، القصة الي أنا
باحكيها لك دي يا ماما ماحدش يعرف يالفها، لو مش حقيقية عمرها ما كانت
هاتعمل فيكي كدة، وانتي عارفاني كويس، عمري ما عرفت أولف حكايات حتى
وأنا عامل مصايب، الحقيقة طول عمرها أسهل بالنسبة لي

فتهز رأسها مسلمة مستسلمة وتقول مدعنة

- أكيد يا حبيبي، أنا عمري ما أكذبك في حاجة زي دي، طب وإيه الي حصل بعد
كدة؟

فيمضي "وليد" بوجه يزداد انقباضاً ووجوماً بالخوف

- فضلت واقف في مكاني متسمر مش عارف أعمل إيه، والراجل واقف في مكانه برضة متسمر زي الصنم، المهم بعد ثواني ابتديت أسمع صوت زي الأنين، لأ! مش أنين، صوت وكأن واحد بيستنجد وهو بيتألم، صوت مكتوم وتخين، صوت مخيف أوي يا ماما، أوي! طبعاً قلبي كان هايقف من الخوف، بس الفضول الله يلعنه فضل موقفني مكاني عشان أعرف الصوت ده جاي منين، والصوت كل شوية عمال يعلى... يعلى، لحد ما بقى زي الصريخ، صريخ ممزوج بصوت الألم، والله العظيم مستحيل يطلع من إنسان مهما كان، صوت مرعب فظيع، عامل زي الأصوات بتاعة المؤثرات الخاصة اللي بنسمعها في أفلام الرعب، وفجأة! لقيت الراجل ده حط إيده الاتنين على ودانه، ووشه ظهر لي إن هو الي بيصرخ

فتضرب أمه صدرها في فزعها وتقول لاواعية

- يا نهار أسود! طب وشكله إيه الراجل ده يا "وليد"؟ شكله مخيف يعني؟

فيهز "وليد" رأسه بالنفي ويقول متأثراً

- بالمره يا ماما! ده راجل شكله عادي جداً، لا عفريت ولا شيطان ولا الخيال ده، راجل شكله جنتل ووسيم وليه شنب حتى، شبه "حاتم ذو الفقار"... "فاروق الفيشاوي"، الشكل ده

- طب وعملت إيه بعد ما قعد يصرخ كدة؟ أكيد جريت وهربت

ومجدداً يهز رأسه بالنفي ويقول شاردًا

- برضة لأ، الغريب جداً إني فضلت واقف، خوف الدنيا ماليني، بس في نفس الوقت كنت حاسس إني قوي ومطمئن، الموقف مخوفي بس مش الراجل، وهو ده اللي خلاني أفضل واقف، لحد ما فجأة... اختفى!

فتقول الأم مشدوهة

- اختفي!

ويهز رأسه هذه المرة بالإيجاب ويقول متعجباً وكأنه شاهد هذا المشهد بالأمس القريب

- أيوة اختفى، والله العظيم اختفى، وصوت الصريخ اختفى معاه، والكارثة اللي كانت هاتجيبلي أزمة قلبية لما لقيت الواد "محمد" بيخبط على كتفي وبيقولي إن بقاله ساعتين بيدور عليا، لدرجة إنه خاف يكون حصلي حاجة وكان رايح يقولك انتي وبابا لولاش لقاني في اللحظة الأخيرة

- ساعتين!

- ما هو أنا برضة استغربت جداً وكنت هاتجنن زيك كدة، وقتلته "إزاي يا ابني ساعة! ده أنا ماوقفتش هنا أكثر من ٥ دقائق، وكان أنا دورت عليك في أوضة الزبالة مالقيتكش"، قام رد ووالي "ده أنا والعيال اللي قلبنا عليك المبنى وعيال

أصحابنا جابوا كشافات ودخلوا الكبابين حتى يدوروا عليك، وشوية مننا راحوا لعساكر حرس الحدود الي على الشط يسألوهم، قالوهم إنهم ماشافوش حاجة، لدرجة إننا قلنا أكيد انت اتخطفت"، المهم حلفته ١٠٠ يمين إني ماتحركتش من جنب السلم ولا من الطريقة الي بين الكبابين من ساعة ما جيت، ماصدقنيش طبعاً وقللي إني عامل الفيلم ده كله عشان أخوفه هو والعيال أصحابنا

فتسأله أمه وقد أعيتها الدهشة والارتباك

- يعني إيه يا "وليد"؟ يعني الـ ٥ دقائق الي انت شفت الراجل فيهم عدوا ساعتين، وكم إن ماحدش شافك فيهم، يعني اختفيت؟!

فيقول "كريم" منفعلاً من فرط التوتر

- والله العظيم والله العظيم والله العظيم هو ده الي حصل يا ماما بالضبط، لا زودت كلمة ولا نقصت كلمة، لدرجة إني لما ماصدقتوش إن ساعتين مروا بصيت في ساعتني لقيت الساعة ٨ إلا ربع، وأنا آخر مرة بصيت فيها لما دخلنا مبنى الكبابين نستخبى كانت ٦ إلا تلت، ولما قتلته يبطل بواخة وكذب وإلا هاروح أشتكي لطنط "خديجة" مامته، حلفلي بالعظيم هو والعيال إنهم قلبوا المبنى عليا على مدار ساعتين ومالقونيش، ولو مش مصدقاني اتصلي بيه واسأليه

فتتجههم أمه خوفاً وريبة وتقول بصوت خافت

- سلام قولاً من رب رحيم!

ويسود الصمت الثقيل المقبض بينهما للحظات، لا تعرف السيدة "بهية" ماذا تفكر أو كيف تفكر، إما ابنها محق وتلك مصيبة، وإما هو متوهم منفصل عن الواقع فالمصيبة أعظم، فتقول في محاولة لكسر هذه الأجواء شديدة الكآبة والظلامية

- طب بس انت ماقلتليش إيه علاقة القصة الغريبة دي بالكوايبس الي بتجيلك؟

فيجيب "وليد" وقد ازداد شروداً وتجهماً بالخوف

- من ساعة ما الحادثة دي حصلت يا ماما وأنا أي ضغط نفسي- أو عصبي أو أي توتر باتعرض له، أشوف كابوس والراجل ده فيه، لو اتضايقت أو اتضغطت في المذاكرة، أشوف الراجل ده في كابوس، لو اتخانقت مع حد من أصحابي أو معاكي انتي وبابا ونمت زعلان، أشوف الراجل ده برضة في كابوس، ومؤخراً بعد كل فيلم رعب باشوفه، مهما كانت تافه أو هايف، وعلى أد ما كنت باعشق أفلام الرعب وأنا الي علمت "مي" فعلاً تحبها وتروح أجرها لوحدها، لازم... لازم أشوف كابوس، وبرضة فيه الراجل ده

فتسأله أمه بلهجة شبه يائسة يخالطها الخوف من سماع الإجابة والقلق على ابنها
سواء

- طب بتشوف إيه في الكوايبس دي يا "وليد"؟ يعني الراجل ده بيجيلك في أي هيئة؟ في الهيئة الي انت شفته بيها واللا بشكل مختلف؟

فيجيب "وليد" في الحال مرحباً بالسؤال

- أهوه ده السؤال الي أنا مستنيه من الصبح، الغريبة يا ماما إن الراجل دي بييجيلي

في الحلم أو في الكابوس بهيئة شكل وفي مكان شكل

- إزاي يعني يا "وليد"؟

- يعني مرة ييجيني زي ما شفته أول مرة، وواقف في مكانه وعمال يصرخ بالصوت

المرعب الفظيع ده، ومرة تانية ييجيني واقف على الشط قدام الكباين الشرقية

وبيشاور على البحر بإيديه من غير ما ينطق ولا كلمة، ومرة ييجيلي شكله وحش

ومخيف جداً، وعمال يطاردني ويجري ورايا في الكباين لحد ما يحصلني في النهاية

ويحاول يخنقني

فتقول أمه جزمة

- يا ساتر يا رب! أعوذ بالله من الشيطان الرجيم

- ومرة ييجيني وهو يلعب على نفس الشط من بنت جميلة أوي في سن "مي" تقريباً،

وفرحان وسعيد جداً وعمال يجري وراها وتجري وراه، ويقعد يبصلي ويتسملني كأنه

بيفرجنني عليها، ومرة ييجيني واقف على الشط وحواليه عيال كثير، وفجأة! وفي

نفس واحد يصرخوا كلهم مع بعض، نفس الصرخ الغريب المخيف، الي فيه

صوت الألم المكتوم الغليظ ممزوج بصوت الاستنجد وكأنهم كلهم بيستنجدوا بي،

وده أفضع كابوس باشوفه، وده الكابوس اللي لسة شايفه دلوقتي، والي بقيت باشوفه كثير مؤخراً

فتزداد أمه حسرة وقلقاً على ابنها، وتقول مترددة

- طب مش ممكن تكون انت تعبان ومضغوط من المذاكرة والتمرين يا "وليد"، انت بترهق نفسك جداً في الاتنين، أكيد هما اللي موترينك أوي كدة ومخليينك بتشوف الكوابيس الوحشة دي

فيقول "وليد" مدافعاً

- وإيه اللي جد يعني يا ماما؟! ما أنا باتمرن كاراتيه ما وأنا عندي ٦ سنين، وباحب الكاراتيه وباموت فيه، بالعكس! ده التمرين هو الحاجة الوحيد اللي بتهدّي أعصابي والي باطلع بها مخزون القلق والتوتر الرهيب اللي جوايا، وهو اللي بيخليني أعرف أذاكر

فتقول أمه وقد ازدادت يأساً وجزعاً وكأنها تشارف على البكاء

- طب إيه بس السبب في الكوابيس الوحشة والتهيب...-

وتصمت الأم فجأة مستدركة خجلة، فيكمل لها "وليد" كلامها بلهجة تحد

- التهيزات! قولها يا ماما ماتتكسفيش، أنا ياما قلتها لنفسي- قبلك، وهو ده اللي كنت باقنع نفسي بيه من ساعة ما شفت الموقف الرهيب ده، وأقول إني ماشفتش

المشهد ده ولا الراجل ده إلا تحت تأثير الإيحاء اللي بيخلقه جو المكان المظلم المقبض المخيف، وهو ده اللي كان بيهديني ويريجيني، بس مش في كل الأوقات، لحد في يوم كنت مقبوض وصدري مقفول جداً، فقامت اتوضيت وصليت ركعتين، وعملت بعدهم كوباية كاكاو سخنة ما انتي عارفاني باموت فيه، وفتحت المزيجا الهادية اللي باحبها وقعدت أذاكر، ولسة بافتح الكتاب لقيت الفكرة جت في دماغي

- فكرة إيه؟

- قعدت أستعرض كل الأحلام والكوابيس اللي شفتها من ساعة اليوم اللي شفت فيه الراجل وأحاول أربطها ببعضها وأوجد علاقة بينها، بعد أن انتزعت ... أو بمعنى أدق بعد أن انتزع ربنا سبحانه وتعالى أي خوف في نفسي- تجاه الموضوع ده، وتوصلت لنتيجة مهمة جداً ارتاح لها ضميري وقلبي وعقلي

فتسأل أمه مستبشرة

- نتيجة إيه يا "وليد"؟

فيقول "وليد" مستبشراً متطلعاً بدوره

- بعد ما ربنا انتزع الخوف والوهم من نفسي قدرت أحلل بعقلانية كل حلم زي ما هو، وأحلل تفاصيله ودلالاته، واتوصلت في النهاية لأن كل حلم كان عبارة عن رسالة، وكل تفصيلة في كل حلم جزء من الرسالة دي، الأطفال والصربخ

والضلمة والبحر وكل حاجة، والنتيجة الأغرب كانت إن الرسائل في الأحلام أو الكوابيس دي متسلسلة زي حلقات المسلسل، يعني كل حلم أو كل رسالة بتقول حاجة أو فكرة جديدة، عشان تؤدي في النهاية لفكرة أكبر، الفكرة الأم الي هاتفسر- كل الحاجات الغريبة الي بتحصيلي من ساعة ما شفت الرجل ده

فتهز السيدة "بهية" رأسها وقد أَرْضَى هذا الكلام قناعاتها وأراح قلبها وطمأنها على ابنها، لذا قبلت ابنها في رأسه وقالت مستبشرة قدر ما استطاعت

- خير يا حبيبي إن شاء الله، أنا واثقة يا إن ربنا مش هايضيعك ولا هايضيعك تضل الطريق أبداً يا "وليد"، انت ولد طيب وابن صالح، وقلبي وربي راضين عنك، يللا قوم بقى نلحق الفجر قبل ما أبوك يصله من غيرنا

ويهز "وليد" رأسه بالإيجاب ويتبسم على مضض والمجهول لا يزال يثقل قلبه ويكبح ابتسامته، ويقوم مع أمه الي تتكىء عليه في قيامها وتبسم على مضض مثقلة بالقلق بدورها.

فيلا "لشام رفعت"

جلس "وليد" و"مي" إلى السفرة يستذكرون دروسهما ذات عصر في يوم ما، إذ تمردا على أمهما السيدة "بهية" التي تجبرهما على النوم بعد الغداء كل يوم، ليعوضا ما فاتهما

من نوم الليل، إذ أصرت "مي" على أنها لا تريد النوم، وأنها تريد الاستيقاظ لاستذكار ما تأخر عليها من دروس، وتذرت أيضاً بأن أمها تسمح لأخيها في معظم الأيام بعدم نوم الظهر الإجباري عندما يكون لديه تمرين كاراتيه، ولم تجد أمها بدءاً من الموافقة على إصرارها في ذلك اليوم، وخاصة أنها كانت في الشهادة الإعدادية، وعليها أن تحصل على مجموع يشرفها بين أبناء الأعمام والأخوال، والعمات والخالات كما ساد في تلك الأيام، وجلسا يستذكران دروسهما فعلياً وجدياً بلا كسل ولا ادعاء، وكل حين وآخر يتسلمان لبعضهما ابتسامة ظفر وهو على إنجازهما الماكر البريء، ويستذكران على ضوء نجفة السفرة الأصفر الخافت الدافئ اللطيف، مع خلفية من الموسيقى الهادئة التي كان "وليد" يجب أن يستذكر دروسه على أنغامها، وكانت الساعة تقارب الخامسة عصرًا عندما استيقظت أمهما من نومها الوجيز، وخرجت عليهما لتجدهما يستذكران بجدية وتركيز، فابتسمت بالطبع سعيدة راضية، لاستقرارهما وطمأنيتها قبل أي شيء، وتوجهت إلى السفرة وسحبت مقعداً وجلست معهما، وقالت عابثة وكأنها طفلة أو حتى فتاة في سنهما

- مين اللي جاي معايا "بورسعيد" عند طنط "خديجة" في نص عشان يجيب هودوم جديدة؟

وبالطبع تهللت "مي" ورفعت يدها وقالت شديدة الفرح والحماسة

- هيه هيه! بجد يا ماما هانروح "بورسعيد" في نص السنة؟!

وإذ لا تجد السيدة "بهية" ردة الفعل الحماسية التي توقعتها من "وليد"، والذي ربما اقترحت هذه الرحلة خصيصاً لأجله، تجيب محبطة بفتور وهي تنظر إليه

- أيوة يا حبيتي هانروح إن شاء الله، أنا اتفقت مع أبوكي خلاص ووافق وإداني فلوس كمان، إيه يا "وليد" يا حبيبي، مالك شكلك مش متحمس؟! ده أنا عاملة الرحلة دي كلها مخصوص عشان تروح تسترخي وتغير جو، أنا عارفة إن الثانوية العامة ضاغطة على أعصابك

فيقول "وليد" خجلاً من مجهودات ومحاولات أمه الدؤوبة الصادقة لاسترضائه
- لا يا حبيتي إزاي! ده خبر حلو أوي، حتى أنا كنت عاوز أجيبي كام سويتز على بنطلون جينز لاحسن بنطلوناتي كلها اجربت، وحتى الواد "محمد" ابن طنط
"خديجة" وحشني أوي

فتقول أمه مأكرة بكيد نسوي أصيل

- "محمد" بس اللي وحشك؟!

فيضحك "وليد" خجلاً مجدداً، وترسم على فمه ابتسامة يكاد الأعمى يتبينها، إنها ابتسامة عشق وليد في قلب "وليد"، لتوأم "محمد" ... "رانيا"، التي يرنو إليها قلبه منذ تعرف على تلك المشاعر البريئة الجميلة، ففجأة! بعدما كانت عدوته اللدودة، وبعدها كان لا يطيقها ولا مقابلها ولا مزاجها ولا مزاحها ولا أي شيء فيها، فجأة بعدما قالت الطبيعة كلمتها وطرقت الرجولة بابه، تغير هو إليها بعدما تغيرت هي

كلياً، من صبية مشاكسة عابثة أقوى من الغلمان، إلى فتاة حاملة رقيقة رفيقة، خاصة بذلك الشعر الغزير الغجري المتجعد الذي ينسدل من رأسها على كل بوصة في جسدها وكأنه إزار الحسن والروعة، وبشرتها الخمرية التي تليق بلون عينيها السوداوين وبملاحمها اللاتينية شديدة الجاذبية، ويكفيها قبل كل هذا قوة شخصيتها وجرأتها في إبداء كل ما تفكر به، كما علمها وفطرها على أبوها القبطان "هشام رفعت"، والذي كان يصطحبها معه لشهور في رحلات بحرية حول العالم، وكانت السيدة "خديجة" أمها تبقى في "بورسعيد" إذ أنها و"محمد" لا يحبان لا البحر ولا الإبحار، على عكس "رانيا" التي كانت تعشقه وتعشق الغوص والسباحة كما والدها تماماً، لذلك لا عجب أنها كبرت لتصير فتاة جريئة مقدامة قوية الشخصية، لا تهاب المواقف أيما كانت، وفوق كل ذلك، اكتسبت سحر البحر وحورياته، بجماهن وقوامهن المشتعل شديد الاتساق، كل هذا وذاك شرد فيه "وليد" إذ سألت أمه السؤال الأخير، وإذ تكرر السؤال مجدداً ساخرة

- يا أخينا! هاي! انت رحت فين؟! يقطع الحب وسنينه!

وتنفجر ضاحكة هي والعبثة "مي" وتتبادلان الأكف كصديقتين في سن واحدة، ويشاركهما "وليد" الضحك على استحياء، ويقول شديد الخجل ساخراً من نفسه بدوره

- يوه بقى يا ماما!

فتقول أمه مستبشرة عازمة

- عارف يا واد يا "ويلا"، والله منى عيني أجوزك البت "رانيا" القمر دي، أولاً لأنها بنتي وحببتي ونزلت من بطن أمها على أيدي، ثانياً لأن أمها بنت خالتي وأختي في الرضاعة وحببة عمري، ولما كانت عيلة في اللفة ومش راضية ترضع من أمها، قعدت "حديجة" تتحايل عليا أد كدة عشان أرضعها لأنها اتولت بعدك هي و"محمد" أخوها بـ ٣ شهور زي ما انت عارف، حلفت ١٠٠ يمين أبداً، وقتلتها "افرضي يا اختي الواد" وليد" عجبته البت وحبها، لا يا ستي، يا تشوفيها مرضعة، يا تجييلها لبن صناعي، كفاية إحنا إخوات في الرضاعة"، وأهوه نبوءي اتحقق وأديك اتنيلت حبيتها

فيصمت "وليد" مجدداً غارقاً في خجله لا يجد ما يقوله، لكن وجهه ينطق بكل الكلمات، وسعادة الأرض تسكن بين طياته، وإذ تراه أمه على ذلك الحال تقول عازمة مجدداً

- بإذن الله والله العظيم ما حداها ياخذها غيرك، شد حيلك انت بس وخش كلية الألسن أو الآداب اللي نفسك فيهم، وجيب تقدير كويس وأبولك يعينك معيد عنده في الجامعة، وأخطبها لك أول ما تتخرج

لكن شيئاً ما يكبل قلب "وليد" ويكبح ويفسد أي شعور بالفرح أو التفاؤل قد يتولد في نفسه، شيء هو شخصياً لا يعرفه، وكأنه نذير سوء أو شؤم أو شياطين

نفسه، لذا يتحول من شعور الغبطة وفورة الحماسة الوجيزة تلك لشعور الفتور والتجهم أو أشرط الاكتئاب إن جاز القول، والتي تسيطر عليه منذ فترة بلا سبب، ويصمت ويسهم مجدداً كعادته مؤخراً، وما أن تراه أمه كذلك تشفق لحاله وينقبض قلبها، إذ صارت تلك الحالة تزعجها وتقلقها وتسيئها شخصياً بشدة، لذا تقول لـ "وليد مشفقة

- أنا عارفة يا حبيبي إن الثانوية العامة ضاغطة على أعصابك وهي الي عاملة فيك كل كدة، بس أنا متأكدة إنك أول ما هاتوصل "بورسعيد" وتشم وهوها الي طول عمرك بتعشقه، نفسيتك هاتتغير ١٨٠ درجة

فتقول الشقية "مي" لاهية ساخرة

- وأنا كمان يا ماما والله نفسييتي تعبانة أوي من الإعدادية ومحتاجة أجازة للاستجمام!

فتضحك أمها على مضض مجاملة وقلبها متآكل بالقلق على ابنها، وتنظر له وينظر لها ويتنسم هو الآخر على مضض مجاملاً لها، وما زادت ابنتها ابتسامته إلا قلقاً ووجلاً.

يصل "وليد" والسيدة "بهية" والشقية "مي" في سيارة العائلة البيجو ٥٠٤ السماوية مدينة "بورسعيد" حوالي الساعة الـ ١١ صباحاً، والتي تستقبلهم بسماء متكاثفة

الغيوم كثيفتها داكنتها، حتى تكاد تشعر لأول وهلة أنك في وقت غروب الشمس، لذا تنظر السيدة "هبة" إلى "وليد" وتبتسم ابتسامة خجولة محرجة من هذا الجو المقبض غير المبشر بأي نشاط إيجابي قد يحدث في القريب العاجل، ويمرون إذ يمرون على المصيف، أجل هو المصيف العائلي السنوي لهم، وما زادته تلك السماء الغائمة والأجواء المظلمة إلا وحشة وظلمة وتخويفاً، فينوء "وليد في الحال بوجهه عنه وكأنه يخشى أن يشاهد أي شيء عارض عرضاً يزيد وجلاً وارتياباً، حتى ورقة الجرائد التي تتخطفها الريح وتلعب بها كانت تثير في نفسه الخوف، وأغمض عينيه إذ أدرك للحظة أن ذلكم الشيطان يخوف كما يخوف أوليائه كما كان والده يقول له دائماً، فأخذ يهمهم في سره بالآية القرآنية {ربي إني أعوذ بك من همزات الشياطين وأعوذ بك ربي أن يحضرون}، ويكررها بسرعة وبقوة، حتى شعر بارتياح وبطمأنينة نسبية سرت في جسده وروحه وعقله، ليجد أمه قد وصلت أخيراً لفيلا القبطان "هشام رفعت"، حيث تقف خالته بالرضاعة السيدة "خديجة نور الصباح" في استقبالهم وإلى جوارها ابنها "محمد"، وهي سيدة أنيقة بالكاد بدأت عقدها الخامس، ذات قوام ممشوق متناسق بالنسبة لامرأة تجاوزت الأربعين، وقد أولت جمالها وجمالياتها عناية ملحوظة، من تصفيفة شعرها إلى ظل عينيها إلى درجة أحمر شفيتها، إلى الشامة الاصطناعية التي تتوسط خدها الأيسر، والتي ترسمها بعناية بقلم الكحل وتغير مكانها باستمرار حسب حالتها المزاجية وحسب المناسبة، فمرة فوق الشفاه، ومرة بجوارها، وابنها "محمد" يتجاوزها طولاً وعرضاً بمراحل،

ويبتسم ابتسامة سمجة على وجه أكثر سماحة، لكنه طيب طلق بشوش يعلن عن قلب سليم، لذا كان "وليد" يحبه على ثقل ظله وسوء حس دعابته، وتترجل السيدة "بهية" من السيارة لتستقبلها السيدة "خديجة" بأحضان قوية طويلة صادقة، وتنهلان على إحداهما الأخرى بالقبلات، وما أن تفرغ منها تنتقل إلى "مي" فتكرر الكرة معها بنفس الود والمودة وربما أكثر، وإذ يتخرج "وليد" من تقبيلها إذ تجاوز أعتاب الرجولة تجذبه هي بجرأة قاتلة

- انت هاتعمل عليا راجل واللا إيه يا واد يا ابن "بهية"! الله يرحم لما أنا وأمك كنا بنسهر للفجر نغلي في الكوافيل بتاعتكم من البلاوي الي كنتوا بتعملوها فيها وتجذبه وتنهل عليه هو الآخر بالأحضان والقبلات في مشاعر أمومة صادقة، وكذلك "بهية" بدورها مع "محمد" ابنها، وبعدما تفرغان من وصلة القبلات والترحيبات، تنادي السيدة "خديجة" على "رزق" البواب بنبرة "هوانمية" أصيلة، لكن لا استعلاء فيها ولا كبر ولا تعال، وتأمره بحمل الحقائق إلى داخل الفيلا، ويدخلون كلهم الفيلا الأنيقة القديمة ذات المدخل المقنطر المزخرف، والتي كان "وليد" يحبها كثيراً قبل أن تصيب قلبه آفة الخوف المزمّن، فأصبح يتجنب زيارتها بقدر الإمكان منذ حادثته المشؤومة المزعومة في الكبائن الشرقية، وكان يقضي معظم وقته فيها لعباً في القبو السفلي مع "محمد" و"رانيا"، أما الآن فأصبح يتعلل بكافة العلل ويتعذر بكافة الأعذار كيلا يزورها أبداً، وكأنها صارت تبث المزيد من

الخوف في نفسه الخائفة بشكل مزمن، لكنه أتاها هذه المرة مضطراً كيلا يخيب أمل أمه، أو يقلقها برفضه غير المبرر، وقف "وليد" مشدوهاً شبه مشلول في منتصف قبو الفيلا، لا يرى فيها إلا حوائطها المصفرة بفعل الزمن، وأركانها فقيرة الإضاءة، وطرقاتها الطويلة بلا نهاية والمظلمة في نهايتها بالطبع، حتى تماثلها الكبيرة، كاد يشعر أنها تحرق إليه وترمقه بعين السخط غير مرحبة بزيارته، ولم يستفك إلا على صوت السيدة "خديجة" تصيح فيه

- يا "وليد"! إيه يا ابني السرحان ده كله! ماتخافش يا سيدي كلها يومين وترجعلها فيسألها "وليد" متعجباً

- مين دي يا طنط؟

- حبيبتك اللي انت سرحان فيها

وتنفجر هي في ضحك قلبي تجاريها أمه السيدة "بهية" فيه على استحياء، ثم تقول مشفقة

- يا ريت يا "خديجة"! دي الثانوية العامة مشقلبة حاله ومش مخلياه شايف قدامه

فتقول ساخرة

- أمال أنا الاتنين اللي عندي ليه جبلات ولا كأنهم في رابعة ابتدائي، بس بصراحة البت "رانيا" جدعة وبتذاكر كويس، والواد "محمد" النطع مقضيها أفلام فيديو،

وكل ما آجي أهزقه، يقولي يا ماما إحنا لسة في أول السنة، وكمان أنا مش محتاج إلا المجموع الي يدخلني الأكاديمية البحرية عشان أطلع قبطان بحري زي بابا، خيبة عليك وعليه!

وتضحك مجدداً ضحكاً ساخراً به مسحة من المرارة، تقاطعه السيدة "بهية" بسؤالها الفضولي

- إلا هي فين "رانيا" صحيح؟ ماجاتش تستقبل خالتها ليه الندلة دي؟!

فتقول السيدة "خديجة" بارعة السخرية

- من جهة ندلة فهي ندلة بنت ٦٠ ندلة! بس هي في درس فيزياء برة والله يا "بهية"، وبقت زعلانة أوي إنها مش هاتعرف تستقبلكم، بس هي على وصول خلاص، وقعدت تذاكر كتير اليومين الي فاتوا عشان تفضالكم اليومين دول، مش هما يومين برضة واللا انتوا مطولين؟!

وتنجح الساخرة الساحرة "خديجة" في إضحاك "بهية" على رغمها، وإذ تراها تجتهد لتضحك وكأن هناك ما يثقل قلبها وما يسيء روحها، تنظر "خديجة" في عيني "بهية" طويلاً بحنو وعطف حقيقين وتومئ برأسها وكأنها تعلمها بأنني أعلم مصابك وشكواك، وفي حركة لا إرادية تتعانقان بقوة طويلاً، عناق تبث كل منهما فيه ما أثقل كاهلهما وعجزا عن وصفه بالكلام في تلك المناسبة الجميلة خوفاً من تعكيرها، في دخول الساحرة العجيرة "رانيا"، ما هذا الدخول السينمائي الرائع،

وما هذا الشعر الذي تتجراً به على الدنيا وما فيها، وما تلك الملايح المقبلة المقدمة
شديدة الجاذبية، على روعتها وتناسقها ودقتها، وتدخل صائحة متهللة بأعلى ما في
صوتها الطبع فرحة متحمسة بالجمع العائلي الجميل

- أنا جيت!

وتنطلق إلى حضن خالتها "بهية" وتعانقها بقوة، عناقاً لا يقل صدقاً ولا روعة عن
عناق أمها، وتقول محتفية محتفلة بها

- طنطي حبييتي، واحشالاني موووووت

فترد "بهية" بهية

- انتي يا حبيبة قلبي الي واحشاني أكثر، إيه القمر والعسل والسكر المكرر ده يا
ناس، جبتي الحلاوة دي منين يا بت، يمكن من أبوكي، أمك قاعدة جنبني
ومافيهاش ريحة الحلاوة!

فتضحك العابثة "خديجة" بقوة وتزايد على سخريتها بسخرية

- أبوها مين يا "بطة" الي شبهه بشنبه ده!

فتزايد الساحرة "رانيا" على سخريتها

- ما هو شنب بابا مبالغ فيه صراحة!

وينفجر الضاحكون كلهم بالضحك القلبي الجميل، حتى "وليد"! الذي نسي-
للحظات كل ما كان يضايقه أو يزعجه أو يخيفه، مشغولاً بقلبه الذي سقط في قاع
أحشائه السحيق لرؤية "رانيا"، وتسارع إيقاع خفقانه كما موسيقى "مادونا"
و"مايكل جاكسون" اللذين يعشقهما، ربما هي المراهقة، لكن سحراً للمراهقة إذا
كان هذا ما تفعله بالولدان! وإذ تقترب يقوم من مجلسه متوتراً مرتبكاً ويقول متعلثاً
بالطبع

- إزيك يا "ريري"، حمد الله على السلامة

فتقول الساحرة الشقية ساحرة جريئة كطبعها

- إزيك يا "ليدا"، أنا يا ابني اللي مفروض أقولك حمد الله عالسلامة، عامل إيه في
الثانوية الأدبي؟ أخبار علم النفس والفلسفة والمنطق إيه؟ يا باي! أنا عارفة انت
بتدرس الحاجات دي إزاي، ده سيرتها لوحدها بتنيمني!

فيقول وهو يحاول جمع شتات نفسه متماسكاً بقدر الإمكان

- مافيش حاجة في الدنيا زي دراسة العلوم الإنسانية، كفاية إنها بتعرفك النفس
البشرية بتفكر وبتنضج وبتبدع إزاي

فتعلق ساحرة بالطبع

- بس كفاية يا عم "فرويد"! أنا كفاية عليا قوانين "نيوتن" ومعامل اللزوجة، فين البت "مي" صحيح؟ واحشاني أوي المجرمة دي

وتخرج "مي" من الطرقة المؤدية للحمام الرئيسي للدور السفلي من الفيلا، وتقول بلهجة احتفالية معلنة عن نفسها

- أنا أهوه! معلش يا أختي عصير الكمثرى بتاع "قها" بهدلني والطريق كان طويل، كنت هاعملهم على روعي في العربية

وبالطبع تضج ردهة الفيلا بالضحك والضاحكين، فرحاً واحتفاء بلم شم العائلة أكثر ما هو ضحكاً من أجل الضحك، وتقول "مي" متهللة شديدة التحمس

- تعالوا يا عيال أما أوريكم مقري الجديد

فتقول السيدة "بهية" متعجبة مندحجة في جو السخرية السائد اللطيف

- مقرك الجديد! إنتي عزلتي واللا إيه يا "ريري"؟!

فتجيبها السيدة "خديجة" مستنكرة

- بلا خيبة! قصدها البدروم!

فتقول السيدة "بهية" متعجبة بالطبع

- البدروم!

فتجيبها السيدة "خديجة" وقد ازداد استنكارها واستياؤها

- أيوة الزيت البدروم! بعد ما صرفت على أوضتها الشيء الفلاني إشي باركيه، وإشي ورق حيط، وإشي نجف كريستال عصفور، وبعد ما اديتها أحلى أوضة في الفيلا اللي كاشفة البحر بالكامل، نازلة الموكوسة تقعدلي وتذاكرلي وتنامي في البدروم، قال إيه عشان إحنا بنعمل دوشة ومابتعرفش تذاكر من صوتنا

فتقول السيدة "بهية" متعجبة ساخرة

- صح يا "ريري"؟ ده انتي أوضتك فعلاً أحلى أوضة في الفيلا، ده أنا كنت جاية أسرقها منك اليومين دول وأنيملك في الشارع!

فتقول "رانيا" ضاحكة ودودة

- ده انتي تسرقني عينيا يا حبييتي، بس انتي عارفة جيلنا يا طنط، مجنون ومايعجبوش العجب، وكمان انتي عارفاني باحب الأجواء المربعة المظلمة، زي الواد المجنون ابنك، ما هو اللي علمني الجنان ده وحبيني في الأفلام الرعب لدرجة إني مابقيتش باعرف أشوف غيرها، وكمان يا طنط ما انتي عارفة كل بلاوينا لما كنا بننزل إحنا الأربعة البدروم ونقعد فيه بالساعات والأيام، ما تقولهم حاجة يا "وليد"!

وبالطبع ارتبك "وليد" وضاق صدره ما أن ذكر البدر، وشحب وجهه وندي جبينه، وقال بصوت تحشرج بالارتياح والقلق

- آه... آه طبعاً!

فتقول "رانيا" متحمسة

- طب تعالوا معايا بقى أوريكم التجديدات المربعة الرهيبة اللي عملتها فيه، ده بقى ولا بيت الرعب بتاع "كوكي بارك"

ويزداد "وليد" ارتباكاً إلى ارتبائه، ويتصنع تجاهل السؤال، لكن "مي" تجيب بحماسة طبعاً

- الله! بجد يا "رانيا"؟! أنا هابات معاكي طبعاً يا أختي

فتجيب "رانيا" مرحبة لطيفة

- أكيد يا نور عيني، ده انتي تنوري الأوضة... قصدي البدر!

ويضحكون كلهم ثم توجه كلامها لـ "وليد" مقبلة متحمسة

- يللا بقى يا "ليدا"! واللا انت هاتعملي كبير وعامل وكدة؟!

وفي ترده وارتبائه يصمت "وليد" للحظات، لذا تعاجل السيدة "بهية" بالإجابة

عنه

- معلش يا "رانيا" يا حبيبي أصل هو جاي من السفر تعبنا، وما بيعرفش ينام كويس مؤخراً بشأن المذاكرة والتمرين ووجع القلب ده، ما انتي في ثانوية عامة وعارفة

فيقول "وليد" من حيث لا تحتسب أمه بلهجة تحد للموقف لالها

- لا يا ماما أنا بقيت كويس أول ما وصلت وشفت الجماعة، تعالي يا ست "رانيا" وريني الرعب اللي علمتهولك على مر السنين نفع واللا لأ

فتضحك "رانيا" سعيدة مبتهجة وقد أشرق وجهها، بشكل لا تناسب مع مجرد موافقة النزول لقبوها المرعب كما تزعم، وإذ تلاحظ نظرة الاستغراب المصحوبة بابتسامة نسوية أصيلة على وجه أمها السيدة "خديجة"، ونظرة الإعجاب والابتهاج على وجه خالتها السيدة "بهية"، تتلع تلك الابتسامة في الحال وتتصنع القوة أو وكأنها غير مهتمة بالأمر برمته، ويهم "وليد" بالقيام من مجلسه متصنعاً الحماسة بدوره، حتى يضع يده على رقبته ويقول وهو يبدو متألماً

- ما عندكيش دوا أو مرهم باسط عضلات يا طنط؟ لاحسن رقبتي وجعاني أوي فتقول أمه قلقة مستغربة

- وده من إمتي جالك يا "وليد"؟ ما قتلش عليه قبل كدة يعني!

ويبدو "وليد" نفسه مستغرباً إذ يجيب

- مش عارف يا ماما حسيت بيه أول ما دخلنا "بورسعيد" تقريباً، تقريباً عظمي مش واخذ على برد ورطوبة "بورسعيد"

فتقول السيدة "خديجة" متعاطفة صادقة

- آه يا حبيبي معلش، "هشام" برضة الرطوبة بقت بتتعبه أوي مؤخراً، وعمال يزن عليا أنا والعيال نعزل ونروح بيت مامته في ميدان "تريموف" في مصر الجديدة، ما انت عارف إنه اشتراه بعد ما اتوفت، بس أنا إيه! حلفتله على المصحف إني ما هاعيش ولا أموت إلا في "بورسعيد"، ولو عاوز يروح يعيش في مصر- يروح لواحد، ويبقى يروح وييجي عليا أنا والعيال، هاقوم أجيبك دوا مستورد جتته لظهري، إنها إيه يا "ليدا"! فيه الشفا بإذن الله

وتحضر له خالته الدواء وكوب ماء، وبينما يتناول الدواء تقول لأمه السيدة "بهية"

- تعالي بقى يا "بهية" نشوف البت "سماح" بتعك إيه في المطبخ، الله يسامحه "هشام" هو اللي جابهالي قال عشان تساعدني في الطبخ وشغل البيت، ومن ساعة ما جابها وأنا اللي عمالة أعلم فيها، وأهو عقبال البلاوي دول مايلعبوا شوية في بدروم الرعب بتاعهم، نكون خلصناهم الغدا

وفي الحال تبدو السيدة "بهية" ربة المنزل الأصلية والطاهية المخضمة فرحة مقبلة وكأنها طرقت على أوتار قلبها، وتقول ساخرة

- يلعبوا إليه يا "خديجة"! دول كبروا وبقوا زي الطحشا، ما شاء الله من عيني! يلا يا "أختي" نشوف ورانا إليه، أما اتعلمتلك من كتاب أبله "نظيرة" حته وصفة جديدة للصيادية، إنها إليه! عجبت "محمد" والعيال أوي

و"أختي" هذا هو المصطلح شديد الخصوصية التي تدلل به السيدة "هبة" السيدة "خديجة" منذ كانا طفلتين، ويتوجهان للمطبخ بينما تشرح "هبة" لـ "خديجة" وصفة "الصيادية"، والأخيرة شديدة التركيز والإصغاء وكأنها تستمع لسر- جلد، ويتوجه الأربعة أبناء للقبو السفلي، ولأغفيكم تشويق روايات الرعب المستهلك المطول، كان القبو لا يقل نظافة ولا رقياً عن أي غرفة في المنزل، فقط كان يختلف عنهم في أن حوائطه الأسمنتية بلا طلاء، وفي بعض الإضافات والديكورات المبتذلة "المرعبة" افتراضاً والتي أضافتها "رانيا" للمكان، كحبال معلقة وإطارات كاوتش وصناديق خشبية ملقاة "بعناية" هنا وهناك، ومصباح "لمبة" كبيرة يتدلى من منتصف السقف، وضوؤه قوي ساطع للغاية يكاد يجعل المكان نهراً، بما يقتل أي أجواء رعب محتملة، وما أن يرى "وليد" هذا الضوء الساطع القوي يقول ساخراً جذلاً وقد سقط عنه كل قلقه وارتياحه من المكان

- إليه ده يا "رانيا"! بالذمة ده الي انت علمتهولك! جاييالي عامود نور من الشارع تنوري بيه المكان وتقولي لي أجواء رعب!

فتقول "رانيا" مدافعة عن نفسها

- أعمل إليه بس في خالتك يا "وليد"! والله كنت جايبة لمبة زرقا مطفية مستوردة كنت طالبها مخصوص، كانت مخلية المكان "واو"... رهيب! ولا فيلم "قاهر الرعب"، يوقف قلبك أول ما تدخله، بس ماما لما شافتها طينت عيشتي، وقالتلي إن الحاجات دي بتجيب الفقر في البيت، وجابت "الشمس" الي انت شايفها دي وطلعت على السلم وغيرت اللمة بنفسها، وكسرت اللمة الزرقا، وحلفت ١٠٠ عظيم إن لو جبت لمض زرقا تاني هاتطلعني من البدروم وترجعني أوضتي، وتقفل البدروم للأبد

فضحك "وليد" بقوة وقد نسي وقتياً كل ما يثقل باله وقلبه من قلق مزمن لا يعرف مصدره، حتى علق "محمد" أخوها قائلاً

- ما أنا اللي اقترحت عليها اللمة الزرقا دي، فاكر يا "وليد" اللمض الزرقا الي كانت في مدخل الكباين الشرقية الي في المصيف؟ فاكر كانت مخيفة أد إيه؟ أهو أنا من ساعة ما دخلناها وشف اللمض الزرقا دي وأنا مش قادر أنساها، فاكر يا "وليد" لما تهت مني فيها وقعدت ساعتين مش لاقيك، وفي الآخر فجأة لقيتك جنب السلم يا عيني داخ مبلول من كتر الخوف، فاكر؟!

ويضحك ضحكة ساذجة بينما "وليد" وكأنها خرت السماء فوق رأسه، فهو يبذل مجهوداً لامتناه لمحولة تناسي هذا الموقف، وخاصة منذ أن وصلوا "بورسعيد"،

وها هو يذكره به مجدداً بكل حذافيره بكل سذاجة، وها هي كل مجهوداته لتناسي الموقف تذهب سدى أمام عينيه، بينما تعلق "مي" مذهولة

- إيه ده! هو انتوا دخلتوا الكباين الشرقية المهجورة؟ يا نهارك أبيض يا "وليد"! دخلتوها إمتى؟

ويلق "محمد" متحمساً ساذجاً لا يزال

- دخلناها من حوالي ٦ سنين، تقريباً في صيف ١٩٨٤، صح يا "وليد"؟

ويهز "وليد" رأسه بالإيجاب على مضض، ووجهه يحمل كل معاني الضيق والانزعاج من طرق هذا الموضوع مجدداً، والعجيب أن الوحيدة التي أدركت ذلك كانت "رانيا"، فسألته مشغلة

- مالك يا "وليد" وشك اتغير كدة ليه؟ هو الموضوع ده ضايقتك؟ هو "محمد" طول عمره كدة مدب! بيقول كل اللي بيخطر في باله بدون تفكير، شفت يا سي نيلة، أديك ضايقتة!

فيقول "محمد" منفعلًا يدفع عن نفسه الاتهام بطفولية أصيلة

- وفيها إيه يعني؟! هو أنا جب حاجة من عندي! ما إحنا فعلاً دخلنا الكباين الشرقية، الظاهر بقى هو اللي لسة بيخاف من السيرة دي

وينفجر في ضحكه الساذج التافه، وبينما تهم "رانيا" أن تفتك به وتنهال عليه توبيخاً وتعنيفاً، يلحقها "وليد" وينقذ الموقف ويقول

- خلاص يا جماعة الموضوع مش مستاهل، أنا زي الفل يا "رانيا" ماتضايقتش ولا حاجة، بس الوجة الرهيب الي في رقبتى عمال يزيد كل شوية لحد ما وصل لكتافى، وكأن حد قاعد فوقهم، عالعموم الدوا بتاع طنط "خديجة" هاشتغل كمان شوية وهاروق وهابقى زي الفل إن شاء الله

ويسود الصمت الغريب الثقيل للحظات، حتى تقاطعه "مي" سائلة ببراءة

- هما فعلاً يا "وليد" قفلوا الكبائن الشرقية من أوائل التمانينات عشان فيه كذا عيلة غرقت قدامها وأرواحهم بقت بتطلع للناس في الكبائن، واللا دي إشاعات؟

فيصمت "وليد" شارداً لا يعرف بم يجيب، فهو مؤخراً لم يعد يميز الحقيقة من الأكاويل، ولم يعد واثقاً من أي شيء يقال له، حتى يراه بأمر عينيه، وقد رأى ما رأى بأمر عينيه في الكبائن الشرقية ذاتها التي تتحدث عنها أخته، ولا تزال صورة الرجل الغامض المخيف الواقف في ردهة الكبائن عالقة في ذهنه بل ملاصقة ملازمة له أينما حل، لذا يجيب "وليد" بعد صمت وكل ما فيه غير مقتنع بإجابته

- لأ يا "مي" يا حبيبتى، ده إشاعات طلعتها إدارة المصيف عشان مكانش معاهم فلوس يعملوا التجديدات والصيانة الدورية اللازمة للكبائن، وطلعوا الإشاعات دي عشان الناس تتشائم وتخاف من الكبائن دي وتبطل تحجز فيها، وبكدة يقدرُوا

يقفلوها لأطول وقت ممكن عقبال ما يصلحوها، ولا حد غرق قدامها ولا حاجة

ولا روح بتطلع للناس في الكباين

فتقاطعه "رانيا" بجملة اعتراضية غير متوقعة

- بس فيه ناس غرقت قدامها فعلاً يا "وليد" في بداية الثمانينات، أنا قرأت الكلام

ده في كذا مجلة وكذا جورنال، بخلاف إن أنا سمعته على لسان مئات البورسعيدية،

وعلى فكرة أنا لسة محتفظة بالمجلات والجرايد اللي كتبت عن الموضوع ده

فيقول "وليد" متلهفاً

- فين؟

فتشير "رانيا" بيدها إلى مجموعة صناديق ورقية "كراتين"، مكدسة بعناية تحت سلم

القبو، وبالطبع تعلوها طبقات من ورائها طبقات من التراب المتراكم، فيسألها

"وليد" في لهفته

- طب ينفع أقلب في الجرايد والمجلات دي دلوقتي يا "رانيا" بعد إذنك؟

فتجيب "رانيا" في الحال

- اتفضل يا حبيبي...

وتتخرج ويمر وجهها بشدة لكنها تتدارك سريعاً خاصة إذ يرمقها "محمد" أخوها بعين السخط والغيرة وحمية بدايات الرجولة، وإذ تضحك "مي" مأكرة وهي تنظر في الأرض، وتقول "رانيا" مرتبكة بالطبع

- قصدي اتفضل يا "وليد"، وفيها إيه يعني لما أقوله يا حبيبي! مش متربة معاه وباعتبره زي "محمد" أخويا، يبقى أكيد أخويا وحبيبي

وتنظر إليها العابثة "مي" نظرة خاطفة وهي تعلمها بأنها غير مقتنعة بحرف واحد مما قالته، لكي الطيب نقي الفطرة والسريرة "محمد" يصدقها كلياً ويضحك سعيداً مطمئناً، ويؤكد على كلامها قائلاً بحماسة

- آه طبعاً، "ليدا" ده أخونا وحبيينا وتوأمنا التالت

ثم تردف "رانيا" باهتمام

- بس استنى يا "وليد" لما تنغدى وتغير السويتر الشيك الي انت لابسه ده، عشان التراب هايبهدلنا، وأنا هاجيبلك كل كلمة اتكتبت في أي جورنال أو مجلة عن موضوع الناس الي غرقوا قدام الكباين الشرقية وسنة كام بالضبط

فتقول الشقية "مي" ساخرة بصوت أقرب للهمهمة

- آه هو فعلاً السويتر بتاع "وليد" شيك، مع إنك شفتيه بيه يجي ٥٠ مرة قبل كدة!

فيصبح "وليد" بها منفِعلاً حازماً

- "مي"! اتعدلي!

وعلى قوة شخصيتها وجرأتها تمثل "مي" للحزم الأخوي في الحال، وتطرق رأسها للأرض وكأنها تعلن عن ندمها للمبالغة في السخرية من الأمر وتقول صادقة الندم - آسفة

ويسود الصمت الثقيل للحظات، وتقطعه "رانيا" إذ تقترب من "مي" وتضمها بذراعها الأيمن بقوة ومودة، وتقول متلطفة

- آسفة على إيه بس يا "ميوي" يا حبيبة قلبي! ده انتي سكرة القعدة والمصحف والدنيا من غيرك ومن غير تريقتك دي مايقالها طعم

وتطبع قبلة قوية خالصة الود والمحبة على خدها الأيسر، ثم تقول أمرة للجمع

- يللا بينا نطلع نغير ونريح ونتغدى دلوقتي، وبعدين نبقى ننزل نقضي الليلة كلها هنا، ده أنا مأجر الكم كام فيلم رعب يا ولاد، يشيبوا الكتكوت!

فيقول "وليد" معترضاً في الحال وقد أزعجته الفكرة

- لأ بلاش أنا أفلام رعب يا "رانيا"، لاحسن أعصابي تعبانة ونومي مش مضبوط اليومين دول، انتي عارفة بقى الثانوية العامة الله يسامحها

فتقول "رانيا" متعاطفة في الحال

- آه طبعاً عارفة يا ح... يا "وليد"! خلاص بلاش انت تشوفها، أنا وانت هانقعد نفرز المجلات والجرايد جورنال جورنال ومجلة مجلة، والعيال دول يقعدوا يشوفوا الأفلام جنبنا

فتقول "مي" متهللة بالطبع

- الله! ونظفي النور بالمره

فيسألها "وليد" مندهشاً

- طب وانتي "رانيا"... مش هاتشوفيهم؟!

فتضحك "رانيا" بقوة وتقول ساخرة

- يا ابني أنا أجرت الفيلمين دول بيعجي ١٥ مرة قبل كده! ده أنا حافظاهم مشهد مشهد وجمله مجله، أنا أجرتهم مخصوص علشانكم

فيهز "وليد" رأسه ممتناً وأشياء أخرى! ويقول الجلف الطيب "محمد" بصوت الغليظ الجهوري

- يللا بقى نطلع فوق زمانهم حضروا الغدا، الساعة بقت ٣ وأنا مت من الجوع

على مائدة الغداء وبعدما فرغوا من وجبة السمك الشهية الشهوانية، والكل جالس متخم إلا "وليد" الذي لم يأكل جيداً، لم يكن قلقاً كما قد تحسبوا، بل كان غارق في

التفكير فيما قد يجده في تلك الصحف والمجلات الموجودة في صناديق البدروم عن الأشخاص الذين غرقوا أمام الكباشن الشرقية منذ ١٠ أعوام أو أكثر، بينما تقول السيدة "خديجة" مبتهجة

- أما عندي ليكم حنة مفاجأة!

فتسألها السيدة "بهية" وقد أصابتها عدوى الابتهاج

- مفاجأة للأولاد بس واللا لينا كلنا؟

فتقول السيدة "خديجة" بلهجة ود جميلة

- وهي المفاجآت يبقاها طعم من غيرك يا حبيبة قلبي! أما عندي ليكم حنة عزومة

فرح، إنما إيه، فايف ستار يا بت "بطة"!

فتقول "بهية" وقد بهتت بعض الشيء

- بس إحنا مش عاملين حسابنا وماجيناش هدوم أفراح يا "ديدي"

فتجيبها "خديجة" فطنة حصيفة

- وأنا برضة تفوتني حاجة زي دي يا "بطة"! أنا عندي فستان سهرة أسود جابهولي

"هشام" وطلع واسع عليا، والله يا أختي ما حطيته على جتتي، هاييجي عليكى

بالمقاس إن شاء الله، و"وليد" ياخذ أحلى بدلة تعجبه من بدل "محمد"، و"مي"

السفروته هانلاقيها ١٠٠ حاجة في دولاب "رانيا"، الي بنرمي هدوم بالصناديق ليها من غير ما تتلبس، حسبنا الله ونعم الوكيل!

وفي الحال تقول اللاهية "مي" متهللة

- الله! فرح، أنا نفسي أروح من زمان أوي

وتنظر السيدة "بهية" إلى ولدها "وليد" مترددة غير واثقة من ردة فعله تجاه ما سمع، والتي جاءت حسبما توقعت، إذ لم يبد كثيراً من الحماسة، وبدا متردداً قلقاً محرجاً، وإذ تراه أمه كذلك، تقول محرجة بدورها

- معلش يا "خديجة"، أصل إحنا جايين تعبانيين من السفر، وأديكي شايقة "وليد" شكله مجهد وما بينامش كويس، روحوا انتوا يا حبييتي واستمتعوا، وإحنا هانقعد هنا في بيتنا، مش البيت بيتنا برضة واللا إيه؟!

فتقول "خديجة" في الحال بكل مودة وصدق

- البيت بيتكم! دي برضة كلمة تتقال يا "بهية"، والله العظيم ده إحنا الي ضيوف عليكم، بس والله العظيم برضة أنا ما هاحط رجلي في الفرحة ده من غيركم، هو "وليد" رايح يشيل ظلط يعني، ده هايروح يهيص ويرقص وياكل ويشرب ويتفرج على بنات حلوين

وتتغير ملامح "رانيا" بعض الشيء إلى الضيق أو الغيرة إن شئتم، وتسر- السيدة "بهية" لذلك أيما سرور، يا للنساء وعقولهن، أمهات كن أو بنات! فتسألها السيدة "بهية" مبتسمة ابتسامة مكر نسوي أصيل

- إيه رأيك انتي يا "رانيا" يا حبيبتني؟

فتجيب "رانيا" خجلة وقد توردت وجنتاها

- مش عارفة يا طنط، زي ما تقررنا أنا معاكم

فيقول "وليد" قاطعاً هذا العبث والتلاعب بالألفاظ وقد أثقل ملامحه فعلاً الفكر والإرهاق سواء

- طب خلاص، روحوا الفرح انتوا كلكم وأنا هاقعد هنا أخدلي دش متين وأقعد أقرأ شوية، ولو عرفت أناام هانام، بس فعلاً يا طنط "خديجة"، والله دماغني ما فيها أي مكان للدب والطلبل والهيصبة بتاعة الأفراح

فتقول "رانيا" في الحال وبشكل غير متوقع

- وأنا هاقعد معاك يا "وليد"، وبالمرة ننزل البدورم نشوف الجرايد والمجلات اللي قتلتك عليها

فتقول السيدة "بهية" مأكرة متصنعة الاستنكار

- لأ طبعاً، إزاي تقعدوا في البيت لو حدكم مع بعض! آه انتوا إخوات ومتربيين مع بعض، بس برضة مايصحش

فتضحك السيدة "خديجة" إذ تفهم أختها بالرضاعة أكثر ما تفهم نفسها، وتقول
ماكرة بدورها

- إيه يا "ديدي" التفكير القديم ده! سيبني كل واحد براحتة، وما تخافيش يا ستي،
البت "سماح" الهاوس كبير مقيمة هنا أصلاً، وكمان السباك جاي يركب الادشاش
السماعة الجديدة في الحمامات، و"رزق" هايقف معاه، يعني الفيلا هاتبقى دوشة
أصلاً، سيبهم يتنيلوا ينزلوا البدروم يشوفولهم فيلم رعب من اللي بيحبوهم
ويتسلوا، وإحنا نروح الفرع نهيص وناكل ديك رومي

وتبتسم السيدة "بهية" مرحة بهذا الاقتراح، وبتتسم "وليد" على مضض مشفقاً،
ليس بالاقتراح، بل لما ينتظره على صفحات المجلات والجرائد عن أنباء الهالكين
أمام الكباتن الشرقية.

تنظر إلى "وليد" بينما يقلب في المجلات والصحف باهتمام وتركيز شديدين،
بسمرتة الجذابة وذراعيه المنحوتين المشعرين قبل الأوان، وشعره الأسود الداكن
الكثيف الناعم، أجل كل هذا! وملاحه الذكورية المتناسقة رائعة الوسامة، أنفه

المستقيم، ووجنتيه الضامرتين الرجوليتين، وعينييه السوادوين الداكنتين كما شعره، تنظر إليه من حيث لا ينظر إليها، وتراه من حيث لا يراها، وقلبها يخفق بقوة بين جوارحها، حب مراهق وليد يتفجر في أركان قلبها للصبي العابث الذي كان تلاعبه وتداعبه وتغيظه بالأمس القريب، والذي كانت لا يمكن أن تفكر فيه بأي شكل إلا أنه أخوها، أو أكثر من أخيها، لكن للقلب أحكامه كما يقولون، وها قد غدا الصبي شاباً يافعاً يتغنى بوسامته المغنون، وهي الأخرى صاراة فتاة رائعة الأنوثة والجمال، أشبه بالعارضات اللاتينيات في حسنهن، بشعرها المتعرج النائر المنتشر في كل الأماكن، ليعلن عن روعتها ورشاقة روحها، وبرغم كل هذا لا ينتبه إليها، برغم أنها ارتدت القميص القطني السكري الشتوي الذي لطالما أثنى عليها فيه، لكنه لم يقل كلمة ثناء واحدة هذه المرة، ونزل إلى القبو بعد الغداء مباشرة، وأخذ يقلب في الصحف والمجلات باحثاً عن أخبار الغرقى والهالكين في "بورسعيد" منذ العدوان الثلاثي عام ١٩٥٦، وكلما همت بقول شيء لتقاطع تركيزه وتقطعه، وتعيد توجيهه إليها، يخونها لسانها وشجاعتها سواء، وتتحرك حوله في كل أنحاء الغرفة... أعني القبو، لتنتشر عبير عطرها الإيطالي الفواح شديد السحر والغموض، والذي اشتراه له والدها هدية من عبر البحار، ولتنتشر سحرها وطاقتها ورسل أنوثتها في أرجاء المكان، لكن مستقبلاته معطلة... كلها معطلة، إلا عن المجلات والصحف الذي يشغل نفسه وعقله بها، تعس وخاب وخسر- هذا الغافل! وينطق الحجر الأصم في النهاية متحسماً ليقطع حيرتها، وتتهلل هي لحديثه

إذ أنه لم ينطق لقراءة نصف الساعة منذ أن نزلا إلى القبو بعد الغداء، يقول "وليد" أو يصبح بمعنى أدق وكأنه وجد ضالته

- الحقي يا "رانيا"! شوفي الخبر اللي أنا لقيته في جورنال الأخبار ده

فتقبل عليه سريعاً وكأنها متحمسة لحماسته، وتجلس بجواره على الأرض، وإذا تجلس تعتمد العابثة أن يصيب بعض من شعرها وجهه، فيبعده في غير اهتمام بدون أن ينظر إليها حتى، فيخيب أملها، لكنها تبتلع كبرياءها وتتصنع الاهتمام إذ تسأله - إيه! لقيت إيه؟

فيقرأ عنوان الخبر باهتمام وتركيز شديد

- "اختفاء عائلة بأكملها من مصيف الشرطة ببورسعيد في ظروف غامضة"

فتقول وقد استرعى انتباهها عنوان الخبر

- أيوة! هو ده الخبر اللي كنت باقولك عليه، وكم ان القصه دي "بورسعيد" كلها كانت بتتكلم عليها، ولسته بتتكلم عليها لحد دلوقتي والله، مع إن الخبر ده من فترة طويلة أوي، هو الجورنال ده بتاريخ كام؟

- بتاريخ ١٧ أغسطس ١٩٨١

- أيوة هو تقريباً من ١٠ سنين، طب اقرأ الخبر فكرني بيه كدة

- "في صباح يوم الاثنين الموافق الـ ١٧ من أغسطس، استيقظ المهندس "طارق أنور" ٣٧ عام مبكراً ليصطحب أبنائه الثلاثة "دينا" ١٢ عام و"نادر" ٨ أعوام و"أحمد" ٦ أعوام، للشاطئ كعادته، بينما تعد والدتهم السيدة "إقبال الناقوري" ٣٢ عاماً الإفطار، وكان قد حجز لهم كابينة في الكبائن الشرقية في مصيف ضباط الشرطة ببورسعيد كعادته كل صيف، لكن المفاجأة كانت أنه لم يجد أياً منهم، ل الأم لأ الأبناء، فظن أنهم ربما سبقوه للشاطئ، فتوجه إلى الشاطئ لمواجهة للكبائن الشرقية والذي يفصلها عن البحر، لكنه لم يجدهم في أي مكان أيضاً، فتسلل القلق إلى نفسه وتوجه لبوابة المضيف وسأل أفراد الأمن هل غادرت عائلته المصيف متوجهة لأي مكان، لكن أفراد الأمن الذين يعرفون عائلته جيداً ويعرفون أبنائه الثلاثة بالاسم، أكدوا له أن أياً من أفراد عائلته لم يغادر بوابة المصيف منذ تولوا نوبتية الأمن منذ منتصف ليل أمس، فاشتعل القلق والجزع في نفس المهندس "طارق" والذي توجه إلى العقيد "محمد الطوسي" مدير المصيف وأخطره بالأمر، وفي الحال أخطر العقيد "الطوسي" قوة خفر السواحل المكلفة بحراسة الشاطئ بالبدء في الحال في أعمال البحث بالتعاون مع أفراد الإنقاذ بالمصيف، وأكدوا له بداية أن أحداً لم ينزل البحر منذ الـ ٧ مساءً أمس حتى الـ ٩ صباحاً، وأكدوا لهم أنهم لو يروا أي امرأة ولا أطفال ينزلون البحر بالمرة، وأخطر العقيد "الطوسي"- إدارة مباحث مديرية أمن بورسعيد والتي بدأت البحث في الحال، وتوجه العميد "ياسر البربري" مدير مباحث المديرية لمصيف ضباط الشرطة وبدأ في جمع

التحريات، واكتشف بداية أن سيارة المهندس "طارق" لا تزال موجودة بالمصيف ولم تبرحه، وبسؤال كل العاملين في المصيف أكدوا أنهم لم يروا الزوجة المفقودة ولا أبناءها الثلاثة منذ ليلة أمس، وجاء في أقوال الرقيب "شحات عبد الجواد" فرد الإنقاذ المعين من قوة تأمين الشاطئ للفترة الصباحية، أنه أكد أيضاً أنه لم ير السيدة "إقبال" ولا أبناءها الثلاثة، وأكد أنه يعرفهم جيداً إذ يترددون على المصيف كل صيف منذ ٦ أعوام تقريباً، وأن السيدة "إقبال" كانت تشدد عليه دائماً أن يولي أبناءها كل اهتمامه وتركيزه، وأكد أنه لم يرههم صباح يوم الاثنين الموافق الـ ١٧ من أغسطس بل وأقسم على ذلك، ولدى سؤال المهندس "طارق" ما إن كانت هناك أي خلافات بينه وبين زوجته السيدة "إقبال" تدفعها لهجر منزل الزوجية، أكد أنه يحب زوجته حباً جماً وأنه بالأمس القريب اشترى لها خاتماً ذهبياً باهظ الثمن هدية عيد زواجهما من أحد تجار الصاغة بشارع الاستاد، وقدم فاتورة شراء الخاتم، وعليه فقد تم إخطار السيد اللواء "إبراهيم عبد الجابر" مدير أمن بورسعيد والذي أمر بتوسيع دائرة البحث وإخطار مصلحة الأمن العام بمواصفات المفقودين

وبعدما فرغ "وليد" من قراءة الخبر نظر إلى "رانيا" مشدوهاً فاغراً فمه من شدة التعجب والحيرة، وسألها أول سؤال منطقي خطر على باله

- طب راحوا فين؟

ولم تجب "رانيا" بكلمة واحدة، بل توجهت إلى صندوق آخر من صناديق المجلات والجرائد المكدسة بعناية تحت سلم القبو، وأخذت تقلب في المجلات والصحف وكأنها تعلم عما تبحث تحديداً، حتى توقفت وابتسمت ابتسامة ظافرة وقالت

- أهم! لقيتهم، خذ اقرأ دول، اقرأ العناوين مش مهم اللي جوا، هما هاي فهموك إيه اللي حصل

وأعطت "وليد" ٣ أعداد من جريدة الأخبار ذاتها، وأخذهما من يدها ببطء وقرأ أول خبر أشارت إليه في الصفحة الأولى بالجريدة

- "النيابة العامة تأمر بحبس المهندس "طارق أنور خلاف" ١٥ يوماً على ذمة التحقيق بتهمة قتل زوجته وأبناءه"

وعلى خلاف نصيححتها بدأ "وليد" يقرأ المقال بعناية وتركيز شديدين ليتبين كيف انقلب الحال وتحول المآل بالمهندس "طارق" من الضحية إلى الجاني، قرأ في صمت الموتى، ثم جاء في فقرة ورفع صوته ليعلم "رانيا" بما يراه مهماً أو بما يبحث عنه تحديداً

- "وقد تقدمت السيدة "سميحة عبد القادر" والدة السيدة "إقبال عادل الناقوري" زوجة المهندس "طارق أنور" المفقودة، تقدمت ببلاغ للنيابة العامة تتهمة فيها بقتل زوجته وأبناءه الثلاثة وإخفاء جثثهم، وعللت ذلك بوجود خلافات بينه وبين زوجته وصلت إلى التعدي عليها بالسب والضرب، بما أدى إلى

أن هجرت الزوجة وأبناؤه الثلاثة منزل الزوجية في شهر يناير من العام الماضي ١٩٨٠، وأقامت في منزل والديها ما يقارب الـ ٣ أشهر، وأنها أثناء تلك الفترة طلبت الطلاق منه، وقدمت السيدة "سمحية" الشهود على ذلك، ورقم المحضر- الذي حررت الزوجة "إقبال" بقسم "النزهة" تتهم زوجها المهندس "طارق أنور" بالتعدي عليها بالسب والضرب وإحداث إصابات، بما يتنافى ويدحض أقوال المهندس "طارق" بأنه لم يكن بين وبين زوجته أي خلافات سابقة، لذا ارتأت النيابة العامة أن تحبسه ١٥ يوم على ذمة التحقيقات"

ثم تشير "رانيا" إلى عنوان آخر في عدد آخر من الجريدة ليقراءه "وليد"، فيقرأه بصوت عال في تركيزه واهتمامه الشديدين

- "إخلاء سبيل المهندس "طارق أنور" من سراي النيابة في تهمة قتل زوجته وأبنائه الثلاثة"

فيرفع "وليد" حاجبيه وترسم على وجهه ملامح عجيبة تجمع بين الدهشة والبلاهة، أو وكأنه يتهم نفسه بالبلاهة والبلاهة وسوء الفهم ضمناً، حتى تشير له "رانيا" إلى العنوان الأخير على العدد الثالث والأخير من جريدة الأخبار، وتقول وهي تبتسم ابتسامة التشويق أو من يخفي مفاجأة

- خذ الثقيلة بقى!

فيقول "وليد" في دهشته

- هو فيه أثقل من كدة!

فتهمز "رانيا" رأسها بالإيجاب وعلى وجهها ذات ابتسامة التشويق الجذابة الرائعة،
ويقرأ "وليد" الخبر بصوت مرتفع

- "اختفاء المهندس" طارق أنور" في ظروف غامضة بعد أقل من ٣ أشهر من
اختفاء زوجته وأبناء الثلاثة... ومن نفس المكان!"
وفي ردة فعل لاشعورية فزعة يصيح "وليد"

- يا نهار اسود!

وتعاجله "رانيا" وقد انتقلت إليها عدوى الإثارة

- انت لسة شفت حاجة! خش اقرأ الخبر جوة وانت تشوف البدع

- بدع أكثر من كدة!

وتهمز "رانيا" رأسها بالإيجاب متفاعلة معه وتشير بيدها بأن يقرأ الخبر، ويقلب
"وليد" الصفحات متلهفًا حتى يصل إلى متن الخبر، ليجد المفاجأة الأخطر
والأروع من كل ما قرأ، ليجده هو، هو بذاته! بشاربه المستق، بملاحه الوسيمة
الأشبه بملاح "رشيدي أباطة" وكأنه توأمه، ويهم بأن يخبر "رانيا" لكن يتراجع
لسبب ما غير معلوم، أهو خائف ألا تصدقه وتتهمه بالتخريف والهزيان وهلاك
الأعصاب كنتيجة منطقية للثانوية العامة ويسقط تباعاً مقامه في نظرها؟ أم هو

خائف من ذكر الأمر في حد ذاته؟ لذا يقرأ "وليد" الخبر في صمت وعيناه محدقتان بشدة في الجريدة وكأنه يخشى أن تهرب الكلمات من على الورق، حتى يصل إلى جزء يرفع فيه صوته مجدداً ليسمع "رانيا"

- "وكان المهندس "طارق أنور" لم يغادر مدينة بورسعيد منذ اختفاء زوجته وأبنائه منذ قرابة الـ ٣ أشهر، وحتى بعد اتهام النيابة له بقتلهم ثم تبرئته وإخلاء سبيله، إذ كان يشترك يومياً مع دوريات خفر السواحل في البحث عن أبنائه في عرض البحر، ويطلع على آخر تحريات المباحث في القضية، والتي أكدت له أنه قد تم نشر- نشرة بحث عنهم في كل أنحاء الجمهورية منذ ٣ أشهر، وفي المطارات والموانئ، ولم يثبت خروجهم من القطر بأي شكل من الأشكال، حتى صباح السبت الموافق الـ ٢٨ من نوفمبر ١٩٨١، وإذ طرق الرقيب "شحات عبد الجواد" من قوة تأمين الشاطئ باب الكاينة ٩ البلوك "١٦ د"، والتي يقطن بها المهندس "طارق" منذ وصل مع عائلته لمصيف ضباط الشرطة لقضاء أسبوعين كعادته كل صيف، حتى الحادث المشؤوم واختفاء عائلته، حتى اليوم الذي اختفى فيه المهندس "طارق أنور" شخصياً في التاريخ المذكور سلفاً، إذ أن الرقيب "شحات" لم يتلق رداً بعد الطرق على الباب أكثر من مرة، فأخطر النقيب "أحمد عزام" ضابط عظيم مصيف ضباط الشرطة، والذي انتقل إلى الكاينة المذكورة وأمر بكسر الباب بالقوة، وبعد دخول الكاينة تبين عدم وجود المهندس "طارق" فيها، بالرغم من وجود سيارته، وبعد البحث والتحري كل الجهات المعنية، ثبت عدم مغادرة المهندس "طارق" مدينة

بورسعيد نهائياً، وأكدت دورية خفر السواحل وأفراد تأمين الشاطئ أنه لم يخرج للشاطئ منذ دخل كابينته آخر مرة ليلة الجمعة الموافق الـ ٢٧ من نوفمبر ١٩٨١، وعليه فقد السيد اللواء مدير الأمن بتوسيع دائرة البحث وبذل أقصى جهد لحل هذا اللغز الغامض، وعليه فقد أمرت إدارة مصيف ضباط الشرطة بغلق الكبائن الشرقية والشاطئ المواجه لها، حتى انتهاء أعمال البحث والتحري في القضية."

ويغلق "وليد" الجريدة مذهولاً، وينظر إلى "رانيا" نظرة تجمع بين الدهشة والإشفاق، الإشفاق على نفسه مما عرف أو ربما مما يتظره، أم الإشفاق على مصير عائلة المهندس "طارق أنور"، لم يكن أحد ليعرف، ثم صمت طويلاً وبدأ أنه يفكر في أمر جلل، حتى سأله "رانيا" قلقة

- مالك يا "طارق"؟ هي القصة دي أثرت فيك؟ أنا برضة لما قرأتها أول مرة أثرت فيا أوي لدرجة أنني عيظت، مع إنني دمعتي مش قريبة زي ما انت عارف، بس بصراحة كلهم صعبوا عليا أوي

فيسألها "وليد" سؤالاً بدا منطقياً لها ولها سواء

- طب ما فيش أي أخبار تانية عندك منشورة عن الموضوع ده يا "رانيا"؟

فتقول متحمسة وكأنه عرف ما جال برأسها

- والله يا ابني انت ابن حلال، عمرك أطول من عمري، هو ده السؤال الي بأسأله نفسي من ييجي ٨ سنين من ساعة نا قرأت الخبر ده لأول مرة، ليه فجأة بطلوا ينشروا أي أخبار عن الموضوع ده؟ هل اكتشفوا حاجة وحشة والعياذ بالله متعلقة بالقضية دي؟ هل لقوا العيلة دي مقتولين أو غرقانين مثلاً وخافوا ينشروا الخبر عشان سمعة المصيف وسمعة "بور سعيد" كلها؟ بعد الخبر الأخير ده الي انت لسة قاريه دلوقتي يا "وليد"، شوف والله العظيم قلبت الدنيا عن أي أخبار تانية منشورة عن القضية ده، مالقيتش، وكأنهم منعوا النشر- في القضية دي بأوامر عليا زي ما يقولوا، حاجة غريبة جداً!

فصمت "وليد" مجدداً وكأنه يراجع نفسه في أمر، ثم قال فجأة آخر ما قد يخطر لـ "رانيا" ببال

- تيجي نروح المصيف دلوقتي؟

وكما سألها آخر ما قد يخطر لها ببال، كانت ردة فعلها آخر ما قد يخطر له ببال، إذ ضحكت بشدة وقالت شديدة الثقة

- والمصحف كنت عارفة عارفة إن الموضوع ده فيه إن، انت مش مضبوط من ساعة ما جيت، وأنا عارفك يا "وليد" أكثر ما أنا عارفة نفسي، أنا هاروح معاك المصيف، هاروح معاك جهنم لو عوزت، بس مش هاتحرك ملي واحد من مكاني قبل ما تحكي لي كل حاجة... كل حاجة يا "وليد"!

فيتسم "وليد" ابتسامة مطمئنة لأول مرة منذ أن خطت قدماه أرض "بورسعيد"، أو ربما لأول مرة منذ أن ظهر هذا اللغز الغامض المزيج برمته في حياته، وكيف له ألا يتسم وقد شعرت بما في نفسه وعرفته بدون أن ينطق بكلمة واحدة عنه، لذا أجاب "وليد" متفائلاً مستبشراً

- هاحكيلك يا "رانيا"... هاحكيلك كل حاجة

كانت الساعة تقارب على الـ ٧ مساءً، وكان البارد قارساً، وكان المصيف خاوياً على عروشه، من المجنون الذي سيود أن "يتفسح" في مصيف ضباط الشرطة في شهر يناير! إلا إذا كان في نفسه حاجة، وهذا المصيف له تاريخ أسود بالفعل من النفوس ذوات الحاجات، مما جعل أفراد الأمن يرفضون دخول "وليد" و"رانيا" لدى وصولهما، لكن "رانيا" تلك الشابة شديدة الذكاء وسرعة البديهة، وبكل هدوء ما كان منها إلا أن قالت لفرد الأمن المعين على البوابة عندما رفض دخولهما تنفيذاً للتعليمات

- يعني أروح لعمو "إبراهيم" مدير النادي وأقوله إنه أمن البوابة منع بنت القبطان "هشام رفعت" وابن أخته من الدخول بدون أي سبب وجيه لمجرد إنهم جاينين في الشتاء؟!

ولمن لا يعرف فـ"عمو إبراهيم" هذا الذي لوحت باسمه هو العميد "إبراهيم عمران" مدير مصيف ضباط الشرطة، والصديق الصدوق لوالدها القبطان "هشام رفعت"، وبالطبع ما كان من الرقيب "عبد التواب" المسكين المعين خدمة البوابة إلا أن أخطر ضابط عظيم المصيف على جهاز اللاسلكي، والذي كان نائباً في استراحته، بالطبع، وكيف له ألا ينام والمصيف لم تطأه قدم منذ قرابة الـه أيام! ما كان منه إلا أن قال له بصوت نعس

- ماتدخلهم يا عم "عبد التواب"! أهم يعملوا حس للمكان بدل ما إحنا حاسين إن إحنا قاعدين في الترب كدة!

وفي الحال فتح الرقيب "عبد التواب" البوابة على مغاليقها، ودخلت "رانيا" بسيارة والدها المرسيدس الصفراء، والتي سرقتها خلصة بدون علم أمها، أجل أمها فقط! فقد كان والدها القبطان يسمح لها بسرقتها كلما أتاحت لها الظروف ذلك، بل كان يسعد بذلك، فهو من علمها القيادة في النهاية، هي و"محمد" توأمها بالطبع، دخلت "رانيا" وركنت السيارة في البارك، حيث لا سيارات أخرى سوى بضع سيارات شرطة كحلية معظمها صدئة بفعل الرطوبة المستبدة، وسيارة النقيب "وائل" ضابط عظيم المصيف الـ١٣١ الفيات البيضاء، وترجلا من السيارة وتوجها لداخل المصيف، وإذ هم "وليد" يجلس إلى أول منضدة وجدها أمامه، جذبت "رانيا" يده الذي كاد يسحب بها الكرسي الخيزران المتهالك ليجلس عليه، وجذبت ورائها إلى حيث المنصة أو في قول آخر "مسرح المصيف"، والذي كانت كل الحفلات الغنائية

في كل الأعياد والمواسم تقام عليه بلا استثناء، والذي يتوسط المصيف بالضبط ويعلم أرضه بحوالي مترين أو أكثر أو ٧ درجات سلم تحديداً، أي في نقطة المنتصف بالضبط بين الكبائن الغربية... والكبائن الشرقية، تلك المنصة التي كانت أضواؤها مظلمة بالمناسبة، وكانت أقرب ضوء لها هو أضواء أعمدة الإنارة في المصيف على بعد أكثر من ٧٠ متر، وبالطبع لكم أن تتخيلوا كيف كان شعور "وليد" وهو يجلس في هذا المكان المظلم فاحش البرودة، وعلى بعد أمتار منه المكان الذي وقع فيه الحدث أو الحادث إن شئتم الذي يورق كل حياته منذ ٦ أعوام، وما زاد توتره وقلقه في تلك اللحظة أن "رانيا" جلست ولم تنطق بكلمة واحدة لحوالي ٥ دقائق، بما جعل "وليد" يشتعل قلقاً إلى قلقه وتوتراً إلى توتره ويكسر هذا الصمت المقبض الثقيل ويصبح منفِعلاً

- يعني مش كفاية إنك جايانا المكان المظلم القطبي المقبض ده، لأ وساكته كمان، ومش عاوزة...

فتعاجله "رانيا" هامسة

- ششششش! وطي صوتك يا بني آدم لحد يسمعنا!

فيقول "وليد" متعجباً

- هو إحنا مفروض ماحدث يسمعنا؟!

فتقول جازمة وهامسة مجدداً

- آه طبعاً يا ذكاوة! أنا جايك هنا مخصوص أولاً عشان نبقي كاشفين المصيف كله،
وثانياً عشان ده أبعد مكان عن عيون الأمن والعساكر اللي راحين جايين، وبعد ما
أطمئن إن مافيش رجلين كتير رايحة جاية، هانتحرك
وبليداً يسألها "وليد"

- هانتحرك نروح فين؟

فتكسر السكون بدورها وتقول منفعة

- انت أكيد بتهرج! انت هاتجنني يا "وليد"! أكيد هانروح الكباين الشرقية يعني،
أمال انت جايينا هنا ليه؟! مش انت يا ابني لسة حاكيلى إن القصة اللي حصلتلك
والراجل الغريب اللي شفته سنة ١٩٨٤ والي بيطلعلك في الكوابيس من يومها،
شفته في الكباين الشرقية، وأدي الكباين الشرقية
وتشير بيدها تجاهها، ثم تكمل ماكرة

- إحنا بس هانصبر خماسية كدة لما نتأكد إن ماحدش واخد باله مننا وإن المصيف
مافيهوش غيرنا، وفي جنح الليل زي ما بيقولوا نتسلل ونروح هناك
- هناك فين؟!

- "وليد"!

فيقول مفتعلاً الضحك ليهزم قلقه

- معلش معلش! بالعب معاكي بس عشان نقتل الجو الكئيب ده!

- طب باقولك إيه، تعالى نرغي شوية ولما الواد بتاع الطلبات مايحيش، وأكيد مش هاييجي، مين ابن مجنونة ييجي لاتنين مجانيين زينا يشوفهم عاوزين يشربوا إيه في الإيسكيمو الي إحنا فيه ده ده! ده أكيد أصلاً البوفيه قافل من ٣ أشهر!

ويتبادلان بضع ضحكات فاترة، وإذ تهم "رانيا" بأن تبدأ حديثاً رتيباً لقتل الوقت، وستار الظلمة والبرد الطاغي اللذين يمحقان أي فرصة لحوار سوي مطمئن مثمر، وإذ تقول

- هاه بقي يا سي "وليد"، عامل إيه في الثانوية البلوة... قصدي الثانوية العامة؟!

ثم بضع ضحكات فاترة أخرى، ثم ترسم على وجه "رانيا" ملامح ضيق وعدم ارتياح مفاجئة ترجمها بالتعبير الدارج لمن باغته شيء مزعج على غير ميعاد - يبييه! وده وقته برضة!

فيقول "وليد" فزعاً

- إيه! فيه إيه؟ شفتي حاجة؟ جراك حاجة؟

فتنفجر ضاحكة بضحك عصبي ثم تقول وكأنها تغالب أو تقاوم شيئاً ما

- يقطع الشتا والي بيعمله في البنات، لازم أروح الحمام دلوقتي حالاً وإلا هاتحصل كارثة، يا رب ألاقيه فاتح أصلاً، كان لازم يعني أتتيل وأشرب شفشق عصير برتقان قبل ما نيجي! ثواني وراجعالك يا "ليدا"

فيضحك "وليد" على رغمه، وتنطلق العابثة "رانيا" إلى المبنى الاجتماعي حيث دورات المياه، والذي يقع جنوب المنصة على بعد حوالي ٥٠ متر منها، ويفاجأ بأنه صار وحده في هذا المكان المظلم شديد الوحشة والكآبة، لذا يقوم من كرسيه في الحال، ويبدأ في المهمة بالمعوزتين وبآية الكرسي وبالأذكار التي حرص على حفظها مثل هذه المواقف، وأخذ يتمم بها بشكل عصبي شبه هستيري وهو يحب المنصة ذهاباً وإياباً، وهو يشاهد أضواء مراكب الصيد والقوارب السيارة في عمق البحر تزيد ظلمة ووحشة، ومع كم القلق والتوتر والخوف المتنامي في نفس "وليد" وعقله سواء لم تجد هذه الوسيلة أي نفع في تهدئة روعه، فينزل بضع درجات السلم التي في الجهة الأخرى من المنصة المؤدية للممشى البحري المؤدي إلى البحر، حيث عامود إنارة ضوءه شديد الخفوت يتوسط الممشى، لكنه أفضل من الظلمة المطبقة، ويسير "وليد" أو بالأحرى يمد السير حتى يصل إليه ويجلس تحته على السور القزم الذي يحد الممشى من الجانبين، ويبدأ مجدداً في المهمة والتمتمة بالآيات والأذكار وهو يدعو الله مخلصاً في قرارة نفسه أن تعود "رانيا" بأسرع ما يمكن، وما كادت بضع دقائق تمر إلا وسمع صوتها ينادي باسمه من وراء ظهره، ففرح بشدة لحد أنه هب من مكانه وقال متلهلاً بدون أن ينظر إلى مصدر النداء

- الحمد لله إنك رجعت بسرعة يا شيخة، باقولك إيه! أنا غيرت رأيي، يللا نروح ويا إما نيجي الصبح يا إما مانجيش هنا تاني خالص، أنا آسف على الاقتراح الزفت ده إن إحنا نيجي هنا دلوقتي

ويتنظر "وليد" من "رانيا" الرد على اقتراحه بالانصراف، لكن الرد يتأخر، كل هذا و"وليد" لم ينظر وراءه بعد إلى حيث سمع النداء، ويتنظر بضع ثوان أخرى عساها تأتي بفكرة أفضل أو توافق على اقتراحه، لكن لا شيء... لا شيء بالمرّة! فيلتفت وراءه وهو يقول لائماً

- جرى إيه يا "رانيا"! كل ده عشان...

أجل! بالضبط كما توقعتم، قطع "وليد" كلامه إذ لم يجد أحداً وراءه، لم يجد أي أحد، لا "رانيا" ولا غيرها، كيف إذن؟ ومن أين سمع هذا النداء ومن صاحبه، لذا بالطبع ينادي "وليد" في العدم أمامه وهو واثق أن لا أحد أمامه، ينادي فرعاً بصوت مرتعد وقلبه يتهاوى بين ضلوعه

- "رانيا"!... انتي فين يا "رانيا"؟!

وبالطبع ما كان منه أن ينتظر كثيراً في هذا المكان المريب الغريب، بعدما رآه منه أول مرة، وها هي تتكرر الكرة، وإذ بهم بالركض هرباً من هذا الفخ الشيطاني المفزع، يسمع صوت النداء باسمه مرة أخرى... مجدداً، وبصوت "رانيا" مجدداً، أو ما بدا أنه صوت "رانيا"، واضح جلي مقبض مفزع كما صوت الرعد الهادر يلقي الرعب

في القلوب، لكنه هذه المرة وكأنه ميز مصدر الصوت، حيث يوجد أمامه الدش العمومي الذي يتحتم فيه المصطافون من ماء البحر ويغسلون فيه أرجلهم من رمل الشاطئ، وهو عامود مصيص عريض بما يكفي ليختبئ شخص بالغ وراءه، فظن "وليد" للحظات ظناً منطقياً أنها ربما "رانيا" تعبت معه وتداعبه مداعبة سمجة وتحاول إخافته أكثر ما هو خائف، لذا يقترب "وليد" من الدش العمومي حذراً وجللاً، والذي يبعد عن الممشى البحري بحوالي ١٠ أمتار، وإذ هو في منتصف المسافة يكاد يغشى عليه من فرط الترقب والخوف، ومن فرط خفقان قلبه والعرق البارد الذي نضح فجأة من كل عضو في جسده، قرر مجدداً أن يهرب بحياته من كل هذا الخوف والعبث، ومجدداً ما أن يهم بالركض هرباً، حتى يسمع النداء باسمه مجدداً، لكن هذه المرة بأداء أكثر دلالاً ومداعبة، بما جعله يعود مجدداً للظن بأنها "رانيا"، فذلك أسلوبها البغيض في العبث والمقالب، وإذ كانت بضعة أمتار فحسب تفصله عن الوصول للدش العمومي، لذا استجمع "وليد" بعناء شديد ما تبقى من شجاعته المهذرة، وقال هو يقترب سريعاً من الدش بصوت صادق الخوف متصنع اللوم

- على فكرة التهريج ده مش لطيف يا "رانيا"، إنتي عارفة إن أعصابي تعبانة وإني مابحيش...

ومجدداً كما توقعتم، يقاطعه أنه إذ يلتفت حول عامود الدش العمومي ليجد "رانيا" متلبسة بالجرم المشهود، لا يجدها... ولا يجد أي أحد! وإذ رأى "وليد" كل هذا

وشهده ورآه رأي العين، أدرك في الحال أن شيء ما شيطاني وخبيث يحاك له، وأنه هو المقصود به تحديداً، لم؟ لم يكن يعرف، ولا يهتم البتة في تلك اللحظات المشؤومات النحسات بمعرفته، لذا عليه النجاة بحياته منه في الحال إن كان ناجياً، وإذ بهم بالركض هرباً بحياته مجدداً! يترأى له شيئاً ما على الشاطئ، وتحديداً في منطقة التقاء الشاطئ بالبحر، وكأنها فتاة! أجل هي فتاة، فهي ترتدي ثوباً، ثوب واضح المعالم، حتى على تلك المسافة البعيدة، إنه بنصف... أو ربع كم، إنه أصفر، أجل أصفر وبه رسومات يستحيل تبينها من بعيد، ويمتد لبعد الركبتين بقليل، بالكاد يغطيها، وبه أزار من الصدر إلى الوسط، لكن... أيعقل أن ترتدي فتاة مثل هذا الثوب في مثل ذلك الطقس فظيع البرودة؟! ومالي أراها وكأنها تقف وقدمائها تغوصان في الماء، قدمائها فحسب، كمن يريد أن يبل قدميه بماء البحر إذ يزوره بعد اشتياق، هل أركض نجاة بحياتي... كما أظن! أم أن البقاء هو النجاة والركض فيه هلاكي؟ كم هربت من قبل ولم ينفعني هروبي، ولم يذهب روعي، ولم ينمني مرتاحاً مطمئناً، أم أواجه المجهول؟ مهلاً! أولسنا كلنا نواجه المجهول في كل يوم جديد نستيقظ فيه؟! وبقدر ما يبدو المجهول مخيفاً ومجهولاً نواجهه على أية حال! كفى هروباً، كفى جنباً، كفى انهمازاً، ومن حيث لا يحتسب "وليد" وكأن ناراً اشتعلت في قلبه وساقيه سواء، فبدأ يتحرك تجاه الفتاة، أقسم لكم بذلك، لو لم أره بأم عيني لما أقسمت، لم يتحرك فحسب، بل بدأ يسرع الخطو تجاهها، وعلى وجهه ترتسم ملامح تحد، كلا! ليس تحديداً، بل ملامح غيظ أو ربما غضب، وكأنه ذاهب ليفتك

بالبفتاة، أو وكأنها يراها الشيطان الذي يقتحم كل أحلامه فيحيلها كوايس،
والعجب أن أخذ يصرخ بكل ما فيه من عزم ويأس وخوف قديم دفين، يصرخ كما
المجنون، كما المهووس، كما المسوس، كفارس مغوار يلقي بنفسه في غمار المعركة

- أنا مش خايف منك على فكرة! شيطانة بقى، جنية من اللي يقولوا إنهم عايشين
في بطن البحر وبيظهروا للناس بالليل، روح واحدة غرقت من زمان، أياً كنتي...
أنا مش خايف منك، قل لن يصيبنا إلا ما كتب الله لنا

ويسرع "وليد" الخطو، يسرع ويسرع حتى يهرول، ويهرول حتى يركض، يركض
على غير هدى، لا يعرف ماذا سيفعل عندما يصل له، وأياً كان هذا الكيان المتجسد
بفتاة، ماذا سيفعل عندما يقف أمامه وجهاً لوجه، وماذا سيقول له، كل هذا لم يهم
"وليد" في تلك اللحظة، المهم كان أن يصل، يصل فحسب، وما هي إلا بضعة أو
بضع عشرات من الخطوات، حتى وصل، وصل إلى الفتاة ذات الثوب الأصفر،
وجهاً لوجه، لا تفصله عنها إلا بضعة أمتار، إنها فتاة بالكاد بالغة، لا تتجاوز الـ ١٤
على أفضل حال، قصيرة الشعر ولكن شعرها دهني أملس جميل، ملامحها لطيفة
هادئة، غير مفزعة ولا مخيفة ولا مزعجة حتى، بل مألوفة هادئة مطمئنة، وقدمها
كما رأهما عن بعد، غائصتان حتى الكاحل في ماء البحر، وقف "وليد" أمامها وقلبه
يدق هادراً بين ضلوعه، سريعاً حتى لا تميز نبضاته، وكل ما فيه مشلول بالخوف
على رغمه، لسانه وملاحظه وكل أعضاء جسده، يتفقد حذراً فحسب، ويتنظر أي
ردة فعل منها، كأن تصرخ ويتسع فمها حتى يبلغ صدرها، أو تنظر إليه بعينيها

فيتبين أنها فارغتان، أو تنقلب ملاحمها الوديعه المألوفه إلى شيطان مريد، أو حتى تقفز من مكانها وتلبسه بلا كلام، انتظر "وليد" بضع دقائق، بلا كلام، بلا حراك... أي حراك، لكن لا شيء، لا شيء على الإطلاق، فقط تقف الفتاة ساكنة كالصنم، أو ربما كالأموات، فهم يقولون أنهم لا يتحركون، حتى عندما يبعثون إلى الدنيا التي فارقوها، هكذا يقولون، تقف باسطة ذراعيها بعض الشيء كمن يقف ليستقبل نسيم البحر بكل ما فيه، مستحيل... في هذا الطقس المسموم! وعلى رغمه ينطق "وليد" كلمات فوجيء أنها أفلتت منه

- إنتي مين يا شاطرة؟ وإيه الي موقفك في المية في الجو البارد أوي ده؟ فين أهلك؟ وتلتفت إليه الفتاة ذات الرداء الأصفر، تلتفت ببطء، وتنظر إليه، فيفزع "وليد" لحظياً لالتفاتها، لكن عندما يرى وجهها على الضوء الخافت الآتي من بعد، يتبدد فزعه في الحال، فهي فتاة عادية تماماً كأى فتاة في سنها، لكن وجهها حزين، حزين بخوف، مشفق إن جاز الوصف، لكن هذا الوجه الطيب المسكين شجع "وليد" ليسألها مجدداً بلهجة حانية مطمئنة

- طب هو انتي الي كنتي بتنادي عليا من شوية؟ فتهمز رأسها في الحال بالنفي، ويصبح وجهها أكثر إشفاقاً وكأنها قد ازدادت خوفاً وإشفاقاً، فيسألها "وليد" حذراً بدوره وقد تسلسل الخوف مجدداً إلى نفسه

- أمال مين الي نادى عليا كذا مرة؟ وإزاي عرف اسمي؟

فتزداد ملامح الحزن في وجه الفتاة، الحزن والخوف سواء، وكأنها تعرف من ناداه، والأسوأ أنها تخاف منه، لذا تهز رأسها في خيبة أمل وانعدام حيلة بدون أن تنطق بكلمة واحدة، وإذ لم يجد "وليد" إجابة يحاول تلطيف الأجواء إذ يسألها

- طب بلاش دي، انتي اسمك إيه؟ أنا عندي أخت صغيرة في سنك تقريباً

ومجدداً لا تجيب الفتاة، ويتحرك نظرها ببطء إلى يسار "وليد"، وكأنها تنظر لشخص آخر سواء، ويتحرك نظرها من اليسار تجاه "وليد"، بما يجعل "وليد" يستنتج في الحال أن أيما تنظر إليه، وأيما جعل ملامح الفزع تلك تحتل وجهها، فهو قادم نحوه، ولكنه أكثر فزعاً من أن ينظر حتى إليه، يحاول الصراخ مهدداً ومتوعداً كما فعل أول مرة، لكن الكلام تحجر في حلقه، كما الدم جف في عروقه، كل هذا والفتاة تتبع ذلك الكيان الذي يتحرك تجاه "وليد"، حتى تتوقف حركة عينيها ورأسها سواء، لقد توقف، على يسار "وليد" بكذا متر، وما عليه الآن إلى أن يتلفت ليتبينه، إن استطاع! لكن هذا الكيان لا يجب الانتظار والتشويق في الأغلب، فينطق هامساً... معذرة! فتتنطق هامسة بصوت متحشرج خبيث ينزع القلوب

- "وليد"!

ولابد من الالتفات، هي التي تناديه باسمه منذ بداية الأمر، هي ليست الفتاة، هي التي تستدرجه، هي التي لا يمكن من صوتها الشيطاني المفرع البغيض أن تبشر- بخير، ولكن! إن كان "وليد" قد وصل لهذا المدى للمواجهة، فلا بد منها في النهاية،

لذا ينظر "وليد"، بسرعة لا ببطء، فلطالما كره التشويق في أفلام الرعب التي يهواها، وليجدها تقف بشعرها المشوش، وعينيها المتسعيتين الصفراوين، ووجهها داكن الحمرة، وشفتيها الدقيقتين الأكثر دكنة من وجهها، وتلك الابتسامة البشعة الواثقة المتحدية، والتي تؤذّن بها بأنها تعلم يقيناً أنها سيدة الموقف، وبقوامها... الغريب أن قوامها لا شائبة فيه، فهو مثالي، بل ليس مثالياً، بل فائقاً، إنها أنثى صارخة الأنوثة، كل ما فيها يصرخ بالأنوثة، نهذاها المستفحلان الفاحشان، خصرها الدقيق، ساقاها الممتلئتان الطويلتان، وهذا الزي العجيب الذي ترتديه، والذي يكشف عن ساق واحدة ليعلن أنوثتها وكما لها ببراعة، وعن بعض الخصر- وجزء من البطن، وعن معظم النهدين العارمين، وعن ذلك الشق الغائر الساحر فيه كتاج يزين الحسن والإغواء، ولو كنت مكان "وليد" أو أينما لما عرفت بما أجيب أو كيف أشعر، هل أخاف وأفزع، أم أنجذب وأستثار، كيف لهذا الوجه المخيف أن يكون على هذا القوام الرهيب؟! لذا تحجر "وليد" ولا عجب معدوم الحيلة مهزوم الوسيلة، ولكنه لم يكن خائفاً، بقدر ما كان مسحوراً مبهوراً، والفتاة المسكينة تنظر إليه بإشفاق، وكأنها تعرف أن هذا ما يصيبه ما أن يرى تلك... تلك... تلك المؤنث أياً كان جنسها ونوعها، إذ وقف مشدوهاً مصلوباً على صلبان السحر والإغواء، وهي تقترب منه وتتلقى بحسن بارع وأنوثة خارجة عن السياق، حتى صارت بجواره، بجواره مباشرة، ثم تقول بنفس اللهجة المغوية وهي تبسم ابتسامة واثقة ينفلق لها الحجر احتياجاً

- انت مش خايف مني؟

فيهز الصنم... معذرة! فيهز "وليد" رأسه بالنفي في الحال، يهزها ببطء غائباً عن الوعي منوماً بالسحر إلا من ساقيه اللتين لا تزالان تحملان جسده، وإذ هم تلك "الكيان" - سأسميها بذلك مؤقتاً حتى أجد لها اسماً - بأن ترفع يدها وتملس بها على وجهه وهي تقول بغوايتها وإغوائها مبتسمة ذات الابتسامة الظافرة الشيطانية

- ولا أنا!

وإذ هم بإذابة وجهه بين أصابعها، وقلبه بين ضلوعه، وأي إرادة في نفسه، تصرخ الفتاة فجأة ناطقة لأول مرة، ومقاطعة كل ذلك الهلاك المحقق

- فوق يا "وليد".... فوق!

وفي الحال تنظر إليها تلك "الكيان"، وقد عبس وجهها فأعلن عن قبحه، وغاضت ابتسامتها واستحالت فماً مزموماً عدوانياً، واتسعت عيناها بشكل شيطاني مفرع لتعلن أن تلك "الكيان" يستحيل أن تكون من البشر في شيء، وانطلقت من فوق الأرض في سرعة شيطانية خارقة كما صاحبته، وطوقت الفتاة بذراعها الذي ازداد طولاً إلى طوله، حتى صار كذراع الأخطبوط في طوله ومرونته، وغاصت بالفتاة في البحر، وقبل أن تغمر المياه رأس الفتاة كلياً، نطقت بكلمتين أخيرتين بلهجة استغاثة وفزع الأرض يملأ وجهها

- الجزيرة الثانية يا "وليد"... الجزيرة الثانية!

يستفيق "وليد" ليجد نفسه ملقى على رمال الشاطئ الرطبة بشعة البرودة، وإن كان هناك معنى للتعبير الدارج "الدنيا تدور من حوله"، فقد شعر به "وليد" في تلك اللحظة، إنه مستيقظ واع، لكنه مخدر مترنح، الخوف يشل عقله عن التفكير، وجسده عن الشعور، فجأة بعد كل هذا الجنون والفرع والصراخ والاستغاثات، سكن كل شيء، كل شيء! حتى موج البحر الذي يحتضر في الرمال على بعد أمتار منه، صار أخرساً، وتراءى في عيني "وليد" وكأن الأمواج صارت لها أيدي، ألف يد! تمتد الواحدة تلو الأخرى لتجذبه إليها، لا عجب إن فكر في ذلك بعد ما رأى، لذا ينسحب "وليد" إلى الورا في حركة فزعة تلقائية وكأنه يحمي نفسه من أيدي الأمواج التي تلاحقه، ولو كان هناك عرض أو مرض اسمه "دوار الشاطئ"، لكان هو الذي يعانيه "وليد" بالضبط في تلك اللحظة، وكأن مخرج عبقرى جسد كل مخاوفه وشياطينه في مشهد مرعب فريد، لا يمكن أن يوجد في أشد أفلام الرعب فتكاً، وفي هزيانته وصدمة يستجمع "وليد" ما استطاع من شتات نفسه ويتحامل عليها وينهض على ساقيه بصعوبة بالغة، وكأنه يحمل جبلاً فوق كتفيه، وفجأة شعر أن الألم الذي أصابه في كتفيه ورقبته منذ وصل "بورسعيد" استفحل واستفحش بكل رهيب، حتى أفلتت منه صرخة ألم رغماً عنه، كتمها في الحال فرعاً خوفاً بظنه من أن يسمعها أي من الأشباح أو الشياطين أو الأرواح التي كانت تحاصره من ثوان معدودات، ثوان معدودات بدت دهرأ من الخوف والفرع،

والشهوة الدخيلة على كل هذا، وتوقف لحظة ليسأل نفسه سؤالاً صدم عقله فجأة،
أيقل أن يكون ذلك الكيان الشيطاني الأنثوي قد أصار شهوته؟! بشعرها الأشعث
المشوش، وعينيها الصفراوين أو ربما الحمراوين أو حتى البرتقاليين، وبشرتها
الحمراء الداكنة وكأنها قد بعثت للتو من الدرك الأسفل من الجحيم، كيف أمكنه
تجاوز شكلها الشيطاني الفظيع الكفيل بإيقاع الرعب في نفوس أعتى الرجال
والعصبة أولي القوة، وكيف في تلك الساعة النحسة الكثيبة وبين استغاثات تلك
الفتاة المسكينة مجهولة المصدر والمصير، كيف في خضم كل هذا، تناسى كل هذا
وانجذب لها بشهوته، كما لم ينجذب بشهوته لشيء من قبل، والأعجب أنه لم يعرف
عن "وليد" يوماً أنه كان شهوانياً، أو ضعيف الشكيمة على شهوته، فجأة تذكر
"وليد" أنه لأول مرة في حياته يشتهي امرأة... معذرة! ليست امرأة، سأصفها
بالأنثى للآن، لأول مرة في حياته يشتهي أنثى في الفراش، ليفتك بها فتكاً بين
تفاصيل رجولته الوليدة، ويفعل بها الأفاعيل، الأفاعيل التي ما كان ليجرؤ أن
يفعلها في أي إناث البشر، فجأة تناسى خوفه وغلبت شهوته مجدداً، فابتسم!
وفوجيء بنفسه يبتسم ففرع أكثر، فركض، وركض وركض وكأنه يهرب من جحيم
عقله وعذاب تفكيره، ركض على غير هدى حتى وصل لممشى البحر الذي بدأ منه
كل ذلك البلاء والابتلاء، حتى وجدها تصعد السلم من الجهة الأخرى من المنصة،
بشعرها المموج البديع تغتصبه رياح البحر الباردة العاتية، فناداها كالمستغيث،
ناداها بصوت يخالطه البكاء، أو كما الطفل يستغيث بأمه بعد أن وقع وهو يتعلم

السير، وهي تناديه بدورها، تناديه قلقلة ملهوفة، كأم، كأخت، أو كحبيبة تجمع كل هؤلاء في صدق ندائها الملهوف، لكن لا يسمع أحدهما الآخر، برغم أن المسافة بينهما لا تتجاوز بضعة أمتار، وكأن كل ما في المشهد صار شيطانياً خبيثاً متآمراً أن يحول بينهما، الظلام الحالِك المستبد، الضوء الخافت المناق، صوت أمواج البحر، والذي غدا هادراً مخيفاً وكأنه يتلبسه ألف شيطان، وحتى رياح البحر اشتدت فجأة، وأصبح صوتها كالصراخ، صراخ العصاة يعذبون في القبور، اشتدت لحد أنها باتت تدفع كليهما دفعا، كل في عكس اتجاه الآخر، تمزقهما عن بعضهما، وفجأة ساد السديم، أو الضباب كما نسميه، الضباب يعمي الأبصار، كقطن أبيض ناصع الظلمة، جعل كلاً منهما يتخبط في سيره، هي في أعمدة المنصة وأحواض الزراع التي تحدها، وهو في رمال الشاطئ التي غدت كالرمال المتحركة، تكاد تبتلع ساقيه ابتلاعاً، وتعالى نداؤهما كل على الآخر، وتعالَت اللهفة والقلق في لحنه حتى غدت استنجاداً واستغاثة، هي تصرخ مقتولة من على مشارف البكاء

- يا "وليد"!... انت رحت فين يا "وليد"؟

وهو يصرخ كطفل انتزع عن صدر أمه

- "رانيا"! الحقيني يا "رانيا"!

وفجأة تذكر "وليد" أنه في خضم كل هذا الفزع والصراخ والشتات، نسى تلاوة القرآن والذكر، فأخذ يتمتم في الحال بها جاء على عقله، آيات من المعوذتين، بضع

من آية الكرسي، {رب إني أعوذ بك من همزات الشياطين وأعوذ بك رب أن يحضرون}، وكلما أزداد، كلما انقشع الضباب، وهدأ صراخ الرياح، وسكن هدير الأمواج، وكلما أزداد، كلما قوى قلبه، وهدأت نفسه، وانقشع الغيم من على بصره وبصيرته، وعلا صوته بالذكر والأذكار، حتى أخذ لحن التحدي والإقدام الذي بدأ به المواجهة، حتى تبدد كل الضباب، وسكن صراخ الريخ وهدير الأمواج، والأغرب أن سرى في الجو نسيماً دافئاً يمزق البرودة الخبيثة التي تثقل الصدور، ورأى كل منهما الآخر... أخيراً، فركضا إلى أحدهما الآخر، حتى التقيا في منتصف المشى البحري، كل كغارق وجد البر بعد أن أيقن بالهلاك، وكادا تعانقه في لهفتها، وكاد يعانقها في تهلهله برؤيتها، لولا أن رأيا برهان عقلهما، وكبح كل منهما نفسه وأمسك عليها شغفها، ولكن الأيدي خانتها، فعانقت بضعها وقبض على بعضها، وتشابكت الأيدي طويلاً تحت ظلال نظرات الحب الطاهر الوليد، الذي يأبى إلا أن يعلن عن نفسه، وقالت في لهفتها مبتسمة ابتسامة حانية

- إيه اللي حصل ده يا "وليد"؟! انت رحت فين؟ وإيه اللي نزلك على الشط ووداك لحد البحر في عز البرد المميت ده؟!
فيقول هو في لهفته

- مش مهم اللي حصل لي، إنتي حصلك حاجة؟ إنتي بخير؟

- مش مهم أنا دلوقتي، إنت إيه اللي وداك عند البحر؟ إوعى تكون شفت حاجة تاني!

- شفت... شفت حاجات!

- يا نهار أسود! شفت إيه تاني؟ شفت الراجل اللي شفته في الكبائن الشرقية زمان؟
- يا ريت!

- أمال شفت إيه يا "وليد"؟ أرجوك قول أنا مافياش أعصاب!

- مش هاتصدقيني

- لو انت مصدق اللي انت شفته، أكيد أنا هاصدقه

فيصمت "وليد" قليلاً ثم يجيب مشوشاً مرتبكاً

- بس أنا مش عارف إيه اللي أنا شفته ده!

- طب اوصفهمولي

- مايتوصفش!

- شفت أشباح؟

- ماعرفش!

- شفت عفاريت؟

- برضة ماعرفش!

- طب الي شفته ده له علاقة باللي حصل من شوية؟ قصدي الضباب المفاجيء
والرياح الشديدة وصوت الموج الرهيب؟

- ماعرفش... تقريباً!

فتصمت متحيرة، ثم تسأله وكأنها قد تجل لها أمر أو طراً في بالها خاطر

- طب فيه حاجة خرجت لك من البحر؟

فيصرخ في الحال وكأنه وجد ضالته

- أيوة! أيوة... والله العظيم فيه حاجة خرجت لي من البحر، بس برضة مش عارف
إيه هي

- هي...! هي واحدة ست؟

فيصمت "وليد" متحيراً وكأنه يبحث عن وصف لها، ثم يقول والفرع في صوته
وملامحه سواء

- هو لو الجنس الي أنا شفته ده فيه ستات ورجالة، تبقى دي أكيد ست، بس
شكلها أبعد ما يكون عن الستات، شكلها ولبسها ولونها وعينيها وشعرها... حتى
جسمها!

فتصمت "رانيا" تتفكر فيما سمعت، ثم تقول بلهجة يقين

- هي مافيش غيرها!

- هي مين؟

فتصمت "رانيا" لحظات ثم تقول وعيناها مليئتان برهبة غريبة

- هي اللي بيقولوا عنها كل الحكايات، هي... "سوار"!

سكان البحر

جلست "رانيا" في السيارة شاردة مسهمة البصر - وفي عينيها مسحة من خوف، و"وليد" على نفس الحال تقريباً، شارد مذهول مصدوم مرتجف الجسد والعقل سواء، جلسا طويلاً بالرغم من البرودة القارسة حولهما، وبخار الماء الذي تكشف على زجاج السيارة الداخلي بسبب أنفاسهما المتسارعة المتلاحقة، حتى تنبه "وليد" فجأة ونظر في الساعة في غير اهتمام، وتكفي ملامح وجهه لتفسر - كان شعوره في

تلك اللحظة، فقد اتسعت عيناه وفمه سواء عن آخرهما في أقصى- شعور بالذهول والدهشة، وارتفع حاجباه إلى أقصى مدى حتى جعدا جبينه بشدة، وقال ملتھياً مصدوماً

- يا نهار أسود!

فقلت "رانيا" فزعة

- إيه؟ فيه إيه؟

- إنتي عارفة الساعة كام؟

ونظرت في يدها في حركة لإرادية وتذكرت أنها لا ترتدي ساعة، وأنها لم ترتديها يوماً، فسألتها في فزعها

- كام؟

فصمت ثم قال في ذهوله

- الساعة ١١ إلا ربع!

فصرخت مصدومة

- إيه! يا نهار أسود! إزاي... وإمتى؟! ده إحنا جايين هنا بالكثير من نص ساعة، ولما وصلنا كانت الساعة ٧ تقريباً، أكيد ساعتك فيها حاجة غلط يا "وليد"، أو ممكن يكون دخلها رمل أو رطوبة فأخرها، اطلع اسأل الساعة كام واثأكد

فنظر "وليد" عبر الزجاج، لكن وجد طبقة بخار الماء المكثف عليه من الداخل والخارج تحول دون رؤية أي شيء، بخلاف الضباب الذي بدأ يملأ الأجواء ببطء حولهما مجدداً، ثم فتح "وليد" باب السيارة متردداً، ونظر إلى "رانيا" مرتباً وجلاً بدوره، لكن لا بد من الترحل من السيارة على أية حال للتأكد من الساعة أولاً، وللتوجه لأفرد أمن البوابة لينبهم أن يفتحوا البوابة للسيارة، فعادة ما يكون أفراد الأمن في تلك الأجواء الموحشة الباردة الحالكة، إما يحتمون بكشك أمن البوابة نياماً، وإما يحتمون بعنابر مجندي الخدمة... نياماً! وترجل "وليد" بعد تردد مضمن من السيارة، ووقف للحظات وسط موقف السيارات الخاص بالمصيف، تائهاً وسط الضباب، لا يعرف أي اتجاه يسلك، حتى كاد يغلبه خوفه ويهرع إلى السيارة مجدداً، وبعدها فتح الباب ليدخل السيارة، وسط نظرات "رانيا" المرتبكة الفزعة، وفي آخر لحظة سمع صوتاً، صوتاً خافتاً للغاية، لكنه مألوف، واجتهد "وليد" للإنصات والتعرف على مصدر الصوت وطبيعته، إنه صوت غناء، لكن لم يكن واضحاً من المغنى أو بم يتغنى، وحاول الاقتراب من مصدر الصوت بقدر الإمكان في جوف الضباب والظلام سواء، وكلما اقترب اتضح الصوت أكثر بطبيعة الحال، إنه صوت غناء بالتأكيد، لم يعد هناك شك في ذلك، لكنه غناء مختلف عن غناء ذلك العصر، أو حتى العصر الذي قبله، طريقة الغناء نفسها، فصوت المغنى، والذي تبين أيضاً أنه ذكر، صوته شديد الحدة، إنه يغني "بالنوتة العالية" كما يقول الموسيقيون، صوته عال حاد متهدج، والتشوش حوله فظيع، أي جهاز يمكن أن يصدر هذا

الصوت المشوش للغناء؟! الراديو في أسوأ حالاته لا يمكن أن يكون بهذا التشوش، ووقف "وليد" للحظات وكأنه يحاول أن يتذكر أين سمع صوت الغناء المشوش هذا من قبل، إنه مألوف لديه، وإذ يرفع المغنى صوته بنوتة عالية أخرى، تذكر "وليد" أين سمع هذا الصوت المشوش من قبل، أو بمعنى أدق أين سمع هذا التشوش المصحوب بغناء من قبل، إنه صوت جرامافون لا محالة، فقد سمعه عشرت المرات لدى جده لوالده، السيد "توفيق الشجيع" مدير المدرسة الخديوية الثانوية الأسبق... رحمه الله، والذي كان يحب "وليد" حباً جماً، إذ أنه أول الأحفاد الذكور لديه، وكان يجلسه في حجره بالساعات وهو يستمع إلى أدوار "عبده السروجي" و"صالح عبد الحي" و"منيرة المهدي" على جهاز الجرامافون الخاص به، والذي كان يحبه أيما محبة، ويعتز ويفتخر به أيما افتخار، ولطالما تباهى أنه اشتراه من الخواجة "ديموس" الخردواقي، عندما كان مدرساً حديث التخرج في الإسكندرية في عشرينيات القرن العشرين، بـ ٣ جنيهات فقط! هنالك أيقن "وليد" أن ما يسمعه هو صوت الجرامافون، أو بالتحديد صوت مغن على الجرامافون، والذي جعله يوقن بذلك أنه لطالما كره صوته، أو بمعنى أدق لطالما أخافه، كل ذلك الصوت الحاد المتهدج المشوش، لطفل في الـ ٥ من عمره، بالتأكيد سيتصوره "عفريت" آخر بخلاف عفريت تحت الفراش وعفريت الدولاب الشهيرين، لكن السؤال الأهم... من عساه يحضر- جهاز جرامافون في تلك الأنحاء والأجواء والأثناء؟! واقترب "وليد" أكثر وأكثر من مصدر الصوت، كل هذا والضباب

يغشيه ويقتل مجال الرؤية أمامه، واقترب واقترب، حتى اصطدم! اصطدم بفرد أمن نائم... بل مغشياً عليه إن جاز الوصف على كرسي خشب متهالك، فهب فرد الأمن فزعاً من نومه، وهم في حركة لاإرادية يحاول إخراج طبنجته الميرية المعلقة في جانبه الأيسر من جرابها الجلدي المهترىء، وأخذ يكرر المحاولة بشكل هستيري وهو مشتب بخوفه، بالرغم من أن "وليد" واقف أمامه يحاول تهدئته وطمأنته بإشارات اليد، للحد الذي جعله يقول

- على فكرة الطبنجة متعلقة في جنبك الشمال، وانت بقالك ساعة بتحاول تخرجها من جنبك اليمين!

فصرخ فيه فرد الأمن فزعاً

- انت مين؟ وعاوز إيه؟ وجيت مين؟

فيضحك "وليد" على رغم ما فيه ويقول ساخراً

- يا عم ما انتوا اللي لسة مدخلينا المصيف من شوية!

فيحك فرد الأمن رأسه حائراً لا يزال منتشياً ببقايا نومه، ويحاول التذكر، ويبدو أنه لا يفلح، لذا يسأله مرتبكاً مخرجاً

- طب انت عاوز إيه دلوقتي؟

فيربت "وليد" على كتفه ويقول مترفقاً

- لا ولا حاجة، أنا بس جاي أسألك الساعة كام، وأطب منك بعد إذنك يعني لو مافيهاش غلاسة إنك تفتلحنا البوابة عشان عاوزين نروح

فيناضل فرد الأمن ليخرج ساعته المخبئة تحت طبقات من الملابس الصوفية الخشنة، ثم يقربها من عينه حتى تكاد تلتصق بمقلتها ويقول بلهجته الريفية اللطيفة

- الساعة ١١ إلا ١٠، إنتوا إيه اللي مقعدكم لحد الساعة المتأخرة دي في عز البرد والضلمة دي؟! ده حتى المصيف مافيهوش بني آدم والبوفيه قافل!

فيهز "وليد" رأسه بعد أن تأكد أن ساعة يده لم تكن مخطئة، وأن كل ماحدث حوله هو الخطأ ذاته، ثم يقول مجارياً فرد الأمن

- معلش خدنا الكلام أنا وأختي ونسينا الوقت، متشكرين يا عم...

- أخوك المساعد "شحات"، بلوكامين أفراد أمن مصيف ضباط الشرطة

فيسأله "وليد" فضولياً وكأنها قابل شخصية شهيرة

- "الشحات عبد الجواد"؟

فيقول المساعد "شحات" مندهشاً مرتاباً

- وعرفت اسمي إزاي؟! مين حضرتك أصلاً؟

فيرتبك "وليد" ويفكر لوهلة أن يخبره أنه قرأ اسمه أكثر من مرة في أخبار اختفاء عائلة المهندس "طارق أنور خلاف" بصورة غامضة عام ١٩٨١، لكنه يستدرك،

خوفاً من أن يجر عليه ذلك أي شكل من أشكال المتاعب، وخصوصاً وأن القضية ربما لا تزال مفتوحة، وربما لا يزال البحث مستمراً عن العائلة المختفية، لذا قال "وليد" بذكاء بارع

- انت مش فاكربي يا عم "شحات"؟! أنا "وليد" ابن الدكتور "محمد الشجيع"

فيحك "شحات" رأسه متحيراً ويقول محرراً

- بصراحة مش فاكرك! فكركي أكثر معلنش، انت كنت بتيجي المصيف هنا وانت صغير؟

فيقول معاتباً ماكرراً وقد انهمك في تقمص دوره

- يا عم "شحات" معقولة مش فاكربي! ده انت ياما كنت بتقعد تزعلي لما كنت أفضل أعوم لحد أما أخش في الغريق، وكنت بتروح تشكيني لوالدي مدام "بهية" وخالتي مدام "خديجة"، مدام "خديجة" حرم القبطان "هشام رفعت"

فيقول الرجل ماكرراً بدروه متصنعاً الدهشة

- "هشام بيه رفعت" يبقى جوز خالتك؟

- تعرفه؟

- هو فيه حد في "بور سعيد" كلها مايعرفوش! ده راجل كباره وكُمل، ومراته الست "خديجة" دي ست الهوانم، هما جم معاك؟

- لأبنته "رانيا" بس اللي جت معايا، دي هاتفرح أوي لما تشوفك

فيسأله "شحات" سؤالاً مرتاباً بلهجة استجوابية

- انت مش لسة قايل من شوية إنك جاي مع أختك!

فيقول "وليد" مرتبكاً

- ما هي زي أختي بالضبط، ده إحنا الاتنين متربين مع بعض من وإحنا في اللفة

فيمضي "شحات" بذات اللهجة المشككة المشككة

- طب وانتوا إيه اللي جابكم انتوا الاتنين في الجو المنيل ده؟ وإيه اللي مقعدكم لحد

الساعة المتأخرة دي؟!

فيصمت "وليد" للحظات، وإذ أنه لا يملك رفاهية الوقت لتأليف المزيد من

الأكاذيب المحكمة، يجيب بأول ما يخطر على باله بلا تفكير

- ما هو أنا و"رانيا" في ثانوية عامة، وما صدقنا ناخد أجازة نص السنة عشان

نخرج من البيت نشم شوية هوا، انت عارف بقى خنقة الثانوية العامة يا عم

"شحات"!

فيقول "شحات" مشفقاً وقد تخلى عن لهجته الحذرة

- عارفها يا ابني والله، يقطعها ويقطع أيامها، ربنا يكون في عونكم، البت "ريهام"

بتتي في ثانوية عامة وقالبالي البيت معسكر

فيسأله "وليد" متحمساً وقد تخلّى عن حذره بدوره

- إيه ده بجد! علمي واللا أدبي؟

- أدبي يا "وليد" يا ابني والله

فيضحك "وليد" ويقول ساخراً

- إيه ده! أدبي زيي! بصره يا عم "شحات"

ويضحكان ضحكات موجزة ويتبادلان أكف المزاح ويمضي "شحات" مشفقاً

- ورايحة جاية في البيت طول اليوم يا عين أمها عمالة تصم إشي في علم نفس على

علم اجتماع، على فلسفة على منطق، على جغرافيا على تاريخ، لما خلاص البت

اتجننت، أنا عارف هاتعمل إيه بالصم والدش ده كله! ربنا ينتقم من اللي حطوا

المناهج المهبية دي، ربنا يعينكم والله يا ابني

فيقول "وليد" ممتناً متعاطفاً

- ربنا نخليك يا عم "شحات" ويديك الصحة ويفرحك بيها وتطلع الأولى على

"بورسعيد" كلها

فيقول "شحات" بإشفاق أبوي صادق

- والله يا أستاذ "وليد" أنا لا عايزها تطلع الأولى ولا حتى العاشرة، أنا عاوزها

بس تخلص الثانوية عشان ينتهي الجحيم اللي هي عايشة فيه ومعيشانا فيه معاها

فيربت "وليد" على كتفه متعاطفاً ويهم بأن يخرج من جيبه ما يجده فيه ليعطيه له، وإذا يجده المساعد "شحات" كذلك يقبض على يده بقوة وهي لا تزال في جيبه ويقول مستعظفاً عزيزاً

- بتعمل إيه يا أستاذ "وليد"! أنا راجل مساعد شرطة وبلوكامين أد الدنيا ومستور الحمد لله، أنا مابقولكش الكلام ده يا ابني عشان عاوز حاجة منك والعياذ بالله، ده انت زي أولادي، أنا باقوله بس يا ابني عشان والله العظيم انتوا صعبانين عليا بجد، جيلكم مظلوم أوي يا ابني

فيقبل "وليد" رأسه ويقول بلهجة اعتذار صادق

- أنا ماقصدش حاجة والله يا عم "شحات"، وكمان أنا شرف ليا إن ابقى زي أولادك

فيقبل "شحات" كتفه ويقول بلهجة أبوية حانية

- ربنا يرضى عليكم يا ابني ويسهللكم كل عسير، القصد! أما أروح أفتحلك البوابة ويهم كل منهما أن يمضي في طريقه، لكن "شحات" يجذب ذراع "وليد" من حيث لم يحتسب ويقول له هامساً حاسماً بتحذير شديد اللهجة

- اسمع اللي هاقولهولك كويس يا "وليد" يا ابني! إوعى يا ابني تيجوا هنا تاني لوحدكم في الشتاء، المكان هنا مليان حاجات وحشة والعياذ بالله

ويغلب فضول "وليد" على خوفه فيسأله متلهفًا

- مليون حاجات وحشة إزاي يعني يا عم "شحات"؟

فيقول "شحات" وقد خفت صوته أكثر حتى صار بالكاد يسمع، وكأنه يخاف أنه يسمع أحد

- هو فيه غيرها يا ابني! الجن والعفاريت اللي مالين المكان، وسكان البحر اللي بيخرجوا بالليل منه ويهيموا على الشط، ويخطفوا اللي يلاقوه في وشهم والعياذ بالله فيقول "وليد" شديد الحماسة وقد أصاب "شحات" وترًا في نفسه

- معلش يا عم "شحات" فسر أكثر، أصل أنا باحب الحاجات الخيالية والمرعبة دي أوي من صغري، مع إنني مش باصدقها

فيقول "شحات" بلهجة عتاب بريئة

- خيالية إيه بس يا "وليد" يا ابني! الحاجات دي حقيقية وبجد، وناس كتير ماكنوش مصدقينها زيك وكانوا بيتريقوا عليها لحد ما شافوها بعينهم، ولحد ما...

ويصمت "شحات" مترددًا وجلًا، فيعاجله "وليد" متلهفًا

- لحد ما إيه يا عم "شحات"؟ لحد ما سكان البحر دول طلعوهم وخطفوهم؟

فيقول "شحات" في الحال فرعًا مرتبكًا

- سلام قولاً من رب رحيم... سلام قولاً من رب رحيم!

ثم يمضي قائلاً بهمس الخائف الحذر

- مش ربنا قال عليهم إنهم قوم زينا برضة يا أستاذ "وليد"؟

- هما مين دول يا عم "شحات"؟

فيصمت للحظات ثم يقول مترقباً خائفاً

- الجن!

فيقول "وليد" وهو شديد التركيز لما يسمع

- أكيد يا عم "شحات"، الجن أحد الثقلين زي ما ربنا قال في القرآن، والبشر الثقل

التاني

فيقول "شحات" وقد اكتسب بعض الثقة بعد أن رأى أمارات التصديق في ملامح

"وليد"

- أهم يا أستاذ "وليد" سكان البحر دول من الجن والعياذ بالله!

فيقول "وليد" مدعياً التشكيك

- فعلاً؟!

- اتريق زي ما انت عاوز يا أستاذ "وليد"، بس هما حقيقيين، وناس كثير شافتهم زي ما قتلتك

فياغته "وليد" ببراعة

- انت شغال هنا في المصيف بقالك كام سنة يا عم "شحات"؟

فيرفع "شحات" عينيه للسماء يحتسب الفترة ثم يقول وكأنه وجد حل لمسألة صعبة

- أنا جيت هنا سنة ١٩٧٨ أول ما افتتحوا المصيف، يعني من ١٢ سنة تقريباً

وفي الحال يعاجله "وليد" ماکراً بنفس لهجة المحققين التي استخدمها "شحات" من قبل

- يعني أكيد في الـ ١٢ سنة خدمة بتوعك هنا، أكيد شفت سكان البحر دول... ده لو كانوا حقيقيين زي ما بتقول!

فيجيب "شحات" في الحال مدافعاً

- حقيقيين... والله العظيم حقيقيين يا "وليد" يا ابني

فيعاجله "وليد" بارع الذكاء

- ما دام انت واثق أوي كدة... يبقى انت أكيد شفتهم!

فيقول "شحات" جزعاً نافذ الصبر

- أيوة شفتهم، ارتحت!

فيصمت "وليد" قليلاً يتشرب ويستوعب تلك المستجدات، وأنه ليس بمخبول ولا مهووس ولا مجنون، وأنه ما رآه هو اليقين، لذا سأل "شحات" بلهجة واثقة وقد هيمن على الحوار

- طب بافترض إن الي انت بتقوله ده صح وحققي يا عم "شحات"، فكرك ليه بيطلعوا عالشط بالليل ويخطفوا الناس زي ما انت بتقول؟

فيقول "شحات" مرتبكاً ولا يزال وجلاً

- ما أنا زي ما قلتلك يا أستاذ "وليد" إن سكان البحر أو الجن عموماً قوم زينا، يعني كل الي حاجة ناقصاه منهم بيطلع ياخذها، أو يخطفها بمعنى أصح - زي إيه؟

- زي الي مابتخلفش أو ماعندهاش عيال أو حتى ماتلها عيل منهم بتطلع تخطف العيال، واللي عنست ومش لاقية جواز بتطلع تخطف الرجالة، والعكس، الرجالة بتوعهم بيخطفوا الستات الحلوين، وياما نسوانهم خطفوا زينة الشباب من عندنا، الله يرحمك بقي يا "جابر"!

فيقول "وليد" شديد الفضول

- العريف "جابر" الله يرحمه، ده لو كان مات أصلاً! كان سيد الرجالة، وكان أجدع منقذ شواطىء فيكي يا "بور سعيد"

- وإيه الي جرى للعريف "جابر" يا عم "شحات"؟
فيهز رأسه ويقول متحسراً

- لما كان بيحدد خدمة ليل عالشط كانت بتطلع واحد منهم، وقالتله إنها بتجبه وعاوزة تتجوزه، عشان مافيش حد من رجالة جنسها مالي عينها، هو قالي كدة بلسانه، ولما كنت باوزع الخدمات على أفراد الأمن بتوع المصيف، كان "جابر" دايماً يصمم على خدمة تأمين الشاطىء الليلية، ولما واجهته وسألته انت بتعمل كدة ليه، صارحني وقعد يعيط وقاله إنه عشقها زي ما هي عشقته
فيقول "وليد" مذهولاً

- عشق مين؟!

فيقول "شحات" مرتاباً وكأنه يخاف من الإجابة

- سلام قولاً من رب رحيم.. عشق الجنية الي كانت بتطلع له!

فيقول "وليد" مستفسراً لا ساخراً

- طب وده ينفع؟!

فيقول "شحات" متحسراً

- يقولوا يا "وليد" يا ابني، أصل نسوانهم على وحاشة شكلهم، يقولوا قوامهم زي النار، ما هم أصلاً مخلوقين من نار، أحلى من قوام نسواننا مليون مرة، وإن اللي يشوفهم مرة، يتجنن ويتهوس بيهم، ويسرقوا عقله... ويسرقوا وقته!

فيسأله "وليد" شديد الاستغراب

- يسرقوا وقته!

فيجيب "شحات" مؤكداً

- أيوة يسرقوا وقته، اللي بيعشقهم أو حتى بيشوفهم، بيقتل يتأمل في حسن قوامهم زي المجذوب، ويتسرق الوقت ما بين أيديهم، ساعة ساعتين... وممكن يفوق حتى يلاقي نفسه في ثاني يوم!

فيقول "وليد" سؤالاً تقريرياً يعرف إجابته جيداً

- للدرجة دي!

فيجيب "شحات" شديد الثقة

- وأكثر يا أستاذ "وليد"، لو واحدة ست من ستات البشر، إنسية يعني، حاولت تزاحم جنية منهم في عشيقها اللي عشقته من البشر، الجنية بتطربق الدنيا وتقومها ماتقعد هاش، وتخلي البحر يبيح، والموج يرتفع بشكل مهول، والريح تهب عاتية

تخلع الشجر من جذوره، وتعمل الجنية المستحيل عشان تفرق بينه وبين الست
الإنسية اللي بتحبه، حتى لو اضطرت تخطفها

فيقول "وليد" متصنعاً التعالي على ما سمع، برغم أنه يصدق يقيناً كل حرف فيه
- ياه! تخطفها!

فيقول "شحات" هامساً وكأنه يقول سرّاً جلاً

- أو تخطفه، وهو ده اللي حصل مع العريف "جابر"

فيقول "وليد" شديد الاهتمام

- إيه اللي حصل مع العريف "جابر" يا عم "شحات"؟ الجنية عشيقته خطفته؟

فيقول "شحات" متأثراً لحد أن عينيه كادت تدمعان

- مش عارف والله يا أستاذ "وليد"، كل اللي أنا أعرفه إن أنا وزعتة خدمة ليل
لتأمين الشاطئ زي كل يوم، ولما راح بديله بيدله تاني يوم الصبح، مالقاهوش، قلنا
زوغ، وقلبنا عليه البلد شبر شبر، لكنه مالقيناوش أي أثر، وبعد مرور حوالي سنة
على اختفائه اعتبروه غرق في البحر أثناء الخدمة عشان يصرفوا تعويض لمراته
وعياله، وعملوله جنازة عسكرية لفت "بور سعيد" كلها، مع إن الخشبة كانت
فاضية! الله يرحمه بقى إن كان عايش أو ميت

فيهز "وليد" رأسه غارقاً في استيعاب، ويقاطع "شحات" شروده

- وهما سكان البحر دول السبب الأساسي إن إحنا قفلنا الكباين الشرقية من ييجي
١٠ سنين، بعد حوالي ١٥ حالة اختفاء غامض حصلت فيها زي حادثة "جابر"،
منها الي الجرايد نشرت عنه، ومنها الي الوزارة منعت النشر فيه، إوعى تروح ناحية
الكباين الشرقية أو تقربلها حتى لأي سبب من الأسباب يا أستاذ "وليد"...
إوعى!

فيسأله "وليد"

- واشمعنى يعني الكباين الشرقية يا عم "شحات"؟

فيجيب "شحات" متلعلعاً بخوفه

- معرفش والله يا "وليد" يا ابني، بس بيقولوا إن أرواح الناس الي اختفت لسة
عايشة فيها، وتظهر لأي حد بيروح هناك، وبيقولوا برضة إنها مسكونة بسكان
البحر نفسهم

فيسأله "وليد" ساخراً

- تيجي إزاي دي يا عم "شحات"! هما سكان البحر عايشين في البحر واللا
عايشين في الكباين الشرقية؟! ما ترسالك على حل!

- ما هي الكباين الشرقية أصلاً كانت جزء من البحر واطردمت عشان تتبني كباين،
وعشان كدة سكان البحر غضبوا على الي سكنوا فيها

فيقول "وليد" لا يزال مدعيًا التعالي والاستخفاف بها يسمع، مع أنه موقن منه

- آآآآه! قتلتي!

فيقول "شحات" محرجاً إذ شعر أنه بدا ساذجاً من فرط ما حكى من خرافات
وأساطير مدنية

- القصد! أما أروح أفتحلّمك البوابة لاحسن انتوا كدة اتأخرتوا أوي، ابقى سلملي
على الأنسة "رانيا" وقولها عمك "الشحات" بيسلم عليك، ومش ناسيلك قنديل
البحر اللي رمتيه عليه زمان، والسلام أمانة لـ "هشام بيه رفعت" ومدام "خديجة" يا
أستاذ "وليد"

فيقول "وليد" مسهماً البصر شاردًا بدون أن ينظر حتى لـ "شحات" وهو يلوح بيده
مودعاً إياه

- يوصل يا عم "شحات" ... يوصل!

يهرع "وليد" و "رانيا" إلى المنزل وهما يدعوان الله ألا تكون أُمَاهما قد عادتَا من
الزفاف الذي توجهَا إليه سلفاً، دخلا المنزل فوجدا مدبرة المنزل "سمّاح" أو مديرتَه
أيما كان الوصف في انتظارهما، وكانت شابة في أواخر العقد الثالث من عمرها،
رقيقة الملامح راقية الطلة والطلعة، مهندمة الملبس ممشوقة القوام، وجداها تقف

على مدخل الصالة أو غرفة الجلوس الرئيسية ويدها معلقتان في وسطها في وضعية الترقب واللوم الشهيرة، وتعلو ملامحها أمارات التبرم والعتاب، وتحجج "وليد" بنظرة لوم ثابتة كما أشعة الشمس مجمعة في عدسة محدبة تكاد تحرقه بها، لكنها لا تجرؤ على معاتبته بالكلام، فهي لا تعرفه جيداً على أية حال، ولكنها أيضاً تستطيع معاتبة صديقتها الصدوق "رانيا"، والتي تعتبرها أختها الصغرى وتعاملها بكل الحب والمودة، وتعتبر أحياناً كاتمة أسرارها، تقول لها لائمة بطبيعة الحال

- كدة برضة يا "رانيا" تتأخري للوقت ده برة! الحمد لله إن الهانم لسة مارجعتش من الفرخ، كان زمانها طينت عيشتي وعيشتك، دي مأماني قبل ما تنزل إن آخد بالي منك إنتي والأستاذ "وليد"، وأعمللكم العشا والشاي لزوم المذاكرة، كدة تضيعوا كل الوقت ده من غير مذاكرة، كدة برضة يا أستاذ "وليد"! مش "رانيا" زي أختك ولازم ترجعها البيت بدري

وبالطبع يكاد "وليد" يذوب في مكانه من فرط الإحراج، لكن كل ما حدث بالخارج كان خارجاً عن إرادته، لذا يقول بلهجة اعتذار صادقة

- أنا آسف جداً والله يا "سماح" إني أحطك في الموقف المحرج ده، الموضوع خرج عن إرادتنا تماماً والله، أنا كنت قاصد والله نقعد ساعة بالكثير برة نشم هوا، وبعد كدة نرجع نذاكر، لكن حصلت ظروف... بجد والله أقوى مننا، ولو طنط

"خديجة" عرفت أنا متحمل كل اللوم، وهاقولها إنك مالكيش أي دعوة بموضوع التأخير ده

فتتوجه إليها "رانيا" وتطوقها بذراعها معنقة إياها بقوة، وتقول مأكرة

- بقى معقولة "موحة" حبييتي وكاتمة أسراري تروح تقول لماما حاجة زي دي، أنا متأكدة إنني عمري ما أهون عليها، مش كدة برضة يا "موحة"؟ وكمان زي ما قالتلك بالضبط يا "وليد"، ماما لو عرفت هاتطين عيشيتها قبل عيشتي، دي بتضرنا إحنا الاتنين سوا بمنفضة السجاد كل أما أعمل مصيبة أنا أو هي، ست مفترية!

وتضحك عابثة ضحكة واثقة لامبالية، ثم تقبلها المأكرة "رانيا" المسكينة "ساح" على خدها قبله أخوية لطيفة، وبالطبع ما يكون من "ساح" إلا أن تضحك مغلوبة على أمرها وتقول وهي تربت على يدها بحنو جميل

- هو أنا أقدر عليك يا شقية انتي! طبعاً هاتغلبيني في الكلام وهاتاكليني بكلمتين زي كل مرة، أنا هاسكت المرة دي بس عشان انتي حبيبة قلبي، بس إوعي تكرري الموضوع ده تاني يا "رانيا"، الشارع بالليل بيبقى خطر يا حبييتي، وأديكي بتسمعي وبتقرأ أي كل يوم عن حوادث الخطف اللي كترت أوي في الفترة اللي فاتت، ربنا يكفيننا الشر، إوعدونني انتوا الاتنين إنكم عمركم ما هاتأخروا برة تاني

فيقول "وليد" "ورانيا" لاهيين مدعين الجديدة في صوت واحد تقريباً، وهما يغالبان ضحكهما

- نوعدك يا "سماح"!

فتقول "سماح" راضية رائعة الحنو

- ربنا يحميكم ويبعد عنكم الشر- يا رب، أما أروح أحضر لكم العشاء، زمانكم هلكاين من الجوع

فتقول "رانيا" لا تزال شقية لطيفة

- فيكي الخير يا "موحة" والله، إنتي عارفاني أصلاً مابعرفش أتغدى كويس، وإن أحلى أكلة باكلها في اليوم الي هي بعد الساعة ١٢ دي، عشان كد مش عارفة أخس

فتقول "سماح" ساخرة بلهجة أمومة جميلة

- تخسي إيه بس يا "رونا"! ده انتي جلد على عضم! فيه واحدة طويلة وفرعة ما شاء الله زيك زيك كدة ووزنها مايحبيش ٦٠ كيلو!

فتقول "رانيا" ساخرة

- ده أنا بقيت زي البقرة! والله بقيت ٦٢ كيلو من كتر أكل كيكة البرتقان الرهيبة بتاعتك يا "موحة"، إوعى تكوني ماعملتليش واحدة جديدة بدل الي أنا خلصتها إمبراح!

فتقول "سماح" حذقة واثقة

- ودي برضة تفوتني يا "رونا"! ده أنا عمالك حتة دين كيكة شوكلاتة وكيكة برتقان بالزبيب، وعملتلك سلطة التونة اللي انت بتحبيها

فتنقض "رانيا" على "سماح" وتعانقها بقوة مرة أخرى، وتطبع قبلة قوية طويلة على خدها، وتقول فرحة متحمسة كطفلة صغيرة

- والله العظيم انتي حبيبة قلبي يا "موحة" ومالياش غيرك في البيت ده

فتقول "سماح" ممتنة بشدة، بعد أن تقبل "رانيا" على خدها قبلة طويلة صادقة المودة

- ده انتي اللي حبيبة قلبي وبنتي اللي ماخلفتهاش يا "رونا"، ثواني وأحضر لكم أحلى عشا يا ولاد

وتنطلق متحمسة إلى المطبخ، وما أن تتوارى عن الأنظار يسأل "وليد" "رانيا" هامساً حذراً

- "رانيا"! إوعى تكون "سماح" دي فتانة وتروح تفتن علينا لطنط!

فتهز "رانيا" رأسها وتقول مغرورة

- مين؟ "سماح"! يا راجل حرام عليك، دي بتاخذكم تهزيق وشتيمة عشاني، ما انت عارف ماما ست هادية ولطيفة وعمرها مابتتعصب! وعمرها ما طلعت حاجة

من مصايبي أو أي كلمة فلتها لها، مهما ضغطت ماما عليها، دي بت طيبة وجدعة جدعنة يا "وليد"

فيقول "وليد" مرتاحاً بعض الشيء

- طيب كويس، المهم دلوقتي... هانعمل إيه في اللي عرفناه ده؟! هانتحرك إزاي الخطوة الجاية؟

فتصمت "رانيا" متحيرة مرهوبة بطبيعة الحال وتهز كتفيها في علامة إنعدام الحيلة والحيرة الشهيرة، وتقول على ذلك النهج

- مش عارفة والله يا "وليد" إحنا مفروض نعمل إيه بعد كل اللي عرفناه ده، وإزاي نفرزه ونطلع الحقيقة منه والخرافة، بس على العموم هو كويس إن إحنا معانا كم المعلومات دي

فيصمت "وليد" متحيراً بدوره، لكن تعلو وجهه علامات خوف ورهبة مما ينتظره مستقبلاً، فهو من يرى الكوابيس في النهاية، وهو من يجافيه النوم بسببها، والمشكلة مشكلته في النهاية، لذا يقول متحدياً مقدماً على رغم ما فيه

- أنا مش عارف زيك برضة، بس أنا مش هاسكت، أنا حياتي بقت جحيم يا "رانيا"، لا عارف أنا ولا عارف أذاكر، ومستواي في التمرين بقى زي الزفت لما كابتن "غريب" شاكك إن باتعاطى مخدرات، شبح "طارق أنور" ييطاردني في كل مكان، في منامي وفي صحياي

وبعدما يقول تلك الجملة الأخيرة، يغلبه الانهزام واليأس مجدداً، ويظهر على حقيقته، أنه أضعف من الموقف برمته، لذا تقوم "رانيا" من مجلسها وتجلس بطرف الأريكة، بحيث تكون على بعد سنتيمترات منه، وتضع يدها على ركبته وتقول حانية مشفقة

- حاسة بيك يا حبيبي!

فينظر لها "وليد" بعينين مكسورتين بأشراط هوى وليد وأطلال خوف قديم، فتستدرك "رانيا" وتطرق رأسها وترفع يدها من على ركبته على مضض وتقول مرتبكة

- قصدي إن أنا أكثر واحدة في الدنيا حاسة بيك، مش عارفة ليه، لما بتفرح باحس إن أنا فرحانة أكثر منك، ولما بتحزن قلبي يبقى مكسور أكثر منك، ولما بتخاف، بابقى خائفة عليك أكثر ما أنا خائفة على نفسي، وحاولت أقاوم الإحساس ده بيجي ١٠٠ مرة، بس ما قدرتش، الظاهر روحي متعلقة بروحك منذ الأزل زي ما يقولوا

ولا يجد "وليد" بالطبع ما يجيب بعد تلك الوصلة الروحية الروحانية، سوى أن تتعلق عيناه بها كظمآن يشرب من نبع الروح، وهي على ذلك الدرب سواء، هائمة في سائه غارقة في عينيه، وقد هجر الكلام لسانيهما، متنجياً لحديث الأفتدة الأبلغ والأصدق من أي حديث، ولا يزالان على ذلك الحال من التجلي والانقطاع عن

الدنيا، ولا يقطعها سوى صوت المفتاح يقتحم القفل مؤذناً بعودة العائلة من الزفاف، فينضبط كل منهما في جلسته، لكيلا يذاع سر الهوى قبل الأوان، ويقتحم الجمع المكان بصخبهم وأجوائهم الاحتفالية، وتقفز الشقية الجميلة "رانيا" في حضن أخيها الأكبر وتعانقه بقوة وكأنه غاب عنها أمداً، وتطبع قبلة قوية على خده وتقول صادقة المودة

- وحشطني يا "ويلا"، الفرح كان وحشك من غيرك، بس كان حته فرح! بوفيه إيه وفقرت إيه، واللا الرقاصة أم ترتر أخضر، في بدلتها وفوق عينيها!

ويضحك "وليد" على رغمه، فهو لا يستطيع مقاومة دلال تلك الحسناء الصغيرة "مي" على قلبه، وهي كفيفة بمزاحها أن تبتدأ أي كدر أو هم أو قلق في نفسه في الحال، ويقول مفتعلاً الحماسة

- جابوا مين يغني؟

فتجيب "مي" في الحال متحمسة بقوة

- جابوا "إبراهيم عبد القادر" و"فارس" و"أمين سامي"، كل الطقم بتاع شريط "لقاء النجوم ٢"

فيهز رأسه مفتعلاً الرضا والحماسة مجدداً، ويوجه السؤال لأمه السيدة "بهية" متلطفاً رقيقاً

- بجد! دي باينه كان فرح جميل أوي، اتبسطوا يعني؟

فتجيب السيدة "بهية" حانية مشفقة في لحن القول

- أوي يا حبيبي، بس كان ناقصكم والله، انتوا عملتوا إيه وإحنا برة؟

والطبع يرتبك "وليد" إذ لم يجد الكذب يوماً، فتجيب عنه "رانيا" بسرعة بديهية
وذكاء فطري بارع

- اتنين في ثانوية عامة هايقتضوا وقتهم في إيه يعني يا طنط؟! أكيد في المذاكرة!

فتدخل السيدة "خديجة" بحاجب مرفوع مشكك، فهي في النهاية صاحبة تلك
النظفة التي صارت فتاة جميلة وماكرة وكاذبة سيئة

- ذاكرتوا بس؟!

وإذ تدرك "رانيا" أنها لم تفلح يوماً في الكذب "كلياً" على أمها، تمضي مراوغة بدلال
لطيف موجهة الكلام للسيدة "بهية"

- بصراحة الكذب خيبة يا طنطي، ذاكرنا شوية وبعد كدة نزلنا نشم هوا في شارع
الجمهورية، وعزمت "وليد" على توسل بالجنة الشيدر والبسطومة...

وتوجه كلامها لـ "وليد" وهي تغمز له بعينها البعيدة عن مرأى الجالسين

- عليك عزومة ليا يا "ليدا"!

فيهز رأسه وهو يضحك ببراءة فرحاً بانطلاء الكذبة، ثم تهم السيدة "خديجة" بأن تعلق إذ لم تنطلي عليها الكذبة بهذه السهولة، لولا أنقذهما الهاتف برنته الطويلة المزعجة، والذي جعل السيدة "بهية" تركض إليه متهلفة في الجانب الآخر من الغرفة وتقول متهللة

- ده ترانك! تلاقيه أبوكم يا ولاد

وتلتقطه ملهوفة وتحيب بصوت عال... أعلى من اللازم!

- آلو... آلوووو! أيوة يا "محمد"، أيوة يا حبيبي، أيوة إحنا وصلنا... إحنا كويسين وزى الفل الحمد لله، بتقول إيه؟ لازم نرجع بكرة ضروري، ليه يا "محمد"؟ فيه حاجة حصلت؟

وبالطبع تبدو ملامح الانزعاج على كل من في الغرفة، وبالأخص "رانيا"، ويسود الترقب ولامح الاستياء وخيبة الأمل على وجوه كل من في الغرفة، بينما تصغي السيدة "بهية" بتركيز شديد لما يقوله زوجها الدكتور "محمد الشجاع"، ثم تقول مقاطعة إياه وموجهة كلامها لـ "وليد"

- الكابتن "غريب" بيقول لازم ترجع مصر- بكرة ضروري عشان المعسكر بتاع بطولة البحر المتوسط هايبدأ بعد بكرة يوم السبت، ولازم تكون فيه من الساعة ٦ الصبح

فيقول "وليد" منزعجاً

- بس ده كان قايلي إنه هايبدأ يوم الاثنين، وأنا عملت حسابي على كدة!

فتهاز "بهية" كتفيها عديمة الحيلة، وتستأنف المكالمة بصوتها العالي

- أيوة يا "محمد"!... أيوة يا بابا أنا خلاص قتلته، أيوة هاخليه ينام بدري، وعرفت

تسخن الأكل واتغديت كويس؟... تسلم يا بابا

ثم تقول موجهة كلامها لـ "وليد" و "مي"

- بابا بيسلم عليكم يا ولاد وبيقول إنكم وحشتوه أوي، طيب يا بابا مع السلامة،

خد بالك من نفسك... لا إله إلا الله

وتضع السيدة "بهية" الساعة وهي نفسها تبدو خائبة الأمل، إذ ربما قد انتظرت

هذه الإجازة طويلاً، وبالطبع تنفجر "مي" في نوبة تدمر حادة وتقول بكلام يخالطه

البكاء

- وأنا مالي بقى! ماليش دعوة، أنا مش عاوزة أسافر بكرة، إحنا لسة واصلين

النهاردة أصلاً، هو إحنا لحقنا نعمل حاجة!

فتقول "بهية" عديمة الحيلة محبطة بدورها

- طب وأنا ذنبي إيه طيب! ما هي المكالمة جت على إيدك أهيه، أنا مستنية يومين

الأجازة دول أكثر من أي حد فيكم، بس أمر الله بقى!

فتقول "مي" وقد ازدادت ثورتها وتدمرها، إلى أن وصلت لحد البكاء

- ماليش دعوة بقى! أنا مش عاوزة أسافر بكرة!

فتنهرها السيدة "بهية" وتصيح فيها بانفعال شديد

- "مي"! اتعدلي! أنا مش ناقصاكي وفيا اللي مكفيني... جت الحزينة تفرح!

وإذ ترى "رانيا" "مي" تبكي بتلك الحرقعة كرضيع انتزعوه من صدر أمه، تعانقها بقوة وتقبل رأسها، وإذ يرى "وليد" الأجواء قد انقلبت في لمح البصر من احتفالية فرحة مرحلة إلى كئيبة حزينة... بسببه! يقول من حيث لم يحتسبوا

- ماحدش هاسافر، أنا بس اللي هاسافر

فتنظر إليه أمه متفاجئة، وتقول متصنعة الاعتراض

- لأ طبعاً، إحنا جينا مع بعض، يبقى نرجع مع بعض

فيقول "وليد" حازماً رجلاً قبل الأوان

- لأ طبعاً، مش شرط، المعسكر معسكري والبطولة بطولتي، إنتوا مالكوش أي دخل بيها، خليكوا انتوا وأنا هاخذ الـ "سوبر جيت" بكرة بعد صلاة الجمعة

وفي الحال يتوقف بكاء "مي" وتتحول أطلال الدمع في عينيها إلى فيض من الأمل، وتقول لا تكاد تصدق نفسها

- بجديا "وليد"؟!

فيقول "وليد" حاسماً

- أيوة يا حبييتي بجد، اقعدوا زي ما انتوا عاوزين

فتقول السيدة "بهية" ولا تزال على أدائها المفتعل من الاعتراض، وملاحظها

تفضحها بأن الفكرة التي طرحها "وليد" قد راققتها أيما روقاً

- لألاً ماينفعش يا "وليد"! إحنا لازم...

فيقاطعها "وليد" مجدداً حانياً متلطفاً هذه المرة

- يا ماما يا حبييتي، أولاً إنتي لسة قايلها بلسانك إنك كنتي مستتة الأجازة دي أكثر

واحدة فينا، وثانياً أنا هاكمل ١٨ سنة في شهر فبراير الجاي، يعني المفروض بقيت

راجل وأعرف أبقي مسؤول عن نفسي- وأسافر لوحدي، يا ماما ده أنا باروح

بطولات برة مصر من وأنا عندي ٨ سنين، مش هاعرف أسافر من "بورسعيد"

لـ"القاهرة"!

وتقول أمه فخورة وكأنها تؤدي آخر فروض الاعتراض

- بس...

- ولا بس ولا مس يا ماما! وكان إنتي مش مفروض واعداني تحييلي من هنا كام

سوتير على بنطلون جداد، واللا انتي ناوية تلحسي كلامك وتحلفي وعدك؟!

ويسألها هذا السؤال الأخير وهو مبتسم ابتسامة رقيقة، فتجيبه أمه متوعدة

- وأنا عمري خلفت وعدي معاك! ورحمة أُمي لاجييلك شوية لبس يا "وليد"
مالبستهم في حياتك

فتتقافز "مي" متهللة وتصرخ كطفل صغير أخته لعبة من حيث لم يحتسب "هيه!
هيه"، وتقبل السيدة "خديجة" على السيدة "بهية" فرحة تقبلها وكأنها تهنتها على
تربيتها الرائعة لولدها، وعلى الحل الفوري الرائع الذي عالج به الأزمة، و"محمد"
توأم "رانيا" إن كنتم قد نسيتموه جالس وعلى وجهه ابتسامة سمجة لا تخلو من
غيرة الغرماء، وبالطبع "رانيا" تقف مكتوفة الذراعين وترسم ابتسامة كاذبة على
وجهها، وقلبها الممزق مفضوح في الدمع الذي يتراقص على أعتاب عينيها، وينظر
إليها "وليد" خلسة في زحام الموقف معتذراً... مفضوحاً بلوعته أكثر منها.

وإذ بهم "وليد" بفتح باب الفيلا الحديدي الضخم بعدما ودع الجميع في طريقه إلى
محطة الأنوبيس "السوبر جيت" عائداً إلى "القاهرة"، تقول "رانيا" لأُمها بلهجة
متوسلة

- ماما! بعد إذن حضرتك، أروح أوصل "وليد" بالعربية لمحطة "السوبر جيت"

فتقول أُمها السديّة "خديجة" منزعجة متحفزة

- بس إنتي لسة ماطلعتيش رخصة قيادة يا "رانيا"! ولو حد من المرور وقفك
هاتبقى مشكلة

فيقول "وليد" محرراً

- ماتت عيش نفسك يا "رانيا"، أنا هاوقف أي تاكسي يوصلني، وكم ان المحطة مش بعيدة

فتقول "رانيا" موجهة الكلام لأمرها وقد ازداد مكون الاستجداء فيه

- يا ماما بلييز بقى! ده هما شارعين، وكم ان النهاردة الجمعة والبلد فاضية، مرور إيه بس اللي هايقفني ويسألني على الرخصة، وكم ان كل "بور سعيد" عارفة أنا مين وبنت مين ومستحيل يوقفوني!

فتهز السيدة "خديجة" رأسها ليست معدومة الحيلة، بل لأنها تعلم يقيناً نية ابتها الحقيقية، وهي في موقف شديد الحرج، فالسيدة "بهية" تجلس على يمينها محررة بالفعل، ليس لابنها، بل لـ "رانيا" المفصوكة بكل ما فيها بما تخفيه نفسها، ملاحها وكلامها وإيماءاتها وحركاتها، وحتى توسلاتها الطفولية، وإذ ترى السيدة "بهية" أن تلك الماكرة "رانيا" قد حبستها ببراعة في خانة "الك" كما يقول محترفو الطاولة، لا ترى بدءاً من الاستسلام، ليس لأي شيء إلا لأنها تشعر بأنها قد ادت واجبها في "تعزير" ابتها، وإظهار بأنها ليست ملهوفة لفكرة وجود هذا الشاب الرائع "وليد" في الصورة مستقبلاً، برغم أنها ترونها أيماً روقاً وتستحسنها أيماً استحسناناً، لذا تسأل السيدة "بهية" ماكراً بدورها لمزيد من "التعزير" لابنها

- إنتي إيه رأيك يا "بهية"؟ توصله واللا لأ؟

وبالطبع ما يكون من "بهية" بما عرف عنها من تغليب العقل والوقار على أي شيء، حتى لو كانت نفسها ثيل إليه بل وتبتغيه، تحيب حاسمة بلا ادعاء موجهة كلامها إلى "وليد"

- بلاش دلع يا "وليد"! ووقف أي تاكسي يوصلك، المحطة قريبة جداً أصلاً، ده انت ممكن تمشيها على رجلك

وتبتسم السيدة "خديجة" ابتسامة فرحة مطمئنة، إذ تتأكد يوماً بعد يوم أن هؤلاء قوم أكابر - أعني عائلة الدكتور "الشجيع" - لا يغريهم مال ولا جاه ولا مظاهر، برغم أنهم يعرفون بهم الطبقة المتوسطة، لكن لديهم كبرياء الملوك وأنفة القياصرة وعزة نفس الأنبياء، ويبدون صوت العقل والأصول على أي شيء مهما هوته أنفسهم، لذا تقول متحمسة وكيد النساء يقطر من كلامها

- وده برضة يصح يا "بهية"! أنا عارفة هي هاتموت وتوصله ليه فتسألها "بهية" بكيد أفدح من كيدها، بينما يحمر وجه "رانيا" وكأنه يكاد أن ينفجر بالدم من فرط الخجل والترقب

- ليه يا "ديدي"؟!

فتمط شفيتها مخرجة صوت "المصمصة" النسوي الأصيل، وتقول متهمكة مدعية - عشان تضيعلها ساعة واللا ساعتين من وقت المذاكرة، أنا فاهماها كويس

وتتنهد السيدة "بهية" بارتياح، لأجل "رانيا" قبل أي شيء، وتوجه السيدة "بهية" كلامها لـ "رانيا" بلهجة التحذير والوعيد

- خدي العربية "القولفو" وإوعي تحطي رجلك في عربية بابا يا "رانيا"، كفاية خديها إمبارح!

وإذ لا تملك "رانيا" رفاهية الاندهاش، تكظم اندهاشها وتعجبها من أين عرفت أمها أنها أخذت سيارة والدها ليلة الأمس، وتخمن أنها ولا بد "رزق" البواب هو من فضح أمرها، لكن كل هذا لا يهم الآن، فقد نالت المراد، وتقول "رانيا" عاقلة رصينة، أو مدعية العقل والصانة بمعنى أدق

- حاضر يا ماما، حاجة تاني؟

وينفس اللهجة الأمرة والابتسامة الماكرة

- وماتتأخريش عن نص ساعة، عشان كلنا رايجين السوق نشترى حاجات مع طنطك "بهية"، مش كنتي عاوزي تشترى حاجات برضة واللا غيرتي رأيك؟

فتقول "رانيا" ملتھية مشتتة

- آه طبعاً طبعاً، هي ساعة بالكثير وهارجع!

وتقولها وتهرع هاربة عبر بوابة الفيلا بينما تضحك أمها والسيدة "بهية" سواء، وتقول وكأنها غلبت على أمرها

- شوف البت!

ويقول "وليد" لطيفاً رقيقاً وقدمه خارج الفيلا والأخرى داخلها

- أنا ماشي بقى، مش عاوزين يا جماعة؟

فتجيب أمه في الحال سكرانة بحب ولدها

- عاوزاك طيب يا حبيب قلبي، روح ربنا ييسرلك طريقك وما يسيئني فيك أبداً يا

"وليد" يا ابن بطني، ربنا يفرحك وما يفضحك، ربنا...

وتقاطعها السيدة "خديجة" ساخرة

- جرى إيه يا "بهية"! هو رايح "العراق"؟! ربنا يسهلك طريقك يا حبيبي

ثم تقول وهي تكلمه بعينها أكثر من لسانها

- باقولك إيه "وليد"!

فيقول "وليد" خجلاً

- إيه يا طنط؟

فتنظر للسيدة "بهية" نظرة خاطفة، ثم تقول مبهمة

- خدوا بالكم من بعض!

فيجيب "وليد" في الحال متلعثماً مرتبكاً

- دي في عينا يا طنط... قصدي يعني... أكيد يا طنط!

فتضحك ضحكة عالية ذات قهقهة، ضحكة رائقة سعيدة، لا تخشى أن تخفيها، أو بالأحرى، هي تعلنها!

توقف "رانيا" السيارة بتهور إذ تضغط على المكابح "الفرامل" فجأة، إذ تصل لمحطة الأتوبيس "السوبر جيت"، فيعنفها "وليد" ويقول منفعلًا

- إيه ده "رانيا"! فيه حد يفرمل كدة! راسي كانت هاتتخط في التابلوه والله!

فتقول ملتهية مرتبكة

- أنا آسفة يا حبيبي! مش قصدي، بس مافيش وقت، لازم ألحق أقولك الكلمتين الي مالحتش أقولهم إمبراح، والي ماخلونيش أعرف أنا طول الليل

فيقول "وليد" منشغلًا

- ياه! للدرجة دي! كلمتين إيه دول؟

فتصمت "رانيا" للحظات وكأنها تنظم أفكارها ثم تقول وهي تنظر حاسمة في عينيها بجرأة وعشق، لا هم لها بأنها تخفيها أو تتجنبها في تلك اللحظة

- بص يا سيدي... أنا باحبك!

يفتح "وليد" فمه مذهولاً لا يعرف ماذا يقول أو كيف يعلق، فتعاجله هي أكثر حساً

- باحبك من وإحنا عيال عندنا ٥ سنين، والدنيا كلها عارفة، ماما عارفة، وبابا عارف، و"محمد" أخويا عارف، بس ده مش مهم، ولا ليه أي قيمة، لأنهم كلهم هايقولوا إن ده حب عيال مراهقين، مع إني ماما عرفت بابا وحبته وهي أصغر مني، ومع إني هاكمل ١٨ سنة في شهر مايو الجاي، اللي هو السن اللي بابا خطب فيه ماما، بس ده برضة كله مش مهم

فيقول "وليد" متحيراً مصدوماً مترعاً وجهه بحمرة الخجل

- كل ده مش مهم! آمال إيه المهم يا "رانيا"؟!

فتجيب "رانيا" في الحال وكأنها أعدت الردود مسبقاً، بنفس الحسم والثبات

- انت المهم يا "وليد"، وإنك تركز في كل حاجة بتعملها، المذاكرة وتمارين الكاراتيه، وتنسى أي حاجة وحشة أو غريبة أو حتى خيفة شفتها الفترة اللي فاتت، أنا قلتلك باحبك عشان عارفة إن الحب قواني وإداني طاقة هائلة وإداني أمل وحماس عمري ما حسيتهم قبل كدة، وعارفة ومتأكدة إنك مجرد سماعك لي أنا قلتة ده، فده برضة هايديك أمل وحماس وطاقة إيجابية تعرف تعدي بيها المرحلة الصعبة اللي إحنا بنمر بيها دي

فيصمت "وليد" للحظات سكراناً بما سمع، ثم يهم بالتعليق مرتبكاً

- بس يا "رانيا"...

فتقاطعه "رانيا" في الحال حاسمة حازمة

- ولا كلمة! أنا مش عاوزاك تعلق بولا كلمة، إلا أنك تقولي وتوعدي إنك أولاً هاترجع بالميدالية الذهب من البطولة الي انت رايحها دي، عشان خاطري أنا قبل خاطر أي حد، وثانياً إنك هاتركز جداً الفترة الجاية وهاتوت نفسك في المذاكرة لحد ما تجيب المجموع الي يدخلك الكلية الي نفسك تدخلها أياً كانت، إوعدي يا "وليد"!

فيهم "وليد" بالتعليق مجدداً، فتقاطعه "رانيا" مجدداً كأم تنهر طفلها

- مش قلتك ولا كلمة! وأي تعليق أو رد منك دلوقتي غير مقبول ولا كأي سمعت حاجة، حتى لو رديت وقتلي إنك بتحبني انت كمان، برضة ولا كأي سمعت حاجة، اعتبر نفسك مرايتي وأنا قلت الكلام ده قدامك في ساعة صدق أو حتى ساعة ضعف، وممكن أغير رأيي في أي وقت تاني زي ما أي بنت مجنونة بتعمل، لو انت كنت مرايتي يا "وليد"... كنت هاترد عليها؟!

فيصمت "وليد" ويهز رأسه بالنفي مغلوباً على أمره، فتمضي قوية واثقة

- وهو ده بالضبط الي أنا عاوزاه منك دلوقتي، وإنك توعدي إنك هاتعمل كل الي طلبته منك، هي دي الطريقة الوحيدة المقبولة إنك تعرفني بيها إنك بتحبني، ده لو انت بتحبني!

فيرد "وليد" في الحال وكأنه يزود عن كرامته
- طبعاً...

فتقاطعه حازمة

- هاه! قلنا إيه! يللا إوعدي يا "وليد"!

فيصمت "وليد" مهزوماً بكامل إرادته، ثم يقول مغلوباً بأمر الهوى
- أوعدك يا "رانيا"

فتقول في الحال من حيث لم يحتسب

- تمام! يللا انزل الحق الأتوبيس بتاعك

فيقول وكأنه يستجديها

- بس لسة الأتوبيس هايطلع بعد ربع ساعة!

فترد صارمة قاطعة

- يدوب تلاقيلك فيهم كرسي، وكمان طنطي "هبة" حبيتي مستنياني عشان أوريها محلات الجينز والسويترات عشان نجيبك كسوة الشتا يا باشا!

ولا يجد "وليد" بدأ من الانصياع، فقد قطعت عليه أي محاولة للأخذ والرد، ومستسلماً ينزل "وليد" من السيارة ثم يأخذ حقيبته من على الأريكة الخلفية، وما أن يأخذها ويغلق الباب، تنطلق "رانيا" بالسيارة وكأنها تهرب منه، أو تهرب من أي يرى ضعفها الذي استماتت لإخفائه.

"بطل على الطريق"

تركض "رانيا" وتتعثّر في بساط الردهة من فرط الלהفة ثم تفتح التلفاز، وتنادي على أمها السيدة "خديجة" شديدة الحماسة كطفل صغير أتى موعد كارتونه المفضل

- يا ماما الحقّي! البرنامج بيبدأ أهوه، تعالي بسرعة

فتقطع الأم الردهة - الطريقة - برشاقة نسبية، على جسدها المتراوح بين الاتساق والامتلاء، وتجلس على الكرسي المواجه للتلفاز، وتسأله بلهفة لا تقل عن لهفة ابتها

- إنتي متأكدة يا "رونا" إن هو ده البرنامج؟

فتجيب الأخرى في الحال فرحة

- أيوة طبعاً يا ماما، دي طنط "بهية" لسة متصلة بيا الصبح مخصوص ومأكدة عليا

فتسألها السيدة "خديجة" مأكرة بابتسامة ساخرة وحاجب مرفوع

- هي برضة اللي اتصلت بيكي واللا انتي اللي اتصلتي بيها يا مجرمة؟!

فتبتسم "رانيا" خجلة وتشعل خذاها بالحمرة الجميلة، وتتألق عيناها وتلمعان كقطعتي ألماس حر، ولا ينقذها إلا البرنامج وقد انتهت مقدمته، لتخرج علينا المذيعة الرشيقة "هالة راغب" أشهر مذيعة برامج رياضية في القناة الثانية، بشعرها الكستنائي المنفوش، ومكياجها الثقيل، وعدستي عينيها الزرقاوين اللتين تجعلانها تشبه مرضى الجلوكوما، وتايورها الأزرق الشهير ذو الكتفين العريضين بفعل "الأوبلتات"، ووشاحها ذو الألف لون، وتقول بلهجة تليفزيونية متكلفة

- مساء الخير، مرحباً بالسادة المشاهدين في برنامجكم الأسبوعي "بطل على الطريق"، والي بيستضيف أبطالنا من الشباب والناشئين في مختلف الرياضات، والي حققوا مراكز وميداليات وإنجازات رائعة في بطولات هامة وكبيرة في مختلف اللعبات باسم مصر بلدهم، ومعانا النهاردة بطلنا الشاب "وليد الشجيع"، الحاصل على الميدالية الذهبية في الكاراتيه في بطولة البحر المتوسط تحت ١٨ سنة، والي أقيمت الشهر الماضي في "اليونان"، وبطلنا "وليد الشجيع" حاصل أيضاً على فضية "إفريقيا" وذهبية العرب العام الماضي، والنهاردة استضافناه مخصوص في برنامجنا "بطل على الطريق" علشان نكرمهم على إنجازاته الرائعة اللي حققها لبلدنا العظيمة

مصر بالرغم من صغر سنه، بنرحب ببيك يا "وليد"، واللا أقولك يا "فان دام" زي ما معجيينك ومعجباتك بينادوك؟

وتضحك المذيعة ضحكة مهنية مصطنعة منتظرة الإجابة، وما أن تنتقل الكاميرا إليه ويظهر على الشاشة، تصرخ "رانيا" كمعجبة مهووسة

- "وليد" أهوه يا ماما! يخربيت جمال أمك!

فتضحك أمها بقوة وهي معجبة فخورة به ربما أكثر من ابنتها، تقول ساخرة

- شوف البت أم وش مكشوف!

وترد مشاكسة عابثة كشأن الأطفال وهم في قمة نشوتهم

- ليه! هو أنا قلت حاجة غلط! دي طنطي "بهية" حبييتي زي القمر

فتمصمص "خديجة" متهكمة، ثم تقول ناظرة للتليفزيون باهتمام

- طب بس اسكتي بقى عشان نسمع "ليدا" هايقول إيه

وينصتان باهتمام شديد إذ يجب "وليد" على سؤال المذيعة ملتعثاً في إخراج

- لا معجيين ولا حاجة حضرتك، اسم "فان دام" ده طلعه عليا المدرب بتاعي

الكابتن "غريب حسن"، عشان أنا أول فتح برجل عنده في التيم

فتسأله المذيعة متعجبة

- فتح برجل إزاي يعني؟!

فيضحك "وليد" مخرجاً، ثم يجيب

- قصدي حضرتك أول واحد فتح حوض ١٨٠ درجة، وبقيت أحط رجل على كرسي والرجل الثانية على الكرسي الثاني، وأنا فاتح برجل... قصدي فاتح حوض ١٨٠ درجة، زي "فان دام" في فيلم "القبضة الدموية"، فسماي الكاتين "فان دام"... بس كدة!

وينخرط "وليد" في الإجابة على أسئلة المذيعة المتتالية المتوالية، متحدثاً عن اجتهاده وتفانيه في التدريب، والتزامه بالنوم مبكراً وبنظام غذائي دقيق، وقدرته على تنظيم وقته بين التدريب والدراسة، لكن الغريب أن السيدة "خديجة" لم تكن تستمع لأي من تلك التفاصيل، بل كانت عيناها معلقتين بابتتها التي تشاهد البرنامج، أو بمعنى أدق تشاهد "وليد" وهي بكل اختصار في الوصف... وهي منومة مغناطيسياً، بمعنى أنها باختصار أيضاً محمقة في الشاشة مقتربة منها بشدة حتى تكاد تلتصق بالتلفاز، على وجهها ابتسامة شاملة تجمع بين الإعجاب والعشق والفخر والسعادة، ولا تقاطع تلك الابتسامة إلا بضع ضحكات انبهار متقطعة على أي شيء وكل شيء يقوله، وبضع نظرات خاطفة لأمها لترى انطباعاتها عن البرنامج، والتي تهز رأسها برضا وإعجاب كلما نظرت إليها ابتتها، وكأنها تعلمها

بأنها راضية عن اختيارها فيمن لم يكن لديها أي خيار في الوقوع في هواه، وبعد كل تلك الأسئلة التقليدية سألت المذيعة "وليد" من حيث لا يحتسب

- يقولولي يا "وليد" إنك ليك معجبات كثير أوي، قولي بقى بصراحة بتعامل إزاي مع معجباتك؟

وبالطبع يتجههم وجه "رانيا" إذ تسمع هذا السؤال، وتراقب "وليد" وتترقب رده كما المحقق ينتظر الإيقاع بمشربه به وإدائته، لكن "وليد" بما عهدنا فيه من البساطة والصراحة والصدق، يجيب بلا عناء بأول ما يخطر على باله كما بدا، وعلى وجهه ابتسامة عاشق

- طبعاً أنا باحب أشكر كل معجبيني ومعجباتي على إيمانهم بيا وتشجيعهم المستمر ليا في كل البطولات، بس بصراحة أنا ماليش أوي في موضوع المعجبات ده، كبير معاهم إني أتصور معاهم، في جروب مش لوحدهم أكيد فتقول المذيعة مشككة مازحة... أو مدعية المزاح

- ماتفهمنيش يا "وليد" إن شاب في وسامتك وفي نجاحك مافيش حد في حياته، يا سيدي بلاش من المعجبات، خليها صديقة!

فيصمت "وليد" للحظات وكأنه تذكرها، وحينها تلمع عيناه، ويتسمم ابتسامة الرضا والسكون والمودة، وتفضح ملامحه الهوى، فتقول المذيعة وهي تضحك بقوة فرحة ظافرة وقد أمسكته بالعشق المشهود

- إوعى تنكريا "وليد"! الابتسامة الجميلة اللي على وشك دي فضحتك، هاه! مين بقى يا سيدي المعجبة اللي خدتك من كل معجباتك؟

فيصمت مجدداً للحظات مشتتاً بقلبه المسلوب، ثم يجيب ضاحكاً فرحاً إذ تذكرها - لأهي مش معجبة بالمرة

فتعاجله المذيعة

- آمال هي إيه؟!

فيقول حذراً بعد تردد

- هي واحدة اتربيت معاها وأعرفها من وأنا عيل صغير

وبالطبع لكم أن تتخيلوا حال وشكل "رانيا" في تلك الساعة، والله وما أنا بحانث وكأنها من الساترين نيماً، واعية يقظة لكنها في عالم أبعد ما يكون عن عالمنا، تنظر لشاشة التلفزيون وكأن خلاصها فيها، لحد أنها لم تشعر بنفسها وهي تضع يدها على موضع وجه "وليد" في الشاشة، والعشق يحتل كل ما فيها، وخاصة عندما قال "وليد" بعد ذلك للمذيعة

- هي مجرد وجودها في حياتي بأي صورة من الصور، صديقة، أخت، حبيبة،
بيديني طاقة إيجابية جبارة بتخليني عاوز أشق الصخر وأحقق المستحيل، وأنا
باحب أهدياها بعد مصر طبعاً، وبعد أمي أعظم امرأة في حياتي، باحب أهدياها
الميدالية الذهب واللي هي أصرت إني مارجعش مصر من غيرها، وخلتيني أوعدھا
بكدة، ولذلك على الهوا أهوه وقصاد الملايين اللي بيشوفونا دلوقتي، أنا باهديكي
الميدالية الذهب يا... "ر"!

فتضحك المذيعة متفاعلة سعيدة بحكايات الحب الوليد في قلب "وليد"، وتقول
مازحة

- يللا يا ست "ر"! بسطي، بطلنا الجميل "وليد الشجيع" أهداكي الميدالية الذهبية
قصاد الشعب المصري كله، أنا لو مكانك مانامش من الفرح

ولا تتمالك "رانيا" نفسها من فرط السعادة، فتفر دمعة فرح من عينها، وهي
تضحك بشدة وسعادة الأرض تغمر روحها وقلبها وعقلها، تضحك باكية كشأن
المحبين إذ يسلبهم العشق ألبابهم واتزانهم وأي إرادة حرة لهم، ليفرض كلمته
مهيمناً مستبدًا، ولا تزال يدها تلامس موضع وجه "وليد" على الشاشة، بل وتملس
عليها مجذوبة بالعشق، حتى تختتم المذيعة "هالة راغب" البرنامج وتحيي البطل
الشاب "وليد الشجيع" على إنجازاته العظيمة في لعبة الكاراتيه باسم بلده مصر،
لكن الغريب أن "رانيا" لا تتأثر بانتهاء البرنامج كثيرًا، بل تجلس على الأرض أمام

التلفاز مشدوهة ممسوسة بالهوى، لا تنطق حرفاً واحداً، لولا السيدة "خديجة"
تقول آسفة

- يا خسارة البرنامج خلص بسرعة، مالحتش أشبع من "ليدا" حبيبي، إخص
عليكي يا "رانيا"، إزاي ماتسجليش البرنامج!

فتقول "رانيا" وعيناها معلقتان بالثريا المتألقة المتلاثلة، بجسد حاضر وعقل غائب
- مين ده! ده أنا باسجل على الفيديو بقالي ساعة قبل البرنامج، وكمنا شوية هانزل
أجيب شرائط فيديو فاضية عشان أعمل ٤ نسخ، ٣ نسخ ليا... ونسخة ليكم!

فتهز السيدة "خديجة" رأسها متصنعة السخرية، وكل ما فيها آمل متمن بشدة أن
تكتمل هذه القصة البريئة، فكم من قصص هوى أجهضت قبل أن تبث فيها الروح
وتكتب لها الحياة، ويوسد الصمت للحظات بينها، "رانيا" هائمة، و"خديجة"
تضع الخطط والسيناريوهات إن اكتملت هذه القصة، لولا الهاتف المزعج الذي رن
رنة طويلة، فتصرخ "رانيا" لا تزال مصروعة بنوبة العشق

- الحقي يا ماما... ده ترنك! ده "وليد" يا ماما... "وليد"!

وتنهض من على الأرض وتتقافز عابثة فرحة لا تزال ممسوسة بما يستحوذ على
قلبها، وتقول بصوت ما بين الصراخ والصياح الفرح العابت

- شفتي يا ماما! ماقدرش يعدي اللحظة الحلوة دي من غير ما يشاركني فيها

وتركض صوب الهاتف الموجود على منضدة الهاتف المجاورة لكرسي أمها، فترفع أمها الساعة بيد وتشير لها بيدها الأخرى أن تتوقف، وبنظرات محذرة حادة، ربما لا تريد أن يفتضح ذلك المشهد الجنوني - المراهق برغم كل ما نتمنى - والذي تلعب فيه ابنتها دور البطولة... قبل الأوان، فتجيب السيدة "خديجة" رصينة مترنة

- ألو! أيوة يا "بهية"، إزيك يا حبيبة قلبي... أيوة يا حبيبتى شفته، "رانيا"؟ لأ دي نايمة، جت من الدرس تعبانة ودخلت نامت، بس أنا سجلتلها البرنامج ماتخافيش صدق من قال على كيدكن عظيم! تهز رأسها شديدة الثقة وهي تستمع لما تقوله السيدة "بهية" على الطرف الآخر من الساعة، وكأنها غير مهتمة أو حتى متعالية على ما تسمعه، ثم تجيب ضاحكة ضحكة ظافرة وكأنها قد تحقق لها أمر في نفسها - "وليد" عاوز يسلم عليا؟ هاتيه حبيب قلبي عشان أباركله... أيوة يا "وليد"، إزيك يا حبيب قلبي؟ واحشني جداً يا حبيبي، مبروك يا بطل

وتستمع مجدداً لما يقوله "وليد" بنفس النظرة الواثقة المتكبرة على وجهها، وبين الآن والآخر تحدج "رانيا" بنظرات تهديد نارية، ألا تأتي بأي فعل طائش أحق فظهر كاذبة والعياذ بالله أمام أختها بالرضاعة، وبالطبع لكم أن تتصوروا حال "رانيا" في تلك الساعة، كم الحسرة والتبرم، لكنها لا تبدو منزعجة أو مستاءة بهذا القدر الذي قدر نتصوره، فربما علمتها فطرتها شيفرة "التعزيز" التي يجب أن تتعلمها كل أنثى قبل أن تتعلم حتى الكلام، وكأنها تؤمن وتعلم يقيناً، أن ما تفعله أمها برغم

صعوبته على نفسها، فهو في صالحها وصالح صورتها وكبريائها، ثم تقول "خديجة" وهي تبسم ابتسامة نسوية ظافرة مجدداً وكأنها نالت المراد

- عاوزني أصحيلك "رانيا" عشان تسألها على حاجة في المذاكرة؟!

وتنظر إلى "رانيا" تنتظر ردها، لكن من خلق من ضلع أعوج لا يمكن يأتيك من طريق مستقيم، إذ تهز "رانيا" رأسها بالنفي وهي تعلم أمها بأنه لا تريد الحديث معه، رباه! صدق أهلونا إذ كانوا يقولون كلما رأوا صورة أو موقفاً يعجز العقل عن استيعابه "يا مثبت العقل والدين يا رب!"، كيف الانتقال من ذلك الحال المحب الولهان مسلوب الإرادة والعقل، إلى هذا الحال العاقل الرصين المتنعم في بحر ثوان معدودات! وكيف لتلك الابتسامة الظافرة المتدللة وكأنها استعارتها من أمها أن ترتسم على وجهها وأمها تجيب مبتسمة بمكر متبادية في تعزيزها بتعذيبه

- طب ماينفعش تسأل "محمد" عن الحاجة دي؟!

وتكتم ضحكتها إذ تتلاعب به وابنتها وهن له راغبتان، وتومئ لابنتها بالسؤال مجدداً هل تريد الحديث مع الساذج المسكين "وليد"، بعد أن أكد لها ربما على الناحية الأخرى أنه لا أحد يستطيع حل معضلته وإراحة عقله إلاها... "رانيا"، فتهز ابنتها رأسها مؤكدة النفي والتمنع البائس، فتقول السيدة "خديجة" متصنعة انعدام الحيلة

- معلش يا "وليد" يا حبيبي، أنا مش عارفة أقولك إيه بصراحة، أصل "رانيا" جات من درس الكيمياء تعبانة أوي، عشان كانت سهرانة إمبارح طول الليل

بتذاكر، ونامت حتى من غير ماتتغدى، مع إني قتلها إنهم هايعرضوا البرنامج الي هاتظهر فيه الساعة ٧، قالتلي ابقى أسجلهولها عشان تشوفه لما تفضى!

فتهز "رانيا" رأسها لائمة أمها إذ أفرطت في جرعة التعزز والتدلل، وتهز أمها رأسها بغير اهتمام، واثقة من وصفتها النسوية الأصلية لقنص قلب الرجل، ثم تبدو مهتمة فجأة لسؤال يطرحه عليها ربما في شأن آخر، ثم تجيب

- عاوز اسم الدوا اللي اديتهولك عشان وجع رقبتك لما كنت هنا؟ مش فاكدة يا حبيبي والله، أنا فاكدة شكل اللعبة بتاعه بس، إيه حكاية رقبتك اللي وجعاك علطول دي! ماتروح لدكتور يا حبيبي يكشف عليك، مش انتوا عندكم دكتور علاج طبيعى في النادي؟!

وتنصت باهتمام مجدداً، ثم تنفجر ضاحكة إذ تقول مازحة

- أهو شكله الواد النيجيري ده هو اللي روقك في الماتش النهائي وهو اللي لوحلك رقبتك كدة!

وتستمر في ضحكها قليلاً، ثم تعود للإنصات باهتمام، وفي كل شيء تفعله السيدة "خديجة"، تتفاعل معها "رانيا"، تضحك إذ تضحك، تصمت وتحاول الإنصات بفضول لما يتناثر من الكلمات عبر الساعة عندما تنصت أمها، وتميل شيئاً فشيئاً بإذنها إلى الساعة، حتى تلتصق بها تماماً وتسمع المكالمة تقريباً، وأمها تحاول صدها

وإبعادها، لكن هيهات! للقلب أحكامه أيتها الحذقة الماكرة، ثم تجيبه السيدة "خديجة" في النهاية مشفقة وقد استعادت صفة الأمومة

- الدكتور قالك رقبتك مافيهاش حاجة، طيب خير الحمد لله، هما تلاقيههم شوية إجهاد من كتر القعدة على المكتب، ربنا يقويكم يا ابني وينجح مقاصدكم ومايضيع تعبكم قادر يا كريم، ألف سلامة عليك يا بطل عالطريق على اسم البرنامج!
وتضحك مجدداً ضحكة حانية، ثم تقول وهي تهم بالنهوض من جلستها

- ثواني يا حبيبي أقوم أجيبك علبة الدوا وأقرألك اسمها... تعبك راحة يا غالي يا ابن الغالية

وتلوح السيدة "خديجة" بيدها لـ "رانيا" منذرة ومحذرة إياها أن تمسك بالساعة، فتتهز "رانيا" رأسها بالإيجاب مطيعة، وبالفعل تجلس بضع ثوان على هذا الحال، لا تحرك ساكناً، حتى يتغير وجهها فجأة لملامح ممزوجة بين التعجب والانزعاج، وكأن فكرة أو خاطرة طرأت على بالها، لكنها خاطرة فيما يبدو أزعجتها أو ربما أقلقتها، وجعلتها تتردد في الإمساك بالساعة في الحال والتحدث مع "وليد"، متغاضية عن كل هذا الهراء والتمثيلية الهزلية الهزيلة التي شاركت فيه أمها في الدقائق السابقة، وتمد يدها لتمسك بالساعة، ثم تسحبها في آخر لحظة، وتظل على ذلك الحال من التراوح والقلق والتردد أتكلمه أم لا تكلمه بضع دقائق أخرى، حتى تسمع صوت وقع أقدام أمها آتية، لتعود في الحال لوضعيتها الساكنة

المستكينة، بينما تلتقط أمها الساعية ثم ترتدي نظارة القراءة ذات الإطار القرمزي، وتقول وهي شديدة التركيز وكأنها تحضر الدواء لا تقرأ اسمه فحسب

- أيوة يا "وليد"! أيوة يا حبيبي... الدوا يا حبيبي اسمه "هيماترويين"، عمك "هشام" كان جابهولي مخصوص من "إيطاليا" عشان الوجع والتزينة الوحشة أوي اللي في فخدي دي، بعد ما كنت يأسست وقلت إن الوجع ده عمره ما هايروح، خدتلي ٣... ٤ حبات منه الوجع راح كله تقريباً، ولما رحت للدكتور قالي عليه هايل وأفضل آخده، وقالي لازم أخفف شوية من أكل اللحوم الحمراء والأسماك والبيض لأن هي الي معلية الـ"يوريك أسيد" في الدم، وهي الي عاملالي التزينة دي وتنصت ثم تنفجر ضاحكة وتقول مازحة

- أيوة بالضبط! واضبت على الدوا وعلى اللحوم والأسماك برضة، هو فيه دوا يا ابني في الدنيا ينفع واللا يشفي من غير حبة لحمة ملبسة في طاجن بامية، والسلا صينية سمك دنيس مع شوية رز بالطماطم وسلطة بابا غنوج، بلاش تهريج! وتضحك مجدداً بقوة، ثم تقاطع ضحكها لتقول مهمة

- لأ يا حبيبي ماتخافش، هاتلاقيه في الصيدليات عندنا عادي، أنا لما خلص بعثت جبهته من الصيدلية، وبسر معقول مش غالي أوي

ثم تصمت وتنصت ويبدو أنها تنهي المكالمة، ثم تقول متلطفة

- ألف سلامة عليك يا حبيبي، وأنا لما "رانيا" تصحى وهاخليها تكلمك مخصوص
عشان تباركلك وعشان تشوفك كنت عاوز منها إيه في المذاكرة... عاوزاك طيب يا
حبيب قلبي، تسلمي يا حبيبي، سلملي على ماما أوي، وقولها طنط "خديجة"
هاتتصل بيكي بكرة الصبح عشان جلسة الرغي الصباحية... مع السلامة يا
حبيبي... سلامة... سلام!

وتضحك مجاملة ثم تضع الساعة، وتقول لابنتها وهي تنهض من مكانها مغادرة
الصالة بلهجة نصح نسوية أصيلة

- اتقلي شوية يا عبيطة، الراجل مايحبش الست السهلة
فتهز "رانيا" رأسها بالإيجاب في غير اهتمام غير ناظرة إليها حتى، وعقلها شارد في
شأن أبعد ما يكون عن هذا الهزل، شأن يجعل القلق أو ربما الخوف يحتل ملاحظها
فجأة، أو وكأنها متحيرة مشتتة في أمر ما له عدة احتمالات، ولا يتبدى لها في تلك
الساعة إلا أسوأها... أسوأها على الإطلاق.

تفتح السيدة "هبية" باب الغرفة برفق بعد أن طرقته مرتين، لتجد "وليد" منكفئاً
على مكتبه يستذكر بتركيز شديد، وبالطبع تسعد بذلك كأى أم تجد ولدها يجتهد في
المذاكرة، لذا تم بالانسحاب بعد أن طرقت الباب وفتحته، لولا "وليد" التفت
صوب الباب على يساره وسألها

- إيه يا حبيتي، كنتي عاوزة حاجة؟

فتقول خجلة وهي تنسحب وكأنها قطعت عليه صلاته

- لأ يا حبيبي، دي حاجة مش مهمة، ابقى أقولها لك وقت تاني

فيقوم من مجلسه ويمسكها من يدها ليلحق بها، ثم يعانقها بذراعه ويطلع قبلة
صادقة جميلة على خدها، ويقول حانياً رائعاً

- هو فيه أهم منك في الدنيا يا ست الدنيا! أنا خلاص باقلي ٥ ... ١٠ دقائق بالكثير
وأخلص، أنا قاعد أصلاً بذاكر بقالي يبجي ٥ ساعات لما أحوليت، كنتي عاوزاني
في إيه يا حبيتي؟

فتقول أروع منه حنواً

- حبتك العافية يا حبيبي

ثم تتردد قليلاً وكأنها تتحرج مما ستقول، وينظر إليها "وليد" ماكراً بحاجب مرفوع
وقد علم بالغيب ما يحول في خاطرها وينحبس في حلقها، ثم يقول واثقاً

- إنتي جاية تكلميني في موضوع "رانيا" يا "بيكو"، مش كدة؟!

فتهز رأسها في حسرة، وتقول مخرجة بعد تردد

- يا حبيبي أنا عارف إنك ميال ليها ويمكن بتحبها كمان، وأنا والله باحبها يمكن أكثر منك، بنت طيبة ومؤدبة وجدعة، هي مجنونة ومسترجلة شوية، بس بنت ناس وأصيلة

فيسألها "وليد" مداعباً

- بتفكريني بالمسرحية اللي بيقلولوا فيها "ما أنا ماقدرش أمشي وماقدرش أستنى!"،
فين المشكلة يا "بيكو"؟! أكيد خايفة إنها تخليني أهمل المذاكرة والتمرين، مسلسل
الساعة ٨ بتاعة ٩٥٪ من أمهات مصر!

فتضحك أمه على مزاحه... على مضض، ثم تقول بعد تنهد طويل قلق

- لأ والله يا حبيبي أنا عارفك من يومك ملتزم وجميل، ومافيش حاجة في الدنيا
تلهيك عن مذاكرتك وتمرينك

فيقول "وليد" مداعبها مجدداً

- أمال فين التعابين طيب؟!

فتصمت مجدداً بوجه منزعج، ثم تقول وكأنها آسفة لما ستقله

- طنطك "خديجة"!

فيقول "وليد" مستعجباً

- طنط "خديجة"! مالها؟ دي حبيبتك وأختك!

فتقول مجدداً وهي آسفة

- ماهو عشان هي حبييتي وأختي لازم أحذرك

فيقول مذهولاً

- يا نهار أبيض! وصلت لدرجة تحذريني! تحذريني من إيه يا ماما؟!

ومجدداً تصمت، وتقطع بلسانها بصوت الرفض الشائع وهي تهز رأسها متحسرة، وكأنها ترفض ما ستقوله أو أنها ستقول، ثم تطلق العنان لنفسها وتقول بلهجة حادة جادة

- ماهو أنا مش هاخلي "خديجة" تقعد تلعب بابني وحيدي وتلوع فيه عشان تعزز بنتها

فيسألها "وليد" مستغرباً

- إيه الي بيخليكي تقولي كدة؟

فتقول السيدة "بهية" وقد أخذتها العزة والحمية

- والله العظيم ثلاثة أنا واثقة ألف في المية إن "رانيا" كانت صاحبة لما انت اتصلت بيها بعد البرنامج، وإن "خديجة" هي الي منعتها تكلمك وكذبت وقالت إنها نايمة عشان قال تعززها وتكبرها، أنا عارفة الحركات البايخة البلدي بتاعتها دي من وإحنا عيال، دي عملت عمال في عمك "هشام"، لو اتعلمت في إبليس كانت

توبته، بس لا وحية أمها، تيجي عند ابني وتقف، ده أنا أروح أولع فيها هي وبنتها،
أنا اللي ييجي جنب عيالي أقطعه باسناني!

فينفجر "وليد" ضاحكاً، ثم يقول مازحاً

- يا نهار أسود! تولعي فيهم وتاكلهم باسنانك! ده أنا أمي طلعت "الميدوزا" وأنا
مش عارف!

فتضحك هي على تعليقه، أو تضحك لمجرد أنه يضحك، كشأن معظم الأمهات
الحنونات الرؤومات، اللائي يضحكن لضحك أبنائهن، سعادة وفرحاً بضحكهم
لا لخفة ظل مزاحهم، ثم يقول عطوفاً شفوفاً مطمئناً

- يا ستي إنتي مكبرة الموضوع أوي ليه كدة! والله العظيم أنا ما حاطط الموضوع ده
في دماغي بتعريفة

فتقول أمه فرحة مستبشرة

- بجد يا "وليد"؟

فيجيب "وليد" في الحال جازماً

- ولو فيه أقل من التعريفة كمان، فالموضوع ده في دماغي أقل من التعريفة

فتسأله "بهية" مشككة

- طب اتصلت بيها ليه بعد البرنامج بتاعك ما خلص

فيهز رأسه في غير اهتمام، ثم يجيب بلهجة بدت صادقة

- كنت فرحان بنفسي شوية، ولما الواحد بيكون فرحان بتبقى نفسه مفتوحة
عالناس كلهم، والله يا ماما بعد البرنامج من كتر فرحي، كنت عاوز أنزل أعدي
على أصحابي واحد واحد، وشيء طبعي ومنطقي جداً بصفة إن دول أقرب قرايبنا،
إني أتصل بيهم وأفرح معاهم

فتقول ماكرة متعالية وبعد أن تتمصمص مصمصة نسوية أصيلة

- مفروض هما اللي يتصلوا بينا، الفرح فرحنا وهما اللي مفروض الي يتصلوا يهنونا
وباركولنا

فينظر إليها متصنعاً الاستياء والنفور ويقول مداعبها

- بلدي أوي دي يا "بيكو"!

ثم ينفجر ضاحكاً مجدداً، ومجدداً تضحك هي لضحكها، وقلبها يرقص طرباً وعادة
وفخراً بابنها، الذي يمضي في طمأننتها قائلاً بهدوء ونضج سابقين لسنه

- أولاً أنا فعلاً زي ما قرأت ودرست حاسس إن مشاعري وتكوينني العاطفي لسة
مانضجتش بالشكل الكافي اللي يخليني أفكر في موضوع الارتباط من دلوقتي، يعني
بجد والله زمن غير تمثيل حاسس نفسي مراهق لسة، ومتلخبط وكل ساعة بحال
ورأي

فتسأله السيدة "هبة" مهتمة بشدة لحديثه

- إزاي يعني يا "وليد"؟

فيقول بلا إطالة تفكير وكل ما فيه صادق، ملامحه وصوته سواء

- يعني باختصار ساعات باحس إن "رانيا" دي أجمل بنت في الدنيا وإني باموت فيها، أروح النادي الأقي بنات جميلة على كل شكل ولون، بيهرجوا معايا وبيغازلوني كمان، إنتي عارفة ابنك واد "دون جوان"!

فتضربه برفق على يده مداعبة إياه، ويمضي هو بحديثه الصادق الجميل

- أحس ساعتها إني لا باحب "رانيا" ولا نيلة، وإن الأمر ما هو إلا شوية مراهقة على شوية هرمونات متلخبطة عندي وعندها، فتقوليلي بتقل بقى هي ومامتها والجو أفلام الستينات ده، ماخصنيش الكلام ده بتعريفه زي ما قلتلك، وأخيراً والله بجد برضة ومش تمثيل، أنا ماليش أي اهتمام بأي حاجة في الفترة دي إلا المذاكرة والتمرين والبطولات، اللي هايديني ٤٪ تفوق رياضي على المجموع بإذن الله، بس كدة!

فتهز رأسها وهي تبدو مقتنعة، ثم يخطر على بالها سؤال أخير تسأله مجدداً بلهجة التشكيك

- طب وليه قلت في البرنامج إن فيه بنت في حياتك اسمها يبدأ بحرف "ر"، هي اللي بتديك طاقة إيجابية وحساس عشان تفوز بالبطولات، لدرجة إنك أهديتها الميدالية الذهب قدام الناس كلها؟!

فيجب مجدداً بلا إطالة تفكير صادق اللهجة

- ما هي دي كانت من اللحظات اللي حسيت فيها إني باحب "رانيا"، الواحد وهو فرحان بيبقى حاسس إنه بيعحب الناس كلها، والله بعد ما خلص البرنامج بـ ١٠ دقائق نسيت كل اللي قلته فيه، وكمان مين اللي قالك إن البنت اللي اسمها بحرف "ر" دي هي "رانيا"؟! مش ممكن تكون "ريهام" صاحبتني في النادي، واللا "رباب" زميلتي في الفريق، واللا "ردينة" بنت الأستاذ "محمود رفقي" جارنا، ما هي بنوته شقرا وزى القمر برضة، ومستلماني في الرايحة والجاية نظرات وابتسامات، أنا معجباتي كتير يا "بيكو" زي ما "هالة راغب" قالت في البرنامج!

فتضحك أمه سعيدة به وبمزاحه وبمنطقه وبعقله وبردوده الصادقة، حتى بمعجباته، ثم يستدرك "وليد" بفكرة تذكرها أخيراً

- وبرضة كلمة حق لله، والله فعلاً من أسباب إني كلمت طنط "خديجة" إني كنت عاوز أعرف اسم الدوا اللي ادتيهوني عشان وجع رقبتني وإحنا في "بور سعيد"، دوا هایل ومتمد المفعول، وأجمل حاجة فيه إنه مايبينمش برغم إنه مسكن، ورحت جتته علطول بعد المكالمه، هاه! خلاص كدة بالك ارتاح يا "بيكو" يا مغلباني؟!

فترفع بصرها في إيماءة الدعاء الأمومي الشهير وتنطلق في الدعاء من حشاش قلبها
- إلهي يا "وليد" يا ابن بطني يريح بالك، ويديك ويعطيك ويعليك، وما يسيئني
فيكم أبداً

فيقول مازحاً عابثاً

- باقولك إيه! أنا ماباكلش من جو الدعا ده، أنا عاوز حقي ناشف، فين الزلابية
اللي وعدتيني بيها؟

فتقول لطيفة حانية

- لو صبر القاتل على المقتول! لسة كنت رائحة أسقيها الشرابات أهوه، تكون جاهزة
بعد ما تخلص مذاكرة يا حبيبي

فيقول مبتهجاً

- وأنا يا "بيكو" بعد ما أخلص مذاكرة هاروح أجيبلك حته فيلم خيالي نازل
جديد، إنما إيه... رهيب! خليت عمو "طارق" حجز هولي مخصوص، أنا بقالي كام
يوم مموت نفسي في المذاكرة ولازم أدلع نفسي شوية بقی

- أيوة يا حبيبي انت فعلاً شادد حيلك في المذاكرة اليومين دول، مع إنه إحنا لسة في
أول فبراير والامتحانات في آخر يونيو، روح هاتلنا الفيلم عشان تفك شوية عن

نفسك وتشم هوا، وتعرف تذاكر بنفس مفتوحة، أما أروح أسقي الزلاية الشربات قبل ما يبرد، وأول ما تخلص مذاكرة تعالى كلها، إن شاء الله تاكلها كلها

ويمسك "وليد" بيدها ويقبلها بقوة، ثم ينظر إليها "وليد" إذ تنهض ويتبعها بنظره، وابتسامة خافتة مرسومة على وجهه، تغيب في الحال إذ تغلق أمه الباب وراءها، وترتسم على وجهه محلها نظرة قلق مفاجئة، أو نفس نظرة الخوف من المجهول الذي ينتابه كلما شعر بالفرح أو السعادة أو الطمأنينة، لذا يقول بوجه مشفق بعد تنهيدة طويلة وجلة

- ربنا يستر!

يرتدي "وليد" ملابسه متحمساً بعد أن انتهى من مذاكرته، بنية الذهاب لمحل شرائط الفيديو المفضل لديه "برايس فيديو فيلم"، لاستئجار الفيلم الذي كان قد طلب من "أونكل طارق" كما يدعوه مراراً أنه يحجزه له، فيلم "الغابة المظلمة"، وإذ سأله "وليد" أكثر من مرة ما إن كان فيلم رعب، وإذ أخبره أن أعصابه لم تعد تحتمل أفلام الرعب، وخصوصاً مع الضغوط النفسية للثانوية العامة والتمرين والبطولات، أكد له الأستاذ "طارق" وأقسم له إنه ما هو إلا فيلم خيالي، فيه جنيات وحوريات وغيلان، وينظر "طارق" عبر زجاج غرفة نومه الداكن ليجد القمر متكماً، فيزداد انسجامه ورواقانه، فلطالما أحب القمر متكماً، ولطالما أشعره

بالشاعرية والصفاء، وإذ بهم بإغلاق النور مغادراً غرفته، يهياً له أنه سمع صوتاً، ويكف عن الحركة حتى يصغي جيداً، فلا يجد شيئاً ولا يسمع شيئاً، فيهبز رأسه وكأنه ينبه نفسه، ثم يتذكر أنه لم ينم منذ الأمس سوى ٤ ساعات، وأنه عاد من التمرين واستذكر له ٥ ساعات كاملة، فلا بد وأنه مجهد وعقله مستهلك، ولا طاقة متبقية فيه سوى تلك التي سيشاهد به فيلم الفيديو، وبهم بإغلاق النور مجدداً، ليهياً له مجدداً أنه يسمع ذات الصوت، ولكنه هذه المرة قد على وارتفع واتضح أكثر، إنه صوت أشبه بالنعيب، وهو صادر من خارج الغرفة، من حديقة القصر الذي تطل عليه غرفة نومه، القصر الذي كان لثري عربي في السبعينيات والثمانينيات، ثم باعه لشخص مجهول في أواخر الثمانينيات، وهذا الشخص المجهول لم يزر القصر - سوى بضع مرات تعد على أصابع اليد، وتصادف أن رآه "وليد" مرة أو مرتين وهو يعتني بحديقة القصر، ودون ذلك فالقصر مهجور معتم شديد الظلمة معظم العام، وكان "وليد" قد ذهب خصيصاً لحارس القصر، وأخبره أن يركب مصباحاً أو مصابيح - لمُض - على سور القصور الجنوبي، من ناحية غرفة نوم "وليد"، لأن الظلام يكون حالكاً في الليل، وهذه فرصة سانحة لأي لص أن يتسلل إلى القصر - أو حتى البنايات والبيوت التي تحده، فوعده الحارس أن يركب المصابيح وبالفعل ركبها، وأضاءها يوماً أو بضع يوم، ثم عاد يطفئها مجدداً، ولم يعد "وليد" يهتم بذلك الأمر كثيراً، فلديه الكثير مما يشغله، حتى تلك اللحظة التي سمع فيها صوت النعيب، وتوجه "وليد" إلى شباك غرفته الألو ميتال العريض، وفتحته عن آخره، وطل من

الشباك يوجه أذنه تجاه مصدر الصوت ويحاول تمييزه بشكل أفضل، ويعلمو صوت النحيب، ويعلمو ويعلمو! فينقبض قلب "وليد" بالطبع، قلقاً لا خوفاً، إذ يحسبه شخصاً ما حزيناً أو في محنة ويكي وحده، لكن صوته مختلف، إنه صوت غليظ للغاية، أغلظ مما سمع "وليد" قط في حياته، صوت غليظ ومكظوم، وكأن هذا الباكي يكي في باطن الأرض، ويطل "وليد" بجسده أكثر حتى يكاد يكون نصف جسده خارج الشباك، ويحاول أن تبين ما إن كان هذا الباكي في الحديقة أم داخل القصر، لكن الظلام شديد الحلكة، ولا يستطيع تبين أي شيء، حتى تحت ضوء القمر الخافت الزهيد، لكنه يستطيع تبين همهمات وتمهمات أشبه بالكلمات، تقال بشكل مكرر وسط البكاء، وحينها يملك منه الفضول فيطل بجسده أكثر خارج الشباك، حتى يكاد يفقد توازنه ويسقط فيلحق بنفسه برشاقة ويمسك بحلق الشباك، ويحاول الإنصات بتركيز شديد لتبين تلك الهمهمات المتكررة، وينحسر البكاء وتزداد الهمهمات والتي تتضح كلماتها شيئاً فشيئاً، من وقع الكلمات تبدو وكأنها جملة واحدة متكررة، وينصت "وليد" وينصت، ويعلمو الصوت ويعلمو، حتى تصبح هذه الجملة المتكررة هي لحن النحيب، ويستحيل النحيب بكاء عالياً أقرب للصراخ والعويل، وتتضح الجملة المتكررة والتي تقال بلهجة شديدة الندم والحسرة، أو وكأن قائلها يستغيث بها لمن يسمع، أيًا كان

- انت الي ضيعتهم! انت الي ضيعتهم!

ويحلق "وليد" بقوة ويمعن النظر في باحة الحديقة ليحاول تبيين وجود أحد مجدداً، ويتكيف العين مع الظلمة الحالكة يهياً له أنه يرى شكلاً أو ربما ظلاً، لكنه لا يستطيع تبينه بعد ولا ملامحه بعد بشكل كاف، والغريب أنه يقف في وسط الحديقة بالضبط، أي أنه إن كانت الحديقة دائرة كان هو في مركزها، وعلا الصوت أكثر... وأكثر، العلو الذي يوحي بأنه صاحبه يقترب، وكلما علا الصوت كلما تبين "وليد" شكل وهيئة صاحبه في الظلام الدامس، وكلما غلب الفضول الخوف في نفس "وليد" أكثر وأكثر، ومع اقتراب الصوت اقترب صاحبه ليدخل في حيز ضوء الغرفة المنعكس على الحديقة، وتدخل القدمان أولاً في حيز الضوء، إنها قدمان متكدمتان زرقاوان متشققتا الأظافر، وبالطبع ما أن يراهما "وليد" يتراجع عن إطلالته بجسده من الشباك، ليقف فيه فحسب، وبالطبع تنقبض نفسه ويعلو صوت الخوف على الفضول مجدداً في قلبه وعقله، ويدخل صاحب الصوت في حيز ضوء الغرفة القوي أكثر فأكثر وهو يكرر ذات الجملة، بنبرة توقع الرعب في قلوب البشر والشجر والحجر، وبعد القدمين يتجلى في الضوء أن ما يرتدي صاحب الصوت أشبه بقميص نوم، لا عجب، فإن القدمين على قبحهما وشكلهما المخيف، يبدوان في النهاية لامرأة، وقد تأكد هذا الخاطر لـ "وليد" إذ يرى القميص المهترى المتسخ الشفاف، ليس لأنه شفاف بطبيعة قماشته، بل شف بالماء، أي وكأن هذا القميص مبتل بالماء بما جعله شفافاً، ويتضح القميص أكثر وأكثر بدخول صاحبه أكثر في حيز الضوء، حتى يبلغ الضوء صدره، بل صدرها... إنها امرأة! أهلكك الله

يا "وليد"! وما عشت لترى كل هذا الفزع بأم عينيك، أيعقل أن يصدر هذا الصوت الغليظ المكظوم من امرأة! كيف ولماذا ومم؟! لا يجد "وليد" ما يحاول بائساً يائساً التغلب به على خوه سوى التحدث معه مباشرة، فها هو ذا يتجسد أمامه بأوضح وأروع صورته، لذا يقول "وليد" للمرأة سائلها بصوته مهزوم مترقصة ألحانه بوقع الخوف

- مين! إنتي مين؟! مين الي بيصرخ؟

ولا تزال تقترب بصوتها الغليظ المفزع حتى يتبين وجهها وشعرها من فوقه، إنه شعر مبتل متسخ متدل على وجه تلك المرأة، ويظن "وليد" لأول وهلة أنه ما أن يرى وجهها سيتوقف قلبه في الحال ذعراً وهلعاً، لكنه إذ يرى الآن وجه تلك المرأة واضحاً تماماً بضوء الغرفة، يجد وجهها حزيناً لا مخيفاً، مخزناً لا مقبضاً، يجدها باكية ملامحها مستنجدة مستغيثة متوسلة، وما ذلك الذي يغطي وجهها؟ إنه ليس وسخاً ولا تراباً عادياً، إنه أشبه بالحبيبات، ويحملك "وليد" في وجهها أكثر ليحاول تبينه، عجباً... إنها رمال، أشبه برمال الشاطئ، ولا تغطي وجهها فحسب، بل ويغطي جدائل شعرها الملتصقة المتسخة، وكأن هذه المرأة أخرجت للتو من قاع البحر، واقتربت المرأة حتى أصبح لا يفصل بينها وبين "وليد" إلا بضعة أمتار، هو في الأعلى وهي في الأسفل، ومجدداً لا يجد "وليد" وسيلة لقهر خوفه سوى التحدث

معها بشكل مباشر، لذا يسألها وقد قلت نسيباً جرعة الخوف في صوته ليحل محلها
التعاطف والشفقة

- إنتي مين وإيه اللي جابك هنا؟! إنتي حد خاطفك؟ قوليلي وأنا اتصل بالنجدة
حالاً

فترفع المرأة يديها وكأنها تستنجد بـ "وليد"، كما الغريق يرفع يده لينتشلوه من الماء،
ولا تزال عيناها باكيتين شديديتي الاحمرار، ولا تزال تهمهم بنفس الجملة لكن
بصوت خافت ضعيف بالكاد مسموع، فيسألها "وليد" بإلحاح وقد تغلب على
معظم خوفه

- لازم تقولي لي إيه اللي حصلك وإيه اللي عمل فيكي كدة عشان أقدر أساعدك،
طب انتي اسمك إيه وإيه اللي جابك هنا؟!

ولا تزال تنظر إليه بنفس العينين الباكيتين المتوسلتين، ولا تزال ترتعد من شدة
البرد، لذا يسألها "وليد" بقلب ممزق بين الرهبة والشفقة

- طب انتي إزاي لابسة كدة في الجو الرهيب ده! استني أخش أجييلك حاجة
تلبسيها

وقبل أن يدخل من الشباك تلحق به صارخة فجأة بنفس اللهجة المستغيثة

- الحقهم قبل ما يضيعوا! ليه سبتهم ومشيت؟!

ويتجمد "وليد" في مكانه للحظات مخضوضاً بالصرخة المستغيثة، ثم يسألها مرتبكاً
جزعاً

- مين دول الي ألحقهم؟! ومين الي أنا سبتهم ومشيت؟!

فلا تجيب المرأة وتظل تهمهم بشكل هستيري بكلمة واحدة "الحقهم!"، ويسمع
"وليد" هذه الكلمة بوضوح، لذا يقول للمرأة مطيعاً وكأنه يفهم عما تتحدث وماذا
تقصد

- طيب حاضر هالحقهم، والله هالحقهم، بس استني أجيلك حاجة تتغطي بيها
بدل ما انتي عمالة ترتعشي من البرد كدة

ويدخل "وليد" إلى الغرفة ويشد البطانية الثقيلة التي يتغطي بها بلا تفكير ويهرع إلى
النافذة، ليجد المرأة... بالضبط كما توقعتم، قد اختفت! مع إنه لم يغب عن الشباك
إلا ثوان معدودات، لا تكفي لأحد في حالتها المتهاكة المنهارة أن يهرب أو يركض
أو حتى يتوارى فيها عن الأنظار في الظلام، لذا يصرخ "وليد" بأعلى ما في صوته
منادياً

- يا ست!... يا ست!

وعلى هذا النداء العالي المرتبك، تدخل أمه عليه الغرفة، لتجد "وليد" واقفاً مرتبكاً
فزعاً بوجه شديد الشحوب وكأنه هارب من عالم الأموات، والبطانية في يده وقد

فتح الشباك عن آخره، بما جعل الغرفة أشبه بثلاجة اللحوم الكبيرة من شدة البرودة، وخاصة وأن واجهتها بحرية وشباكها واسع للغاية كما أخبرتكم، لذا تسأله أمه متوجسة خائفة ليس من أي شيء إلا عليه

- بتنادي على مين يا "وليد"؟!

فيصمت "وليد" للحظات ثم يجيبها مرتبكاً مشتتاً

- الست!

فتسأله مشفقة وهي تعلم يقيناً أنه سيجيبها بكذب

- الست مين يا "وليد"؟!

وبالفعل يجيبها متلعثماً مفضوح الكذب

- الست يا ماما!... الست مراة بواب القصر عمالة تنضف وعاملة دوشة وكنت بازعق فيها عشان تسكت!

وتنظر السيدة "بهية" على حديقة القصر لتجدها مقبضة شديدة الظلمة لا أثر فيها لكائن حي، وشجرها العالي المشابك يمنع أيّاً من ضوء القمر من الوصول إليها، ويزيدها إرهاباً وإرعاباً، فتهمز السيدة "بهية" رأسها في حسرة وهي تعلم بحدس الأم أن هناك خطباً ما بابنها، خطباً ما شديد البأس، لذا تسأله بنفس اللهجة المشفقة وهي تعلم أنه سيجيبها بكذب مجدداً

- طب وشايل البطانية ليه كدة؟!

فينظر للبطانية ويحيبها كاذباً في لحن القول كما توقعت

- عشان... عشان لقيت ريجتها مكمكة! قلت أنشرها شوية على الشباك عشان

تتهوى

فتهز رأسها متحسرة مجدداً وقد علمت يقيناً أنه يكذب عليها، ثم تقول له حانية

والألم يعتصر قلبها على حال ابنها، أو الحال الذي تظنه بابنها من الاضطراب

والشتات

- طيب سيبها دلوقتي وأنا أبقى أنشرها لك الصبح في الشمس، والحق روح هاتلنا

الفيلم قبل ما نادي الفيديو يقفل، الدنيا شتا وهاتلاقي نوادي الفيديو بتقفل بدري

فيقول متصنعاً الحماسة وهو يراها فرصة سانحة للهروب من المواجهة في تلك

الساعة المشؤومة

- هوا! عقبال ما أرجع تكوني حضرتي العشا، وإوعي تنسي الزلاية

فتبتسم ابتسامة حزينة وتقول متصنعة الحماسة مثله

- حاضر يا حبيبي، عقبال ما ترجع هايكون العشا جاهز

وبالفعل يهرب "وليد" من أمامها في لمح البصر، وتخترع جالسة على سريرها، وفي

عينها قلق لا يمكنه أن تصفه الكلمات، إذ تظن بابنها الظنون، إما أنه يتعاطى شيئاً،

أو أنه قد فقد رشده بسبب ضغوط المذاكرة والتمرين، ثم تقول لنفسها وقد اتسعت
عينها وكأن فكرة طرأت على بالها، أو وكأنها وجدت ضالتها
- هو أكيد معمول له عمل... أكيد!

يسير "وليد" في الطريق إلى نادي الفيديو سكراناً بما رأى وشهد، يهزي بينه وبين
نفسه بالكلمات التي كانت المرأة تنطق بها، أو بالأحرى تصرخ وتستغيث بها،
ويسأل نفسه مشتتاً على شفير الانهيار العصبي

- الحقهم قبل ما يضيعوا! سبتهم ليه ومشيت؟! ... مين دول الي أحلقهم ومين أنا
الي سبتهم ومشيت بس يا ربي؟! وسبتهم فين ومشيت منين؟!

ولا يعينه الطريق إلى نادي الفيديو فهو مظلم في معظمه، والشتاء قارس البرودة
والشوارع تكاد تكون خالية من الناس، إلا من بعض الدكاكين والمحال، مع إن
الساعة لم تتجاوز الثمانية مساءً بعد، وينعطف "وليد" إلى الشارع الفرعي الكائن فيه
نادي "دينا فيديو فيلم"، ليجده أكثر ظلمة من الشارع الرئيسي المتفرع منه، وما أن
تطأ قدمه الشارع، حتى يشعر بألم رهيب فيها، فيرفعها سريعاً ليتبين مصدر هذا
الألم، سحقاً! إنه مسمار، مسمار حديدي ملتو صدى، اخترق الشبشب وأخصص
قدمه سواء، وبلا تفكير ينتزع "وليد" المسمار في الحال وبالطبع يصرخ جراء الألم،

ولا يزيده هذا الحدث العارض إلا تشاؤماً وضيقاً في الصدر، ويدخل نادي الفيديو وهو يعرج، وما أن يجده الأستاذ "طارق" صاحب المحل هكذا يسأله منزعجاً

- إزيك يا... إيه ده! إيه اللي حصل؟ مالك بتعرج كدة ليه يا "وليد"؟

فيجيبه "وليد" متألاً لا يزال

- إزيك يا عمو "طارق"، مافيش! ده مسمار دخل في رجلي وأنا داخل الشارع، مش عارف مين اللي رماه ربنا ينتقم منه!

فيسأله الأستاذ "طارق" مستاءً

- ناس ماعندهاش ضمير، مع إن الشارع ده مليان ولاد بوايين وبياعين في السوق بيقتعدوا يجروا حافيين طول اليوم، طب المسمار ده كان سليم واللا مصدي يا "وليد"؟

- أنا ماشفتوش أوي في الضلمة يا عمو، بس الظاهر كدة إنه كان مصدي

- يا نهار أسود! طب وريني رجلك بسرعة، أنا كنت ممرض في الجيش وباعرف أنضف الجروح

فيخلع "وليد" الشبشب متألاً بصعوبة، ليجد لعجبه أنه لم ينزف مطلقاً... ولا نقطة دم واحدة! وليجد أن المسمار لم يترك إلا علامة بسيطة في أخمص قدمه، فيقول الأستاذ "طارق" مازحاً

- يا راجل خضيتني! ده أنا قلت هالاقى بحور من الدماء نازلة من قدمك
ويضحك "وليد" مجاملاً إياه على مضض، ثم يقول الأستاذ "طارق" مازحاً مجدداً
- تلاقيك خدت عين يا بطل، مش دي رجلك الي بتضرب بيها في البطولات
فيقول "وليد" متواضعاً مازحاً بدوره
- أنا باضرب برجليا الاتنين يا عمو "طارق"
- فيضحك الأستاذ "طارق" ضحكة جهورية فرحة، ثم يقول فخوراً متحسماً
- فاكري يا "ويلا" وانت عيل صغير عندك ٦ ... ٧ سنين، لما كنت بتشبط في الدكتور
"محمد" والدك أو مدام "بهية" والدتك عشان ياخدوك معاهم لما ييجوا يأجروا
فيلم، ومن أول يوم شفتك فيه جاي مع والدتك وداخل عليا بيدلة الكاراتيه أم
حزام أصفر، قلت الواد ده هايبقى بطل عالمي، فاكري يا "ويلا" الواد "عيد" التخين
ابن بياعة اللمون المعصفر الي في شارع السوق الي ورانا، لما جه يبلطج عليك ويجر
شكلك عشان كان غيران منك، فاكري العلقه الي إديتهاله؟
- فيضحك "وليد" محرجاً، ثم يقول متواضعاً مطرق الرأس
- كنا عيال بقى يا عمو "طارق"، الواحد دلوقتي المفروض إنه كبير وعقل...
المفروض يعني!

فيضحك الأستاذ "طارق" ذات الضحكة الجهورية التي يتسم بها، فلا يمكن للرجل في طوله وعملقته إلا أن يضحك هذه الضحكة الجهورية الرنانة، ثم يقول حانياً

- مع إن الجرح اللي سابه المسمار صغير، بس لازم يتطهر برضه، ثواني يا "ويلا" أروح أجيلك الكولونيا من العربية عشان أطهره

فيمسك "وليد" بيده ويقول وقد ازداد إحراجه

- خليك يا عم "طارق"، ماتتعيش نفسك، أنا هاروح البيت وأخلي ماما تطهر هالي

فيقول الأستاذ "طارق" مصراً

- لأ يا "وليد"، الجرح ده من مسمار مصدي زي ما انت بتقول، يعني لازم يتطهر حالياً، اقعد انت اتفرج على مجموعة الأفلام الجديدة اللي لسة جاياي النهاردة، وعقبال ما تخلص أكون أنا رجعت، وكم ان أجيب السندويشات الي عمالهالي "سمية" مراقي، انت اتعشيت؟

فيقول "وليد" مخرجاً بشدة

- آه... لأ! قصدي هاتعشى أول ما أروح علطول

فيقول الأستاذ "طارق" كريماً صادق الدعوة

- اقعد اتعشى معايا يا "ويلا"، دي "سمية" عاملالي ييجي ٢٠ سندويتش، إشي فراخ على سجع على بيض بالبسطرمة، على مفتاة، انت عارف عمك "طارق" أكيل قديم

فيقول "وليد" مهذباً لطيفاً

- أَلف هنا وشفا عليك يا عمو، بس بجد والله ماما محضرة العشا في البيت ومستتياني، قولي بس إيه حكاية مجموعة الأفلام الجديدة دي؟
فتملع عيناه ويحييه متحمساً

- حنة مجموعة يا "ويلا"! رعب على أكشن على خيالي على خيال علمي، "جاكي شان" على "فان دام" على "أرنولد" على "سيلفيستر" على "شاك نوريس"، ومعظمها موجودة ماخرجتش، وفيها شوية أفلام رعب من اللي قلبك يحبها، وأنا عارفك كيف أفلام رعب قديم، تربية إيدي

فيبتسم "وليد" ابتسامة باهتة كاذبة متصنعاً التفاعل معه والتحمس لحماسته، ثم يقول الأستاذ "طارق" بعدها بنفس الحماسة

- أروح أجيبلك الكولونيا وأرجع نفرزهم ونقلب فيهم على رواقه، ثواني وراجعلك يا "ويلا"، بس إوعى تروح كدة واللا كدة وتسبب المحل لوحده يا "وليد"، لاحسن أنا سايب الإيراد في درج المكتب وولاد الحرام في المنطقة هنا
مايتوصوش

فيهز "وليد" رأسه مطيعاً حريصاً، فيتسم له الأستاذ "طارق" ممتناً ثم يخرج مسرعاً من باب المحل ويترك "وليد" وحده، وهو آخر ما قد يريده "وليد" في تلك الساعة، فالمحل ضعيف الإضاءة ضيق شديد البرودة، أما تصميمه فهو أشبه بردة أو طريقة طويلة، والأفلام متراسة على جانبيه، وفي آخر تلك الردهة توجد ستارة، ستارة خضراء قطيفة ثقيلة يسميها الأستاذ "طارق" وما وراءها بـ "المخزن"، ولم يعرف "وليد" يوماً لم سمها المخزن، برغم أن المساحة التي يستقطعها من مساحة المحل لا تتجاوز مترين في ٣ أمتار على أقصى حد، لكن الأستاذ "طارق" لطالما تفاخر به وقال إنه يحوي الأفلام "الخلاصة" لذواقي الأفلام وهوايها، وقد دعا "وليد" لدخوله أكثر من مرة عندما كان لا يجد أي فيلم يعجبه في المحل، فكان يقول حينها ماكرأ وكأنه يدبر مؤامرة عظيمة تعليقات تشويقية مبالغاً فيها على غرار

- مش لاقى فيلم عاجبك في المحل... يبقى طلبك عندي في المخزن!

وجلس "وليد" لثوان قليلة بعد انصراف الأستاذ "طارق"، يقلب عينيه في الأفلام المعلقة على الأرفف أمامه، وإذا وجد القلق قد بدأ يتسلل إلى نفسه، وخاصة أنه منذ أقل من ساعة فقط كان يجري حواراً مع امرأة لا يعرف لأي الثقليين تنتمي، أهى بشر أم روح أم شبح أم عفريت من الجن حتى! لذا ما أن تذكرها هب من جلسسته فزعاً، وأخذ يجوب المحل غدواً ورواحاً ممسوساً بالتوتر والاضطراب ولا ينظر لأي من الأفلام المتراسة على الأرفف حتى، مع إن تلك كانت هوايته المفضلة، أن

يتأمل في أغلفة أفلام الفيديو ويشاهدها بعناية كلما زار المحل، لكن ليس في تلك الساعة النحسة المشؤومة، لم تمر بضع دقائق وكاد "وليد" يشعر أن الأستاذ "طارق" غائب من ساعات، لذا قرر "وليد" في الحال أنه لا طاقة له في تلك الليلة بمزيد من القلق أو حتى الانتظار، وقرر الانصراف في الحال، لكنه ما أن خرج من باب المحل تذكر ما وصاه به الأستاذ "طارق" ألا يترك المحل وحده، لذا بلا إطالة تفكير عاد ودخل المحل في الحال، ولم يجد بداً من ممارسة عادته القديمة في مشاهدة أغلفة الأفلام للتحايل على الوقت وعلى توتره، وتذكر أن الأستاذ "طارق" أخبره باستلام مجموعة جديدة من الأفلام، لذا توجه لقسم الفلام الجديدة وأخذ يتفقدتها سريعاً لا يرى أيّاً منها، فكلنا نعلم أنه عندما يملك الخوف من أحدها، تشل كل حواسه وقدرته على الاستمتاع بالأشياء التي يستمتع بها عادة، لا أكل ولا شرب ولا نوم ولا حتى المتعة العظمى، والأسوأ أن قسم الأفلام الجديدة كان ملاصقاً للستارة الخضراء والمخزن المعتم القابع وراءها، لكن "وليد" حاول استجماع ما استطاع من شجاعته وتجاهل أي وساوس وأفكار سيئة، وحاول الاستمتاع وتصنع الحماسة بمجموعة الأفلام الجديدة، التي في أي ظروف أخرى، لطار بها فرحاً، وحاول كعادته قراءة كل كلمة كتبت على أغلفة تلك الأفلام، والتمعن في صورها، وبالفعل ذهب عنه بعض من روعه وتوتره بفضل هذا، وبدأ يستمتع باللحظة فعلياً، ووجد نفسه يسحب كرسي المكتب تلقائياً ويجلس عليه في مقابل قسم الأفلام الجديدة، وبدأ يسحب الأفلام فيلماً تلو الآخر، ويقرأ موجز القصة المكتوب

على ظهر الأفلام، حتى وصل إلى فيلم "قلب الأسد" وهو الفيلم الجديد لبطله المفضل والذي سمي على اسمه "فان دام"، ففرح به حقاً ونسي في تلك اللحظة كل ما كان يهيمه أو يغمه أو يوجله، وقلب الفيلم متحمساً ليقراً موجز قصته، لكن وكأنه في هذا الصمت الرهيب المحيط به سمع صوتاً، لكنه لم يبد مقلقاً أو مخيفاً لأول وهلة، إنه صوت موسيقى، وبدأ يرهف "وليد" السمع ويحاول الإنصات جيداً لعله يتعرف على مصدر هذا الصوت، ولا ضرر في ذلك، فهو صوته موسيقى في النهاية، لا صوت بكاء ولا عويل ولا نحيب ولا استغاثة، ولكنها موسيقى فحسب، موسيقى خفيفة مفرحة أو كأنها موسيقى راقصة، لكن مع ذلك فهي موسيقى قديمة، أشبه بتلك التي كانوا يرقصون عليها في حقبة العشرينيات، ويخرج "وليد" خارج المحل ليحاول تبين مصدر الموسيقى، لكنه وجد الشارع أشبه بمشهد من فيلم رعب قديم شاهده اسمه "مدينة الأموات"، ولا نور مضاء حوله في أي من المنازل القصيرة المهجور معظمها في هذا الحي القديم، والعجيب أن منظر الشارع أو جلله وأخافه قليلاً، بظلمته وبرده ووحشته، والأعجب أن صوت الموسيقى ازداد وعلا ووضح في المحل، فلم يصدق "وليد" نفسه لأول وهلة، فخرج من المحل فلم يسمع أيّاً من صوت الموسيقى وكأنها غير موجودة، فعاد ودخل المحل فسمع صوت الموسيقى بوضوح، فكرر التجربة لاهياً، يخرج فلا يسمع أي شيء، ولا حتى صوتاً خافتاً للموسيقى، ويدخل فيسمع الموسيقى بوضوح، وكأن هناك حائط عازل صوت خفي بين المحل والشارع، فاستغرب

"وليد" لذلك، لكنه لم يخف، بل اعتراه فضول شديد أن يعرف مصدر هذه الموسيقى، وبالطبع كان أول ما يبحث فيه عن مصدر هذا الصوت وهذه الموسيقى هو الراديو كاسيت الموجود على مكتب المحل، وتفحص "وليد" الراديو فوجده مغلقاً، فشغله فوجده مضبوطاً على إذاعة القرآن الكريم، فأطفأه ثم تدارك، فعاد وفتحته في الحال، كشأن معظمنا، لا يلجأ إلى كلام الله أياً كان الكتاب الذي يحويه قرآن كان أم كتاب مقدس، إلا عندما يكون خائفاً ويريد أن يبلغ مأمناً، والغريب أنه يشعر بأمان فوري ما أن يسمعه أو يقرأه، أنا شخصياً من هؤلاء الأشخاص، على أية حال! ترك "وليد" الراديو مفتوحاً على إذاعة القرآن الكريم، لكنه أخفض الصوت وكأنه لا يريد أن ينصت إليه، بل يريد أن يكون تيممة حمايته وتحصينه، لا بأس! لكن صوت الموسيقى لا يزال موجوداً بل وعلا وارتفع، فوقف "وليد" في منتصف المحل متحيراً لا خائفاً، وإذ يتفقد بعينه المحل بعناية في حركة دائرية محيطية، يهياً له أنه رأى ضوءاً متسرباً من أركان الستار الضخم التي تستر المخزن وراءها، فدقق النظر، فوجد بالفعل ضوءاً متسرباً من أركان الستار، فاستغرب ويقاوم بشدة الخوف من أن يتسلل إلى نفسه مجدداً، وحاول منطقة الأمر، أي وضع تفسير منطقي مقبول له، ربما داس على مفتاح النور خطأ وهو يبحث عن مصدر الصوت، صوت الموسيقى أعني، لكن كيف؟ فمفتاح النور وراء الستار بداخل المخزن، وقف "وليد" للحظات يحاول استيعاب الموقف، ومجدداً يحاول منطقته، وقف كالصنم، لا يحرك ساكناً ولا ينطق ساكناً، وكأنه يخشى أنه تسمعه الأشباح

فينقضوا عليه من وراء الستار، هكذا صور له عقله، ولا إثم ولا حرج عليه إذ فكر في تلك الفكرة الصيبانية، فكلنا هذا الرجل عندما نخاف، أو ألعن وأضعف منه، حتى أتت تلك اللحظة مجدداً، نفس اللحظة التي أتته عندما كان على الشاطئ أول مرة وهياً له أن رأى شيئاً في البحر، تلك اللحظة التي يكون فيها اليأس هو منتهى الخوف، أو بمعنى آخر عندما يتعاضم الخوف في نفس أينما فيستحيل يأساً، تلكم اللحظة التي يبلغ الخوف مبلغاً من البشاعة والقبح، إن لم نقاومه سيدمر ما تبقى من حياتنا، وفي تلك اللحظة تنعكس الدفة فتولد طاقة جبارة من الشجاعة والإقدام، وتتولد طاقة جبارة بداخل أي منا كفيلة بأن تفتك بأي كان مخوفها، وتمزقه إرباً أياً كان كيانه، شبحاً عفريتاً أو حتى سباعاً في الغابة، ذلك الجبل الذي تشعر أنه يستبد بك ويتسلط عليك، فتقرر ألا سبيل لقهره إلا اعتلاؤه، وفي تلك اللحظة قرر "وليد" اعتلاء خوفه، أو بمعنى أدق قرر نفسه وفرضت عليه قهر خوفه وتمزيقه أشلاءً وأشتاتاً، لا شاغل لها بأي لحظة تالية، لكن تلك اللحظة قررت نفسه ذلك، وبلا تفكير ولا إطالة انتظار، ذهب في خطوتين رشيقتين واقتحم الستار وهو يقول سؤالاً هستيرياً لا محل له من الإعراب

- مين؟!!

لكنه ما أن فتح الستار وقف مشدوهاً، مذهولاً، مصدوماً، لا خائفاً ولا وجلاً ولا مُروعاً، بل شخصت عيناه على شيء ما، وقرأ ما فيه بصوت عال

- Happy New Year... 1923!

إنه يقف في قاعة... أجل قاعة! قاعة واسعة شاسعة شديدة الرقي والثراء والروعة، تبدو كقاعة احتفالات، لكنه لم ير قاعة احتفالات مثلها في حياته، ففي البضعة أفراح التي حضرها في حياته، كانت القاعات حتى على تألقها وأناقتها، متواضعة إلى حد ما، لكن هذه القاعة كانت شيئاً مختلفاً كلياً، كانت وكأنها لا تحمل أي ملمح مصري، وكأن في بلد أجنبي، بنجفها وستائرهما وأعمدتها الذهبية وبساطها الأحمر الفاقع، والعجيب أن كل ما كانوا فيها يرتدون أقنعة، أقنعة نصفية كتلك التي كانوا يضعونها في الأفلام الأجنبية القديمة والمصرية في الحفلات التنكرية، ليغطوا بها نصف وجوههم، أو أعينهم وأنوفهم فحسب، وكانت معظم الأقنعة التي يضعها رواد الحفل ومدعوه سوداء، سوداء مخملية، بعضها مرصع، وبعض مذهب الأطراف، وبعضها مزخرف العيون، لكنها كانت سوداء في معظمها، والأعجب أنه على صخب الموسيقى ووقعها الراقص لم يكن أحد يرقص، كانوا واقفين كلهم ساكنين صامتين كالأصنام، مع أنهم كانوا في مواجهة أحدهم الآخر أزواجاً، في وضع الرقص، أو في وضع الحديث والكلام حتى، لكنهم لم يكونوا يرقصون، ولا حتى يتحدثون، بل كانوا جامدين، صامتين، مرييين، ولم يكن أحد يتحدث سوى رجل سمين جالس على مقعد وثير مذهب أيضاً، وبالطبع يستر وجهه بقناع، وامرأة صاحبة القوام مفرطة الأنوثة، وتغطي وجهها أيضاً، بقناع له منقار، أشبه بمنقار الغراب، ويعلوه ريش أسود، جعلها تزداد سحراً وجاذبية وإغواءً شيطانياً، ونظر

"وليد" خلفه ليبحث عن الستار الأخضر الثقيل الذي يحّد المخزن، ليجد بوابة نحاسية عملاقة تحّد باب القاعة، وبدا من الزينة المبهرجة والنّشار واللامع على الأرضيات والبالونات الملونة أنّه حفل رأس السنة الجديدة، وبالطبع بتلك اللافتة الضخمة المعلقة بعرض القاعة، والتي قرأها "وليد" أول ما تبدى له ذلك المشهد الخيالي الغريب، والذي ما كان ليحلمه في أشد أحلامه غرابة وجوحاً، ولم يجد "وليد" بداً من السير بين الناس، لإشباع فضوله من المشهد أولاً، ولمحاولة فهم الرسالة، إن كانت تلك رسالة أخرى كالرسائل الغريبة المتتالية المتوالية التي تطرأ عليه مؤخراً، وبدأ يسير بين الجموع الجامدة كجثث هامدة، بدون أن يتلفت أي منهم إليه حتى، وكأنهم لا يرونه، أو لا يهتمون لوجوده بينهم، حتى وصل إلى مجلس الرجل السمين الجالس على الكرسي الوثير، والذي يكلم الحسنة ذات قناع الغراب بالقرب من المشرب أو "البار" كما يسميه صانعوه، ووقف "وليد" ينظر إليهما يتناوشان من مكان بعيد، هي تتدلل عليه، وهو سعيد يضحك متغبطاً ويهز كرشه السمين في ضحكته، تكلمه وهي واقفة، وبين الحين والآخر تمل عليه لتهمس في أذنه، فيتجلى صدرها المرمرى في أضواء الحفل الساطعة، وهو لا يسمع أي شيء مما تقول، بل يملئ عين شهوته من حسن صدرها الذي يكاد يلتصق بوجهه كلما مالت هي عليه، وبما أن لا أحد يراه، أو هكذا يبدو، ارتأى "وليد" الاقتراب أكثر وأكثر لمحاولة الاستماع إلى حديثهما، ولم يجد مكاناً مناسباً أكثر من البار الملاصق لها تقريباً، ويجلس على الكرسي الطويل "الاستول" المواجه للبار، فيقترب منه الساقى

أو "البارمان" كما يسمونه، ويتسم له ابتسامة متكلفة من تحت القناع، فيوجل "وليد" إذ ظن بادیء الأمر أنه خفي غير مرأي، لكنه يتأكد أنه ظنه كان مخطئاً تماماً، عندما يسأله البارمان... بالفرنسية!

- مساء الخير سيد "مختار"، عام جديد سعيد، هل أحضر لك شرابك المعتاد؟
فيصمت "وليد" للحظات مشلولاً بالذهول، لكنه يجد لسانه ينطق رغماً...
بالفرنسية أيضاً

- مساء الخير "جان بيير"، وسعيد عليك أيضاً، أشعر أنني محظوظ اليوم، أحضر-لي كأساً مزدوجاً من "البوربون" إذا تفضلت

ولا يزال "وليد" غارقاً في ذهوله، إذ يجيب البارمان متحمساً

- خيار رائع كالعادة سيد "مختار"، سأحضره في الحال

فيهز "وليد" رأسه ممتناً... لكن مهلاً! من هذا الذي يهز رأسه؟! ليس أنا حتماً، ومن هذا الذي يحدث الفرنسية بطلاقة؟! يستحيل أن أكون أنا، ولو دخل الجمل في سم الخياط، فأنا لا أطيعه وبالكاد أنجح فيها كل عام، وأعلم يقيناً أن اللغة الفرنسية هي التي ستلحق ضرراً هائلاً بمجموعي في الثانوية العامة، وكيف يعرفني هذا النادل... معذرة! البارمان؟ ومن السيد "مختار" هذا؟ وكيف له أن يكون شراب معتاد في ذلك البار الفاره؟! إنه هو معتاد التردد على هذا المكان، بدلالة أن البارمان يعرف اسمه ويعرف شرابه، وبلى وكأنها تربطها صداقة قديمة، مهلاً! ما هذا؟! آخر

ما أتذكره عندما نزلت من بيتنا متوجهاً لنادي الفيديو لاستئجار فيلم خيالي، وباله من فيلم خيالي! أنني كنت أردي سترة صوفية زرقاء وياقتها رمادية، اشترتها لي أمي من "عمر أفندي" الشتاء الماضي في موسم التخفيضات، إذن ما تلك البذلة السوداء "التاكسيكو"؟! ومن أين أتت؟ ومن ألبسني إياها؟! ومن هذا الذي يحملق في وجهي في المرأة؟! أبتمس فيتمس، أعبس فيعبس، أذهل فيذهل، مهلاً! إنه أنا، لكنه ليس أنا! من هذا الرجل الوسيم ذو الشعر حالك السواد والشارب الأنيق الأكثر حلقة من شعره؟ وما تلك المادة الدهنية التي أغرق بها شعرها فجعله أكثر لمعاناً من حذائه؟! وبينما يذهل "وليد" ويكاد يفقد عقله، يأتي البارمان - "جان بير" كما سمعه يناديه - بكوب زجاجي مكتنز مُلاً نصفه بشراب يشبه الشاي لكنه أخف قليلاً، وأضاف إليه قطعتين كبيرتين من الثلج، ووضع منديلاً صغيراً على البار، ثم وضع كوب الشراب فوقه بحرص، لابد وأنه كأس البوربون المزدوج الذي طلبه السيد "مختار"، والتقطه السيد "مختار" بعد أن أومأ لـ "جان بير" برأسه شاكراً، وإذا يرفع الكوب إلى فمه، يقاوم "وليد" بشدة، لكن ما حيلته! واضح أنه لم يؤت به إلى هذا المكان العجيب إلا مشاهداً، ويتجرع "وليد"... معذرة! أعني السيد "مختار" جرعة كبيرة من الكأس، لكن "وليد" لا يشعر بأي شيء، أي شيء على الإطلاق! لا بمرارة في اللسان ولا بغصة في الحلق، ولا بحرقة في المعدة، وكل تلك الأعراض التي يقولون إنها في مذاق الخمر، إذن فما أتى هنا إلا مشاهداً فعلاً، وواضح أن السيد "مختار" هذا هو شرفته على هذا المشهد، وعبره

ستنتقل إليه الرسالة التي يفترض بـ "وليد" معرفتها وفهمها جيداً، ويبدأ "وليد" ...
معذرة مجدداً! يبدأ السيد "مختار" في الإنصات لحديث الرجل السمين ذو الشارب
الأشقر الغزير، مع الفاتنة الصارخة التي لا شاغل لها كما يبدو إلا أن تتدلل عليه
وتسحره بمفاتنها، وواضح أنها تحقق نجاحاً مدوياً في مهمتها حتى ذاك، وخاصة إذ
يخلع القناع وتتضح ملامحه الأوروبية، بحمرة وجهه المفرطة، وشقرة كل ما فيه،
شعره وحاجباه وشاربه كما ذكرت، وعينه الضيقتين الزرقاوين، ويكاد وجهه
يتفجر بالدماء من فرط الحمرة إذ تتدلل عليه اللعوب أخرى وتقول مغوية
بالفرنسية مجدداً

- لقد مللت إطراءك على فستاني سيد "فيليب"، كن مبدعاً ولتجد لي إطراءً جديداً
مبتكراً

ولا عجب أن "وليد" يفهم ما يقال بالفرنسية، عبر نافذته الرائعة السيد "مختار"،
والذي يجيد فنون التنصت واستراق السمع كما يبدو، ويمارسها باحترافية شديدة،
لا بد وأنه محقق خاص من نوع ما، فهو تنطبق عليه كل مواصفات المحقق الخاص
التي لطالما شاهدها "وليد" في الأفلام وقرأ عنها في روايات "أجاثا كريستي" التي
يعشقها، يرد الرجل الأوروبي - السيد "فيليب" - وكل ما فيه شهواني، صوته
ونظراته وملاحظه

- أخاف أن تغضبي إن جاملتك بما يعترك في صدري ويسيطر على عقلي ونفسي،
حتى صار كالنار المستعرة تلتهم جسدي، وأنا واقف عاجز لا قبل لي لا بمقاومته
ولا بإطفاء النار

فتضحك بقوة ضحكة ظافرة إذ نجح تلاعبها بمفاتها وإتقان أنوثتها في تغييب
عقله وإطلاق سراح شهوته، ثم تقول بلهجة تغوي قلوب الأتقياء
- جربني! ستفاجئك ردة فعلي

فيقول السيد "فيليب" بلا تفكير بصوت متهدج بالاهتياج والاستثارة
- كم أود الآن أن أصطحبك لجناحي لأدفن رأسي في صدرك الأبيض الغض،
وأعقه حتى يذوب في فمي كما سوربيه الليمون بالقشدة الذي أعشقه
فتضحك مجدداً ضحكة منتشية بالانتصار إذ تأكدت أن صار عبداً خاضعاً مسلوب
الإرادة لمفاتها وغوايتها، ثم تقول واثقة مهيمنة بلهجة آمرة
- لك هذا وأكثر يا سيد "فيليب"، إن نفذت ما طلبته منك مراراً

وفجأة ترسم على وجهه ملامح القلق والانزعاج، وكأن ما طلبته منه مراراً هذا أمر
بالغ الصعوبة على نفسه، ثم يقول مستغرباً بلهجة متوسلة

- لكنه زوجك ووالد ابنتك يا "سوار"! ألا تكفيك علاقتنا الغرامية للانتقام منه؟!
ألا يكفيك أن صار مضحكة ومهزأة الهيئة كلها بعد أن حرصت أنت على أن يعلم
الجميع بهذه العلاقة؟! ومع ذلك فهو متمسك بك ويرفض رفضاً تاماً أن يطلقك
فتقول هي في الحال بلهجة انتقامية

- يجب أن أذيقه من الكأس الذي جرعتني منه مرارة والمألم تذقه امرأة من قبلي،
سأعمله كيف يخون زوجته التي كانت رمزاً للإخلاص والوفاء مع عاهرة
"بورفؤاد" تلك

فيقول "فيليب" مدافعاً على عكس ما قد ينتظر من عشيق

- لكنه لم يخنك مع "زينب" أرملة المرحوم "فؤاد"، بل أحبها فحسب، وأنت الذي
دفعته إلى ذلك

فتقول هي هجومية متحفزة

- كيف دفعته إلى ذلك؟ بأنني امرأة جميلة!

فيقول "فيليب" لا يزال مدافعاً

- امرأة جميلة كان كل مديري وموظفي وحتى ساعي هيئة قناة السويس يشتهونها،
ولا يزالون!

فتقول متكبرة مغرورة بنفسها

- لا ذنب لي أن الله وهبني هذا الوجه الجميل والقوام المثالي، ولا يمكنني أن أخفي شيئاً جميلاً وهبني الله إياه، كان عليه التأقلم مع ذلك

- كيف كان لهذا المسكين "سراج" أن يتأقلم مع امرأة فاتنة كلما أتت لتزوره في مكان عمله، توقفت حركة العمل وانقلب المكان رأساً على عقب؟! كيف كان له أن يتجاهل نظرات الموظفين الشهوانية لتفصيلات قوامك المهلكة من تحت أثوابك الحريرية؟! كيف كان له أن يتجاهل أن كل كلمة مجاورة أو لياقة تخرج من أفواههم لك كانت تحمل ألف معنى، والشهوة تسمعائة منها؟! كيف كان له أن يتجاهل تعاليك عليه بعد أن وثقت أن مفاتنك وسحرك كفيلة بأن تصرع أقوى الرجال؟! لا عجب أنه بحث عن امرأة طيبة بسيطة معتدلة الجمال والمفاتن

فتعود لتلاعبها عليها وتميل عليه مجدداً وتعود لكلامها المغوي

- إن كانت هي طيبة، فلا بد وأنني شريرة بالضرورة... هل أنا شريرة مسيو "فيليب"؟

فيتطلع ريقه ويحمر وجهه شهوانياً مجدداً، وكأنه زر كلما ضغطت عليه أتى بردة الفعل المراهقة المهتاجة تلك، ثم يقول وقد سلب منطقته وعقله وكل حصونه

- أجل، أنت شريرة... لكن إن كان الخضوع لشرك وإغوائك سيؤدي بي إلى أغوار الجحيم، فشرك هو الخير المطلق عزيزي "سوار"!

فتبتسم ابتسامة جامدة مهيمنة، ثم تعود لقول بلهجة آمرة متسلطة

- إذن افعل ما طلبته منك مراراً، وإلا لن تراني مجدداً أبداً

فيعود لتردده وتخبطه وقلقه، ثم يقول مستعظفاً إياها

- يمكنني أن أنقل زوجك السيد "سراج" إلى أحد أفرع الهيئة في "الإسماعيلية" أو "السويس"، أيهما تشائين، لكن أن أطرده المسكينة "زينب" وأبناءها الثلاثة من الاستراحة التي تقيم فيها في "بورفؤاد"، والتي خصصتها لها الهيئة بعد وفاة زوجها المرحوم "فؤاد" بإيجار رمزي مدى الحياة، فستكون هذه عين الظلم، ولا يمكنني أن أقبل بهذا أبداً

فتميل هي عليه أكثر متعمدة أن تستعرض التحفة البديعة التي قاعدتها صدرها الشاهق بياضه، وقمتها عنقها الطويل المنحوت الساحر، وتقول مراودة إياه واثقة

- إذن لن تذوق سوربيه الليمون بالقشدة أبداً ما حييت، ولا حتى كعكة اليقطين بالزبيب التي تدس وجهك فيها كلما أعددتها لك!

فيتقلب في كرسيه وكأنه أصيب بصاعقة كهربية ويقول ولا ينقصه إلا أن يسلم لعبابه

- كعكة اليقطين! إلا كعكة اليقطين، فهي أروع ما تذوقته في حياتي قط، لك ما تريد، سأنبش قبر أُمي حتى وألقي جثتها في قاع القناة إن وعدتني أنك ستعدين لي كعكة اليقطين... الليلة!

فتضحك هي بشدة منتصرة وقد أحكمت قبضتها على ما تبقى من عقله وإدراكه،
ثم تقول

- سأعدك إن وعدتني ... عدني!

فيقول هو في الحال وبلا تفكير ملهوفاً مستثاراً

- أعدك... أعدك!

ولا تنطق بكلمة واحدة، بل تسحبه من البويون المفكوك على صدره كما راعية
الأغنام تسحب ماشيتها، ويقوم هو مطيعاً خاضعاً منصاعاً وراءها بلا كلمة
واحدة، ويتبعها "وليد" والسيد "مختار" بنظرهما حتى يخرجاً من باب القاعة
الضخم، فينظر السيد "مختار" في ساعته، ليجدها قد تجاوزت الواحدة صباحاً،
ويخرج مذكرة صغيرة من جيبه ويدون فيها الساعة، ثم يبدأ في تدوين بعض
الملاحظات، ويهم "وليد" بقرائتها حتى يشعر بكف قوي ضخم يضربه أو ربما
يربته على كفته، ويقول صاحبه بصوته الجهوري بلهجة لطيفة مازحة

- هو الذنب ذنبي إن عرفتك المخبأ السري بتاعي وعلمتك دهاليز المخزن!

ويلتفت "وليد" ليجده السيد "طارق" صاحب نادي الفيديو، فيصمت ملتئهاً
مذهولاً كما المستيقظ فجأة من حلم طويل عميق، ليسأله السيد "طارق" مجدداً
بنفس اللهجة الأبوية الودودة

- مش معقولة يا "وليد" مالمقيتش ولا فيلم عجبك في المجموعة الجديدة! طيب لقيت حاجة عجبك هنا في المخزن يا حبي؟

ولا يزال "وليد" مشتتاً مشوشاً لا يميز في أي عالم هو، عالم اليقظة أم عالم الأحلام، وينظر للرجل وما هو بمبصره، والسيد "طارق" ينظر إليه ينتظر الإجابة متحمساً، ويجاهد "وليد" لمحاولة استعادة وعيه وتمييزه المسلوبين رغماً عنه، لذا وبعد لحظات يقول بصعوبة متلعثماً

- هو... حضرتك... هو انت جيت إمتى يا عمو "طارق"؟!

فيضحك السيد "طارق" بقوة، ضحكاً يهتز له قوامه الضخم الممتلئ، ثم يقول مازحاً

- لا! ده انت مش معايا خالص يا "ويلا"، قاعد أتفرج عليك بقالي بييجي ٥ دقائق وانت مبخلق عينك في كفر الفيلم عمال تقرأ الي مكتوب عليه، قلت "وليد" شكله مش هاخلص في سنته

ثم يتبع كلامه بضحك قلبي لطيف، فيسأله "وليد" لا يزال مشتتاً بالمشهد الذي شاهده، أو ربما شاهده، لم يكن متأكداً في تلك اللحظة المرتبكة

- هو انت يا عمو "طارق" لما وصلت لقيتني واقف باعمل إيه؟ معلش أصل أنا كنت مركز أوي في قصة الفيلم الي باقرأها على الكفر، وانت عارفني باقي في دنيا غير الدنيا لما باقعد أتفرج على كفرات الأفلام

فيجييه السيد "طارق" لا يزال على مزاحه

- ما أنا باقولك أهوه، لقيتك مبخلق في كفر الفيلم، ومركز أوي فيه، لدرجة إنك كنت واقف ثابت زي التمثال، حتى عينك ماكانتش بترمش، قلت ماقطعش عليك لحظة انسجامك وتركيزك الرهيب ده، إذا كنت الي معلمك العادة المنيلة دي من وانت عيل، إزاي أقاطعك فيها! ده انت كل كفرات أفلام المحل اشتكت منك من كتر ما قلبت فيها وقرأت الي عليها يا "وليد"

فيتسم "وليد" على مضض مرتبكاً، ويصمت وترتسم على وجهه ملامح إشفاق وقلق، يحاول جاهداً إخفاءها بادعاء تفقد الأفلام الموجودة بالمخزن بنظرة عابرة، حتى يمد السيد "طارق" يده، ويسحب فيلماً من أعلى رف بالمخزن، وينفخ التراب المتراكم عليه، ثم يخرج منه من علته بعناية ويقول لـ "وليد" متحمساً

- فيلم "غابة الظلام" الي كنت واعدك بيه يا "ويلا"، والله العظيم بيجي ٥ سألوني عليه من الصبح وأنا مش عاوز أخرجه، تقولش قلبي حاسس إنك جايلي، ولو انت ماكنتش جيت، كنت روح بيه شفته للمرة الألف، فيلم رهيب يا "وليد"

فيسأله "وليد" حذراً متوتراً

- هو فيلم رعب؟

فيصمت السيد "طارق" قليلاً ويبدو أنه يفكر ويحاول تصنيف الفيلم، ثم يقول

- هو ماتقدرش عليه مش رعب، هو المفروض إنه خيالي، بس أنا شايف إنه رعب أكثر ما هو خيالي، بس مش المهم هو رعب ولا خيالي، المهم قصته يا "وليد"، رهية وعمرك ما تتخيل كم المفاجآت الي فيها

فيهز "وليد" رأسه بحسرة ويقول شاردأ

- أما أنا عارف!

فيضحك السيد "طارق" ويسأله ساخرأ

- عارف منين يا فالح؟! طول عمرك انت عاملي أبو العريف الي عارف قصص كل الأفلام الموجودة في السوق، ده أنا بعون الله يا "ويلا" كنت أول واحد يفتح محل فيديو في الهرم كله سنة ٧٨، أيام الشرايط البيتاماكس، والله سبت عقد تدريب مصارعة في "الكويت" بالدينار من كتر حبي في أفلام الفيديو وفي المحل ده ، ما انت عارف إني كنت بطل الجامعة في المصارعة من ٧١ لحد ٧٤، كانت واد عضلات وحليوة وبطل رياضي زيك كدة يا "ويلا"، لولاش الجواز والعيال بقى ربنا يهدهم!

ويضحك "وليد" مجامله وعلى فمه ترسم ابتسامة قلقة حزينة، حتى يقول السيد "طارق" لطيفأ

- خده يا عم هدية مني على حساب عمك "طارق"، تكريماً مني لبطل العرب وإفريقيا في الكاراتيه الكابتن "وليد الشجيع"

ويبتسم "وليد" ويقول خجلاً

- كدة كثير يا عمو "طارق"، ده انت تقريباً مابقيتش بتاخذ فلوس مني أنا ولا "مي" خالص، وبقيت بتدينا كل الأفلام ببلاش

فيقول الرجل كريماً عطوفاً

- يا عبيط ده انتوا عيالي، وأبوكم وأمكم أهلي، ٢ جنيه إيه اللي انت بترغي فيهم،
يللا الحق روح عشان مدام "بهية" ماتقلقش عليك، وسلملي عليها وعلى الدكتور
"محمد" أوي يا "وليد"

فيقول "وليد" دمثاً

- يوصل يا عمو "طارق"، ومتشكر أوي وتسلم إيديك على الفيلم الجميل ده

- آمال لما تشوفه هاتعمل إيه! ده انت هاتدعيلي دعا يا "ويلا"

ويرتب على ظهره مداعبه كفتى في سنه، ويخرج "وليد" من باب المحل فتسقط في
الحال الابتسامة المصطنعة التي كان يرسمها على وجهه، لتحل محلها في الحال نظرة
وجوم وشروء وقلق عارم، إذ صار يعلم يقيناً أن ما يشهده وما يتعرض إليه ليس
صدفة... ليس صدفة بالمرة.

جلس "وليد" يشاهد الفيلم، أو يفترض هذا، وكذلك السيدة "بهية"، كلاهما كان تقريباً ينظر لشاشة التلفزيون لا يعرف ما فيها، هي تحترق قلقاً على ابنها الذي تظن به الظنون، وأنه أصيب بالهوس أو الهلوس أو ربما الجنون، وهو يستमित ليخفي ما تحترق به نفسه عنها، وبين الحين والآخر ينظر كلاهما إلى الآخر ليراقب نظرات أحدهما الآخر، ثم يتسم كلاهما ابتسامة فاترة، ثم يعاودان النظر للشاشة بجمود وشروء مجدداً، وخطرت فكرة على قلب وخاطر "وليد" ربما بعثها الله رحمة من السماء، أن كل ما يراه "وليد" على قدر رعبه ورهبه، لكن ما هو إلا رسائل، رسائل استغاثة ربها، أو رسائل من جعبة الغيب تبصره ما سيشهده في مستقبل قريب، أياً كانت هذه الرسائل، فقد أراحه هذا الخاطر وتلك الفكرة وطمأنته نسبياً، بما جعله يقوم من مجلسه على الأرض حيثما اعتاد مشاهدة الأفلام، بجوار أخته الشقية "مي"، والتي كالعادة تشاهد الفيلم بكل ما فيها، مشدودة إليه بكل حواسها، قام "وليد" من على الأرض وجلس بجوار أمه على الأريكة، ثم رفع يدها وقبلها بهدوء، فربتت هي بحنو جميل على وجهه أسيرة عشق الأمومة، ثم هب "وليد" فجأة من جلسته وقال متحمساً

- أنا ها عمل فشار، أعملكم معايا؟

ف قالت "مي" فرحة متحمسة

- الله! إعملنا في الحلة الكبيرة يا "وليد"، وكتر الزبدة، وأنا هاقوفلك الفيلم عقبال ما تيجي

- لأ مافيش داعي، ابقى احكي لي الجزء اللي فاتني، أنا مش هاغيب

وهرع "وليد" إلى المطبخ متحمساً بالفعل غير مفتعل ولا متصنع، وأخرج القدر - الحلة - الكبير الذي يعد فيه الفشار عادة، ووضع القدر على الموقد - البوتوجاز - ثم وضع فيه زخه من الزيت، ثم وضع الفشار والملح وأغلق القدر، ثم أشعل الموقد، وبلا رغبة ولا قصد منه شرد مجدداً، وسرح في كل المواقف العجيبة الغريبة المخيف معظمها التي تعرض لها مؤخراً، وفجأة! سمع صوتاً، لم يميز لأول وهلة من أين أتى أو ما مصدره، وبعد لحظة أو بضع سمع صوتاً آخر مشابهاً، ثم صوتاً، ثم صوتاً، وسريعاً ما تزاхمت وتسارعت تلك الأصوات حتى صار لا يميزها من بعضها، إنها أصوات أشبه بالطقطقة أو ربما الفرقعة، ترى من أين تأتي تلك الأصوات؟! وهل هي رسالة أخرى من سلسلة الرسائل الغيبية التي يلي بها، وقبل أن يهلع أو يفزع، وقف لثوان يأخذ أنفاساً طويلة عميق لتهدئة نفسه كما دربه المدرب الكوري في المعسكر الأخير، ثم قرر التوجه لغرفته لتبين مصدر تلك الأصوات التي لا تنفك تتعالى وتتسارع، وفي اللحظة الأخيرة قبل أن يخطو أول خطوة تجاه غرفته، تذكر أن حلة الفشار لا تزال على النار، فأغلق النار من تحتها، فهدأ الصوت وتبطأت وتيرته، فكشف الغطاء، فسمع الصوت بوضوح، إنه

صوت فرقة الفشار أثناء نضجه أيها الأخرق! هكذا ظننت به، أو ربما هذا ما ظنه بنفسه، فانفجر ضحكاً على نفسه ساخراً من نفسه، ثم اعترف ملعقة زبد كريمة ووضعتها فوق الفشار، وأغلق الحلة وأخذ يقلبه بحرفية شديدة، فلطالما شهد له أهل البيت ببراعته في إعداد الفشار، ثم نقل الفشار بحرفية مجدداً للصحن البلاستيكي العميق المخصص له، والذي اشتراه له خصيصاً من "فرنسا" في رحلة من رحلات بطولاته، ثم خرج من المطبخ وعلى وجهه بقايا الضحك وابتسامة قلبية جميلة، أسعدت أمه أيما سعادة عندما رأتها، وجلس على الأرض وأخذ يعد القراطيس من أوراق جريدة اليوم التي تركها والده على منضدة الصالة الجانبية بعدما فرغ من قرائتها، ثم أخذ يغترف الفشار بيده بحرفية من القدر إلى القراطيس، وأعطى أمه قرطاساً فقالت له حسيصة فطنة

- بس سمعتهم يقولوا في برنامج "مثلة المرأة" يا "وليد" إن ورق الجرايد لما بيتعمل قراطيس، الخبر بتاعه بيلزق في الأكل!

فقال له مازحاً

- هو فيه أكل يحلى يا "بطة" من غير حبر ورق الجرايد!

فانفجرت أمه ضاحكة فرحة بمجرد مزاحه لا بمزحته، فقالت "مي" مداعبتها متصنعة الغيرة

- يا سلام! كل الضحك ده عشان النكتة دي! ربنا يجعلنا من محاسبيه يا سيدي!
طبعاً ما سي "وليد" حبيب القلب ونور العين لو قال "أراك عصي الدمع" هاتبقى
على قلبك زي العسل يا "بطة"!

فيقول "وليد" لأمه مازحاً

- البت الحقودة دي بتغير مننا يا "بطة"!

فتقول السيدة "بهية" أمّاً حانية رائعة

- والله العظيم بتاخذ دلع أدك ١٠٠ مرة يا "وليد"، ومافيش حاجة بتطلبها
وما بتجيلهاش، بس تقول إيه على البطر!

فتقول "مي" ساخرة ساذجة

- باقولك إيه يا "وليد"، حطيت "بطر" على الفشار زي ما قتلتك؟! خدتوش
بالكم انتي من الإفيه؟ "بطر" يعني زبدة وكدة، إفيه لغات!

فتضحك السيدة "بهية" فرحة ممتنة بمزاح ولديها، ثم ترفع رأسها للسماء وتنطلق في
الدعاء بعينين نديتين وأنف محمر كعادتها دائماً في الدعاء

- يا رب ما أشوفكم غير فرحانين ومتهينين وحبائب وبتضحكوا كدة على طول يا
ولاد بطني، ربنا مايسيئني فيكم أبداً ولا يورينيش فيكم حاجة وحشة ويجعل
ساعتي قبل ساعتكم و...

فتقاطعها "مي" مازحة مشفقة

- جرى إيه يا "بطة"! هو لازم كل مرة تقلبي شوية الضحك اللي بنضحكهم دراما،

بلاش أعراض الأمومة المفرطة اللي بتعاني منها دي يا "بطاطا"!

فيضحك "وليد" ثم يقبل أمه بقوة على خدها ويقول حانياً باراً

- ولا يورينا فيكي حاجة وحشة أو يوم وحش أبداً يا حبيبتني

ثم يوجه كلامه لـ "مي" مازحاً بلهجة أمرة

- وانتي يا بلوة! رجعي الفيلم من الأول عشان القعدة شكلها هاتخلو، وأنا مش

فتقول العابثة "مي" في الحال فرحة شديد الحماسة

- والنبي انت راجل بتفهم يا "ويلا" يا عسل، فعلاً الفيلم ده محتاج استرجاع

وتحليل

فتقول السيدة "بهية" تؤدي دورها كأُم متصنعة الانزعاج

- شوف البت! بس الفيلم فات ييجي نصه يا "وليد" وانتوا عندكم مدارس بكرة

الصبح

فيقول "وليد" متلطفاً مجتهداً لإرضائها

- يا حببيتي مافيش حد في ثانوية عامة يتقاله مدرسة الصبح، إحنا في الترم الثاني أهوه وأنا مارحتش ٢٠ يوم على بعض من أول السنة، أما بالنسبة للبلوة دي اللي اسمها "مي"، هي عمرها ما بتنام قبل الساعة ١ في الدراسة والإجازة، والساعة لسة ماجاتش ١٠، والفيلم كبيره هاخلص ١١ ونص، وبعد كدة إنشالله تقعدني على "مي" عشان تنام بدري، وأنا هاجي أقعد معاكي!

فتقول "مي" متدلفة متوسلة

- آه والله يا ماما، أول ما يخلص الفيلم أوعدك إني هاخش السرير فوراً، وأنا مخلصه مذاكرة من بدري عشان أسهر عالفيلم ده مخصوص، ده أنا مستنية أشوفه بيعجي من شهرين

فتقول السيدة "بهية" متصنعة انعدام الحيلة، ومن يبحث في نفسها يجدها متحمسة ربما أكثر منهما

- أمرنا لله! رجعي يا بتتي الفيلم خلينا نخلص!

وفي الحال تضغط "مي" على زر الترجيع فرحة كطفل صغير، وتبدأ عرض الفيلم، ويبدأ الجميع في مشاهدته بتركيز وانسجام، ويركز "وليد" في الفيلم كعادته مع كل أفلام الخيال والرعب، ليرى فيما يرى أمامه رجلاً سميناً عارياً نائماً على بطنه، بينما البطلة امرأة صارخة الأنوثة ترتدي لباساً أسود حريراً قصيراً كاشفاً، بشعرها الذهبي القصير، وملاحمها المنمقة الدقيقة شديدة الروعة والجمال، أشبه بنجمة

السبينا الأمريكية في العشرينيات آنذاك "ماي موراي"، لكنها تفوقها حسناً وجاذبية وإثارة مئات المرات، بصدر متألق مثالي الاستدارة، وخصر نحيل لكنه لا يخلو من بعض شحم يزيد حسناً ورونقاً، وساقين ممتلئتين مخروطتين تقلب القلوب التي في الصدور، جلست تلك الحسنة ترتدي نظارة شمسية فيما بدا أنه شرفة واسعة، وكأنها شرفة شاليه أو ربما فيلا، والبحر يزين الإطلالة أمام هذه الشرفة، تستلقي الحسنة على شيزلونج أبيض وتداعب طرف ثوبها الحريري الأسود، والذي بالكاد يستر حتى أعلى فخذها الساحرتين، وقد بدا الرجل السمين وهو يتمدد على فراش طويل أشبه بذلك الخاص بالمدلكين، وقد دل على أنه ينتظر تدليكاً بالفعل أنه ما ستر جسمه إلا بمنشفة بيضاء غطته عورته، وكشف جسده المتفجر بالحمرة غزير الشعر، وجلست الحسنة تقلب في مجلة "الكواكب" وتداعب ثوبها تارة وشعرها تارة، وبين الحين والآخر تنفخ في ملل، حتى ناداها الرجل السمين المستور وجهه بمنشفة أخرى يغطيها، وقال بلهجة كسولة

- "سوار"! أنا مستلق هنا منذ أكثر من ساعة أنتظر جلسة التدليك التي وعدتني به، وأنت تتجاهلينني تماماً عزيزتي، وقد بدأت معدتي تؤلمني من هذه الوضعية في النوم، أو ربما هي تؤلمني من فرط الجوع، أياً كان! عجلي بذلك التدليك أو نذهب للغداء

فنظر "وليد" مذهولاً وقال لا يكاد يصدق نفسه

- "سوار"!

فردت عليه المدعوة "سوار" ملولة نافذة الصبر

- أنت لا تفكر إلا في متعتك "فيليب"، إما الفراش وإما الطعام، والآن إما التدليك

وما أن سمع "وليد" اسم "فيليب" حتى سقط قلبه في قاع نفسه، وقال مشدوهاً

- و"فيليب" كمان... تاني!

فضحك "فيليب" بجثته الضخمة السمينة، ضحكاً قوياً اهتز له شحمه بقوة، ثم قال متفاخراً

- معك يا عزيزتي "سوار" مرحباً بالجحيم إن كان مفروشاً كله بملذات أنت جزء منها

فخلعت النظارة وكشفت عن عينيها السوداءوين الداكتين الماكرتين، وقالت آمرة متسلطة

- لكنك لم تفعل ما طلبته منك مراراً وما وعدتني به

فأدار الرجل رأسه في الحال ناظراً إليها ومدافعاً عن نفسه

- كيف عزيزتي! لقد نقلت "سراج" زوجك بالفعل إلى فرع الهيئة في "الإسماعيلية"، ونقلت "زينب" أرملة المرحوم "فؤاد" وأبناءها الثلاثة إلى استراحات الهيئة بـ "السويس"، بحجة إننا سنستقبل عدداً كبيراً من الخبراء

الأجانب الشهر المقبل ولا نجد لهم استراحات كافية، وقبلت هي في الحال
مستسمة بلا عناء ولا اعتراض

فترد عليه "سوار" في الحال غاضبة

- وبعدها أخبرتها أن استراحة "السويس" التي ستتقل إليها أكبر وأرحب وأرقى
من استراحة "بورسعيد" التي خصصتها الهيئة لها، وبعدها أخبرتها أن أولادها
سيلتحقون بأرقى المدارس هناك، على حساب الهيئة كالعادة

فيقول "فيليب" مستغرباً

- وكيف عرفت ذلك أيضاً؟ ألا يفوت جواسيسك ومرشدوك خيراً واحداً أو
معلومة بدون أن يخبروك بها؟! كم هو مخلصون أوفياء... ملاعين!

فتضحك هي مستهينة ثم تقول مغرورة

- كلكم تجار تطلبون نفس البضاعة، لكن لا أحد يقدر على ثمنها سواك عزيزي
"فيليب"

فيمضي هو مدافعاً عن نفسه

- كيف إذن لم أوف بوعدي لك؟! لقد أبعدتها عن بعضهما كما طلبت، ألم تكن تلك
رغبتك من البداية، أن أبعدهما عن بعضهما وأفرق بينهما لأنني قصة جبهما، مع إنها
قصة حب أظهر وأنقى وأتقى من قصتنا مئات المرات إن سألتني!

فترد هي غاضبة في الحال

- أنت بهذا لم تفرق بينهما أيها الأحمق! بل قربتهما من بعضهما أكثر وجعلتها أكثر
تمسكاً بأحدهما الآخر وبقصة حبهما السخيفة المراهقة

فيسألها "فيليب" مذهولاً

- كيف؟!

فتجيب هي حانقة حاقدة

- ما أن عرفا أن كلاهما سيرحل قسراً عن "بورسعيد" لسبب أو لآخر، أدركا وفهما
في الحال أنها مؤامرة للتفريق بينهما، وأنني بالطبع طرف فيها، فما كان منهما إلا أن
تزوجا قبل سفرهما بيوم واحد، وقضيا الليلة الأخيرة في "بورسعيد" في أحضان
بعضهما كزوجين سعيدين متحابين

فقال "فيليب" سعيداً مستبشراً

- أحقاً تزوجا؟ هنيئاً لهما، كلاهما طيب صالح ويستحق الآخر

فتصرخ هي وقد استبدت بها الغيرة والغضب

- هنيئاً لهما! واضح أنك تعتمد استفزازي وإثارة غضبي، أم أنك العقل المدبر لكل
هذا!

- أنا العقل المدبر!

قالها "فيليب" مذهولاً ثم انفجر ضاحكاً، وعندما نظر إليها ورآها قد اشتد حنقها لحد جعل وجهها الأبيض الشاهق أصبح أشبه بثمره رمان، ابتلع ضحكه ثم قال بلهجة متعقلة رصينة

- اسمعيني جيداً يا "سوار"، كم أمقت أن أضطر لأكرر شيئاً قلته من قبل، لكن لأجلك أنت فلتذهب كل عاداتي إلى الجحيم، أنت لم تكوني سوى مصدرراً لشقاء هذا الرجل، منذ أن أجبرك والدك السيد "عبد القادر عفت" بارك الله روحه على الزواج منه، هو لم يجبرك بمعنى الإجبار، بل زكاه له لك بقوة بصفته مديره في العمل، وأثنى وأطرى على أخلاقه وأدبه وطموحه ونجاحه، وأنت كنت فتاة يافعة لم تتجاوزي الـ ١٧ كما أخبرتني، ولكن شباب حي "العباسية" كادوا يجعلوا والدك يفقد عقله من فرط ملاحقتهم لك وتقدمهم للزواج منك، أنت ساحرة منذ كنت رضيعة في المهد يا عزيزتي، وعندما رأيت الشاب "سراج" بوجهه الهادئ وملامحه المستكنة وأخلاقه الحميدة، أعجبك بحكم ميل المراهقة لا أكثر، لكنك لم تحبيه يوماً، وما جعلك تنفري منه أكثر بعد زواجكما كان تقليديته المفرطة، وبساطة تطلعاته الشخصية بالرغم من نجاحه في عمله كأصغر مدير حسابات في هيئة قناة السويس منذ أنشأت، وفوق كل ذلك أنه لم يكن يلبي لك كل متطلباتك فتقاطعه "سوار" وتقول بلهجة قيادة لتغيظه

- كيف لم يكن يفني بمتطلباتي؟! بل كان أصبى منى وأفحل منك على قصر- قامته، وكان يجعلني أتلوى في الفراش كالحية التي تنزع جلدها، وأملأ الدنيا صراخاً فيضطر لسد فمي كيلا يسمعنا الجيران

فيضحك "فيليب" ويهز رأسه مستهيناً ثم يقول واثقاً

- هذا عيبك الأخطر عزيزتي "سوار"، أنك لا ترين في عقل الرجل سوى الشهوة، أو وكأنه حيوان بري لا شاغل له إلا التزاوج، حتى التزاوج في الحيوانات يا عزيزتي له مواسم، ربما لأنك لا ترين شيئاً في الحياة سوى المادة والجسد، ولا ترين عندما تنظرين في المرأة إلا ذلك الوجه الساحر وذلك القوام الفتان، ولا ترين أي شيء آخر وراء ذلك

فتقول هي واثقة مغرورة

- وهل لدى المرأة أهم ولا أروع من جمالها وحسنها وجاذبيتها؟

فيقول "فيليب" واثقاً

- أجل يا عزيزتي، هناك قلبها! قلبها وحبها وحنوها ومودتها واهتمامها، وهذا ما لم يجده "سراج" فيك يوماً، ووجدته في قلب الأرملة المسكينة "زينب"، التي تكبرك بعشرة أعوام وتكبره بخمس، ولا يمكن أن تضاهي جمالك ولا حسنك بأي حال، لكنه سكن إليها، وهذا اضطراب عقله وروت ظمأ قلبه وجمعت شتات نفسه،

وأحس معها بأنه مطمئن مرتاح سعيد راض، وأنت على جمالك وفتنتك، لم يشعر بهذا معك يوماً

فتقول هي غيرة وقد اهتز كبرياؤها بما يقوله "فيليب"

- وكيف عرفت كل ذلك؟

فيشعل سيجاره المطفأ ويأخذ نفساً طويلاً منه وقد اتكأ على جنبه، ثم يقول مستهيناً بها هذه المرة

- عرفته لأن "سراج" هو من أخبرني به

فتقول هي وقد اشتد غيظها

- ألم أقل لك من البداية أنه متواطىء معها؟

فيضحك مستخفاً بها ثم يقول حكيماً

- صدق من قال أن الجمال والذكاء كالشياطين والملائكة، يستحيل أن يجتمعا في مكان واحد، فما بالك بجسد واحد!

فتسأله مرتبكة وقد تضعضع غرورها وبدأ ينهزم أمام منطقته الراجح وكلامه السديد

- ماذا تعني بذلك؟ أنني غبية!

فيضحك هو مشفقاً عليها ثم يقول بلهجة تدليل مبتذلة

- كيف أجرؤ أن أصف حببتي وزهرة قلبي بالغباء! لكنك يا عزيزتي تأبين أن تفهمي

- أفهم ماذا؟ أنه فضل علي امرأة في سن أمي وقبح جدتي!

فيضحك بشدة ثم يقول جاداً صادقاً

- بل فضلها عليك لأنه أحبها، ولو أحببت يوماً لعرفت أن المحب لا يرى في حبيبته شيئاً إلا سلواه وراحته وطمأنينته وأمنه، كما أحببت "إزميرالدا" "كواسيمودو" أحذب "نوتردام" على قبحه ودمامته، اعترفي يا عزيزتي "سوار" أنك لم تحبي المسكين "سراج" يوماً، فلو أحببته بصدق وإخلاص لأحبك حتماً، فالحب كالطاعون، معد ومهلك لا محالة

فتصمت هي وقد أخرسها وجاهة كلامه وسداد منطقته، ولأول مرة يظهر ضعف المرأة الرائع في عينيها، ولأول مرة تبدو متجهمة حزينة، ربما ليس على زوجها الذي هجرها لأخرى، بل على نفسها وما آل إليه حالها، وكيف كان جمالها سبب شقائها، وكيف انتهى بها الحال عشيقة أو بالأحرى ساقطة في أحضان رجل لم تعرفه إلا لسلطوته وماله، وإذ تتبدى على وجهها أمارات الندم ومحكمة الذات، يعاجلها "فيليب" وقد عاد لشهوائته بعد فورة الضمير الوجيزة

- دعيهما وشأنها يا عزيزتي، هو يليق بها وهي تليق به، كما نليق نحن ببعضنا، فكلانا شهواني للمال والسلطة والجسد، دعيه وأتمى إجراءات الطلاق منه، وأعدك أنني سأ تزوجك ما أن تنقضي- شروط عدتك، أليست ٣ أشهر عندكم في الديانة الإسلامية؟

فتقول "سوار" مستغربة مستنكرة

- عرفت أن عدة المطلقة المسلمة ٣ أشهر، ولم تعرف أنها لا يحل لها الزواج بذمي من دين آخر!

فيضحك ضحكة خبيثة ثم يقول وقد استفحلت شهوانيته حيوانيته

- أتريديني أن أعتنق الإسلام؟ إن كان هذا السبيل لحياة أبدية معك يا عزيزتي فلا بأس، أعتنق الهندوسية وأعبد الأبقار إن شئت، أعتنق البوذية وأعبد تمثالاً ذهبياً سميناً إن تمنت، إن كان هذا سيجمعنا في فراش واحد لأنهل من رحيق نهديك للأبد، فتمني علي يا عزيزتي!

فتنظر إليه مشمئزة بطبيعة الحال، ثم تقول بلهجة ملؤها التقرز والبغض

- أنا واثقة من هذا يا عزيزي "فيليب"، أنك ما عرفتني ولا توددت إلي طويلاً إلا لتنهل من رحيق نهدي وتغتصب جسدي برضاي كل ليلة تحت جسدك السمين المشعر المقرز، لك ما شئت، جسدي أرضك فاحرثها ما شئت وكيفما شئت ووقتما

شئت، أما ذانك العاشقان الغافلان، ذلك المراهق الأحمق "سراج" وأرملته الطروب "زينب"، فلدي لهما خطط أخرى.

سار "وليد" في طريقه الذي يسير فيه عادة عند العودة للمنزل، وهو طريق طويل ما بين الشارع الرئيسي وشارع الفرعي الذي يتفرع منه، وهو طريق يتألف معظمه من الفيلات القديمة والمنازل ذات الطابقين، حيث كانت الأراضي رخيصة في منتصف الخمسينيات وكانت في متناول الطبقة المتوسطة، وكان سكان هذه المنطقة يفضلون البناء على الإيجار، وكانوا معظمهم من النازحين من الوجهين البحري والقلي، وأجل ما في هذه الشارع كان أشجاره، فالأشجار على جانبيه من أوله لآخره، بما جعله أشبه بلوحة فنية أو ربما كمشهد في فيلم حزين، سار "وليد" في الشارع يفكر كما هو متوقع فيما يراه مؤخراً مراراً من الرسائل والمشاهد، في كل مكان وفي أي وقت، لكنه لم يعد يشعر بأي خوف تجاه من يراه، بل بالعكس، صار "وليد" يستمتع بمشاهدة هذه المشاهد وكأنها لقطات من فيلم مثير أو فيلم رعب آخر، ويتفكر فيها طويلاً ويحاول ربط حلقاتها ليخلص بأي فكرة أو بنتيجة أو إجابة تجيب عليه السؤال المحير الذي لا يجد إجابة له، لم هو بالذات الذي يرى كل هذا، أو بمعنى آخر لم أختير وكلف بحمل هذا القول الثقيل، هو يعرف أنه ليس أتقى الأتقياء وليس نبياً لينزل عليه وحي، ربما هو مصل غير خطاء على أفضل تقدير،

لكنه له زلاته وهفواته وشهواته، ربما لأن الجميع يصفونه بأن طيب القلب نقي النية والضمير، لكن التكليف ثقيل والاختبار صعب، والأصعب توقيته، ما بين المذاكرة والتمرين والبطولات، والأسوأ من كل هذا، قلق أمه المستمر عليه وعلى مستقبله وعلى عقله التي بدأت تظن بل تعتقد أنه يفقده شيئاً فشيئاً، كانت هذه الفكرة الوحيدة التي تكدر صفو "وليد"، أمه وقلقها، لكن ما قاطع هذه الفكرة كان صواناً، أجل صوان من تلك التي يقيمونها في المعازي والأفراح، لكن هذا الصوان لم يكن لمعزى ولا لفرح في الشارع، بل كان يستر فيلا الحاج "حافظ عبد العظيم"، والأسوأ أنه كان يستر أشجار التوت القائمة في حديقته منذ القدم، الأشجار التي كان "وليد" في كل موسم لنضج التوت يذهب لحصاده هو وأصدقائه في الحي، تحت عين ورعاية الحاج "حافظ" نفسه، والذي كان يدخلهم إلى حديقة فيلته ويشير إليهم على الأماكن التي يسقط فيها التوت من الشجرة، وعندما يتأكد الصبية أنهم قد جمعوا كل التوت من حديقة الفيلا ومن خارجها في الشارع المجاور لها حتى، كان الحاج "حافظ" يجلسهم في شرفة الفيلا ويغسل لهم التوت، ويتركهم يأكلونه أمامه، لم؟ بالتأكيد لم يكن الحاج "حافظ" ينجذب للأطفال جنسياً إن كان هذا أول ما قد يتبادر إلى عقولنا المضطربة، بل كان محروماً منهم، لم يكن عقيماً، بل كان كمعظم من في سنه الذي تجاوز السبعين، أنجب أطفالاً وكبروا حتى سرقته منه "مشاغل الحياة" كما نصفها نحن المقصرون الغافلون، عن أعظم وأروع نعمة قد يهبها لنا الله في حياتنا القصيرة، ونتجاهلها عمداً ونعتبرها من المسلمات ونعمى عنها

كما نعمى عن معظم نعم الله، ألا وهي الوالدان، حتى يستردهم واهبهم ويتركنا لحسرتنا على ما فرطنا فيهم، على أية حال! ما زاد الطين بلة أن الحاج "حافظ" قد ماتت عنه زوجته، بما يعني أنه كان يعيش وحيداً في تلك الفيلا الواسعة دائرية الواجهة، وكان يجلس في شرفتها - الفرندا - طوال الصباح، والمطلّة على الشارع ليلقي بالسلام ويجر أطراف الحديث مع من يعرف ومن لا يعرف، المارة والباعة وأصحاب المحلات، وبالطبع أطفال الحي الذين يأتون لجمع طرح أشجار التوت في حديقته كل عام، أولئك الأخيرون كان لهم إعزازاً وحباً خاصاً لهم في قلبه، فكان يجلس معهم في شرفة فيلته ويتحدث معهم بالساعات، ويحكي لهم عن ذكرياته طفلاً في الثلاثينيات، وعما كان يفعله في الجنود الإنجليز من مقالب في قريته التي ولد فيها في "الإسماعيلية"، وكان صبية الحي يحبونه الحاج "حافظ" كثيراً ويطمئنون له ويأمنون لحديثه ولا يملونه أبداً، وبالطبع على رأسهم كان "وليد"، الذي كان يترك أصدقاءه يلعبون في حديقة الفيلا، ويجلس هو يستمع لأحاديث وحكايات الحاج "حافظ"، ويستمتع بها أيما استمتاع، وكان يحرص كل يوم في طريق عودته من مدرسته أن يلقي التحية على الحاج "حافظ" ويطمئن عليه ويتسامر معه أحياناً، بيل وكان "وليد" يرد كرم الرجل وحفاوته وكرم ضايفته وروعة قلبه، بأن يدخر من مصروفه ليشتري له السوداني المملح والدوم والخرنكش التي يعشقها الحاج "حافظ"، وكان الحاج "حافظ" يخرج من ذلك بشدة ويقسم على "وليد" كل مرة يشتري له تلك التسالي بأن يأخذ ثمنها، ويأبى "وليد" بالطبع

ويقسم بدوره ألا يأخذ مليماً واحداً، كيف وهذا الرجل قد فتح فيلته لصبية الحي ملعباً وسامراً ومجلساً ومدينة ملاهي حتى، حتى ذلك اليوم المشؤوم منذ ٣ أعوام تقريباً في شتاء ١٩٨٨ حيث كان "وليد" طالباً في الشهادة الإعدادية وفي طريق العودة للمنزل من المدرسة، حيث رأى جمعاً كبيراً من الناس قد تجمعوا حول الفيلا وداخلها، وهنا بقلب "وليد" الشفاف أدرك أن هذا الرجل الكريم الطيب المبتهل بالوحدة قد أذن خالقه أن تنتهي وحدته وحشته التي لطالما عذبتة حياً، وأنه قد آن الأوان لينتهي هذا العذاب ويأتس بأهله وأحبائه وزوجته وأهل خير من أهله حتى لدى المؤنس الأعظم والرفيق الأكرم، ربما هذا ما جعل "وليد" يتسم لحظة أدرك أن الحاج "حافظ عبد العظيم" قد انتهت معاناته وألمه ونصبه، وبدأت طمأنينته وأنسه وراحته، ولحظة تذكر تلك التنهيدات الطويلة الحزينة التي كان يطلقها الحاج "حافظ" باستمرار، والشرود الحزين الذي كان يكسو ملامحه حتى صار جزءاً منها، وكلما كان "وليد" يسأله السؤال التقليدي عند رؤيته مهموماً أو حزيناً "مالك يا عم "حافظ"؟" إليه الي مزعلك؟"، كان يجيبه بإجابة واحدة لا يغيرها أبداً، لا هي ولا نظرة الأسى والإشفاق التي كانت عنواناً لعينيه، كان يطلق تنهيدة متألمة من تنهيداته ثم يقول آسياً على حاله "لا راحة إلا عند لقاء الله".

ظلت الفيلا مغلقة لفترة طويلة بعد رحيل الرجل الطيب الكريم الحاج "حافظ عبد العظيم"، حتى عشب التراب على أركانها، وخيم الحزن على كل تفاصيلها، حتى

التوت في شجرها فقد حلاوته، وكأنه ينعي صاحبه الذي لطالما سقاه رعاه واهتم به، التوت الذي كان الحاج "حافظ" يوصي الصبية دائماً أن يأتوا لجمعه في موسم نضجه حتى بعد موته، وهكذا لن ينقطع عمله وسيفوز بشواب إطعامهم وإدخال السعادة على قلوبهم كما اعتاد حياً، هكذا كان الرجل، لا يفكر إلا في إسعاد الآخرين وإكرامهم، ربما ليعادل شح الحياة في إسعاده وإكرامه، لكما كنت أقول لكم، ظلت الفيلا على حالها البائس الحزين هذا بعد وفاة الحاج "حافظ" لـ ٣ أعوام تقريباً، حتى ذلك اليوم حيث كان "وليد" في طريق العودة لمنزله من درس خاص في مادة ما، حيث فوجيء بذلك الصوان يحيط بالمنزل من كل جانب، فاستغرب لأول وهلة، ما عسى هذا الصوان يحيط بالفيلا ويسترها، ربما قرر أحد أبنائه تجديد الفيلا ويريد إخفاء هذه التجديدات عن عيون الناس درءاً للحسد، وسار "وليد" قليلاً حتى وجد فتحة بين ستائر الصوان الطويلة الثقيلة، فتحة مقابلة لبوابة الفيلا مباشرة، وبدون أن يضطر "وليد" لاقتحام تلك الفتحة، كانت الريح قوية وكانت تعصف بطرفي الفتحة، فتبدت لـ "وليد" عبرها أجزاء مهدامة في سور الفيلا وفي مدخلها، فهوى قلبه بين ضلوعه لأول، ليس خوفاً من أي شيء إلا أن تكون تلك أعمال هدم تمهيدية يهدم الفيلا بأكملها، فوقف متحيراً للحظات والفضول يقتله، أيدخل لتبين الأمر أم لا يدخل، لقد شارفت الشمس على الغروب والفيلا أمامه معتمة بالفعل، ولم يطل التفكير حيث قرر "وليد" أنه سيجتاز الصوان ويقف في حديقة الفيلا فحسب ليفحصها من الخارج، ودخل "وليد" عبر الصوان وفي بقايا

ضوء النهار الخافتة تبين أن كل شبابيك وأبواب الفيلا قد نزعت نزعا، فأدرك في الحال أن ما يحدث في الفيلا ما هو إلا مقدمات أعمال هدمها بالكامل، فحزن لأول وهلة، وأخذت ذكرياته فيها تتوارد على ذاكرته، وكيف لعب في حديقته وكيف كان سامره في شرفتها، لكن الوقت لم يكن في صالح "وليد" بالمرّة، ففي دقائق معدودات أقبل الليل وأدبر النهار، وصار حديقة الفيلا معتمة تماماً، إلا من بعض بصيص من الضوء الصادر من أعمدة الإنارة، لكنه لا يشفع ولا ينفع في أي شيء، وفكر أن عليه الهروب في الحال من هذا المكان، ولتهدم الفيلا إن كان هذا قدرها، ولتذهب كل الذكريات إلى الجحيم إن كات ستبقيه في هذا المكان المشؤوم دقيقة واحدة أخرى، وتحرك "وليد" سريعاً ليعبر الفتحة التي دخل منها عبر الصوان، حتى سمع صوتاً، وفكر ما أن سمعه أنه في الرسائل والمشاهد الأخرى التي رآها وشهدها، أنه لم يكن وحده في فيلا مهجورة مظلمة كجوف الليل في أي من تلك المشاهد، وأنه لم يشعر بهذا القدر من الخوف مثلما يشعر به تجاه هذه الفيلا، لذا حتى إن كانت هناك رسالة أخرى في هذه الفيلا، فلتذهب إلى قاع الجحيم، هذا ما قرره "وليد" حاسماً في الحال وبالفعل خرج من فتحة الصوان وعاد للشارع مجدداً، لكنه وهو في الشارع حتى لا يزال يسمع الصوت الصادر من الفيلا والذي لا يستطيع تمييزه، والذي لا يمكن أن يخرج إلا من الفيلا، فيمينها يقع محل إطارات وبطاريات سيارات مغلق لتعسه وسوء حظه، ويساره محل أحذية مغلق أيضاً، وحينها لعن "وليد" من ابتدع إجازة يوم الأحد للمحلات، ذلك التقليد البغيض التي توارثه

المصريون من الإنجليز والخواجات عامة، وكبداية أي مشهد غيبي يراه "وليد"، يبدأ بالإنصات ثم الإصغاء ثم مزيد من الإنصات، حتى يتبين له أنه ذلك الصوت القديم الذي لطالما بغضه وخاف منه طفلاً فصبياً فشاباً، إنه صوت الجرامافون اللعين، ما ومن الذي عساه يأتي بجرامافون في هذه الفيلا المهجورة اللعينة في تلك الساعة المشؤومة؟! يستحيل أن أدخلها! لن أدخلها إلا جثة هامدة أو محمولاً على الأعناق، يعلو صوت الجرامافون المشوش المخرفش الكئيب، ويعلو صوت المغني الذي يعزف الجرامافون اسطوانته، صوت حاد متهدج وكأنهم الموتى يعذبون في القبور، يقف "وليد" مكتوف الأيدي للحظات يستمع لهذا الصوت البغيض، وكأنه ينتظر جملته في هذا المشهد الأكثر إرهاباً وإرهاباً من كل سابقه، ويلقي نظرة خاطفة على القصر فيترأى له ظلاً في ذلك الظلام المميت، وبالبطبع كما قلبي وقلوبكم يتهاوى قلبه بين جوانجه وجوارحه مجدداً ما أن يترأى له ذلك الظل، فيهم بالركض في الحال من هذا المكان، قبل أن يمد هذا الظل المهلك يده ليجتذبه داخل الفيلا... بظن "وليد"! لكن يحدث فجأة ما لا يخطر لـ "وليد" ببال أو خيال، حيث تضاء أضواء الفيلا تدريجياً، نور من بعده نور، ليس هذا فحسب، بل وتستعيد الفيلا هيئتها القديمة أو بالأحرى الجديدة وكأنها لم يهدم فيها شيء، أو وكأنها بنيت منذ أيام معدودات فحسب، وظهرت عبر أبوابها المفتوحة قطع الأثاث المذهب جديدة راقية متألقة، والنجف الفخم الضخم المتألىء البديع يزين أسقفها، والبساط الفاخر الأحمر الداكن يتوج روعة أرضيتها الرخامية، لكن كل هذا غير

مهم ولا قيمة له، مقارنة بما رآه "وليد" بعد ذلك، والذي جعله يتحرك بشكل لا إرادي مدفوعاً بفضوله للفيلا مجدداً، الظل المرعب الذي تراءى له في الظلام الدامس، عندما كان ظلاماً، تجلى له كشاب يافع جميل المحيا كما يقولون، أنيق في كل شيء، حلته، ووجهه متسق الملامح، وشعره الممشط بعناية، وقوامه الرياضي المشدود، واقف واثق بهي في منتصف ردهة الفيلا، وكأنه يعلن عن نفسه لـ "وليد" ويظهر نفسه له، وهنا يتبدد الخوف شيئاً فشيئاً من نفس "وليد"، ليحل محله الانبهار والاستغراب والتعجب والإعجاب بهذا المشهد الأكثر تفرداً من بين كل ما رأى وشهد، ويتبدل الخوف بشجاعة مفاجئة وإقدام طائش، يجعل "وليد" يخطو خطوات جريئة واثقة تجاه هذا الشاب، وما جعل "وليد" يكاد يفقد عقله أن هذا الشاب الوجيه الوسيم إذ اقترب منه "وليد"، ابتسم لـ "وليد"، ابتسامة ترحيب لطيفة رقيقة، جعلت "وليد" يسرع الخطأ أكثر فأكثر حتى صعد بضع درجات السلم في مدخل الفيلا والمؤدية لبوابتها، فصار لا يفصله عن ذلك الشاب سوى بضع أمتار ليس إلا، ما على "وليد" سوى أن يدخل من بوابة الفيلا ليكون في مواجهته وجهاً لوجه، ومجدداً لم يفكر "وليد" كثيراً في الأمر، حيث أن الأمارات والمقدمات مبشرة حتى الآن، وتوقف للحظة قبل أقل من متر من بوابة الفيلا، بعد أن طرأ بباله أن هذا الشاب الوسيم قد يتحول لشيطان مريد ما أن يطأ "وليد" بقدمه داخل الفيلا، ليفتك به وبذيقه وبأل أمره، ثم استدرك وفكر أن هذا الهراء لا يحدث سوى في أفلام الرعب المهووس بها، أما رعب الواقع فأدهى وأمر سبيلاً،

ولكنه أخذ حذره وأبطأ خطاه حتى صدر أمامة بوابة الفيلا المفتوحة مباشرة، وصوت الجرامافون مشوش مقبض في الخلفية، فنظر "وليد" للشاب مرتاباً حذراً، لكن الشاب لا يزال على ابتسامته اللطيفة الصادقة المطمئنة، بما أعاد بعض الطمأنينة المفقودة لنفس "وليد"، وبما جعله يتفرس في وجه ذلك الشاب ويدقق فيه، حتى ظن أن وجه هذا الشاب ليس غريباً عليه، بالمرّة! بل هو مألوف وكأنه يعرفه منذ الأزل، ودقق "وليد" أخرى في ملامح هذا الشاب وكأنه يجتهد ليتذكر أين رآه من قبل، وكان الشاب علم ما في نفس "وليد"، فنظر ببطء تجاه اليمين إلى الحائط، حيث صورة معلقة، صورة له، لكن... مستحيل! إنها الصورة، ذات الصورة، الصورة التي لطالما تفاخر بها الحاج "حافظ"، بأنها ما كانت النساء، كل النساء ترينها حتى تقعن في هوى صاحبها من فورهن، صورة الشاب الوسيم طالب القانون في جامعة السوربون، "حافظ" ابن "عبد العظيم باشا مازن" أكبر تاجر أخشاب في محافظة "سوهاج"، تلك الصورة التي لطالما نظر إليها الحاج "حافظ" وتنهد تنهيدات الحسرة الشهيرة على الشباب، وبالطبع كان ينطلق في الحكي بعدها عن الصورة وأيام الصورة، أيام شبابه، وعن روعتها وفوتها وشقاوتها، وكيف أنه صُور هذه الصورة خصيصاً بناء على طلب حبيبته الأولى، "سارة جيرارد" ابنة "ليون" الفرنسية وزميلته في الجامعة آنذاك، والتي لطالما أخبرته أنه بهذه الصورة وبملاحه الشرقية الفريدة يستطيع أن يمثل في أرقى مسارح "الشانزليزيه"، لكن كل هذا لا يهم، ما يهم "وليد" في تلك اللحظة المخيفة الغريبة التي يعيشها "وليد"

هو السؤال، ما الذي أتى بـ "حافظ" شاباً إلى هذه الفيلا المتهمة المتهالكة؟ ومن المنطقي أن كان أول ما تبادر لذهنه أنه ربما أتى ليبلغه رسالة أخرى، ومن أكد هذا الظن أن قال "حافظ" الشاب مرحباً به مطمئناً إياه

- خش يا "وليد"! متخافش، أنا معاك، وطول ما أنا معاك مستحيل يمسك أي سوء

فيسأله "وليد" مرتاباً حذراً

- هو انت... انت عم "حافظ"... "حافظ عبد العظيم"؟!

فيضحك الشاب ثم يقول واثقاً

- هو أنا "حافظ" فعلاً، بس دلوقتي اسمي الي بينادوني بيه "حافظ ابن راضية"

فيقول "وليد" متحيراً مشوش التفكير

- مش فاهم!

فيقول الشاب "حافظ" محاولاً طمأنته

- طيب ادخل الأول وأنا أفهمك

فيقول "وليد" حذراً مجدداً

- طب وأنا إيش ضمنني هاتعمل فيا إيه بعد ما أدخل؟

فيضحك الشاب ويقول بقوة غريبة

- أنا لو نيتي وحشة يا "وليد" كنت أزيّتك من أول ما وقفت قدام الفيلا، وكيان
إزاي أوّذي أعز صديق وأنيس ليا لما كنت من أهل الدنيا، ادخل يا "وليد"، توكل
على الحي الذي لا يموت وادخل

فيصمت "وليد" للحظات ولا يجد بداً من الدخول، إذ شعر فعلاً بأنه مطمئن
مرتاح لهذا الشاب الذي يفترض أنه الحاج "حافظ" صديقه القديم، لذا يقدم قدمه
اليمنى بالطبع متردداً وهو يقول

- توكلت على الحي الذي لا يموت

ويهم الشاب بالهجوم عليه في الحال، لذا يخرج "وليد" قدمه في لمح البصر- ويهم
بالركض هرباً بحياته، لكن ما يوقفه هو انفجار الشاب في الضحك بشكل عجيب،
ثم يقول ساخراً

- مش ممكن! اسمك "وليد الشجيع" وانت أجبن عيل عرفته في حياتي، طول
عمري باحب أعمل فيك مقالب عشان أشوفك وانت خايف ومخضوض، فاكر لما
استخيينا أنا والواد "نادر" صاحبك في كشك الجنائني وقعدنا نعملك أصوات
مخيفة وانت جايلي الفيلا عشان نتفرج على نهائي كاس الأمم الإفريقية سنة ١٩٨٦
بين "مصر" و"الكاميرون"، ولما شفنا وشك منهار من الخوف وقعدنا على نفسنا من
الضحك وفضحننا نفسنا، وانت اتقصمت وروحت وماشفتش الماتش معايا يومها،

وقعدت مخاصمني أسبوع لحد ما جبتلك المنشاكو الي كان نفسك فيه وأبوك وأمك
ماكانوش عاوزين يجيبهولك عشان ماتعورش نفسك بيه، جبتهولك هدية من
"بابا صالح" وسيتته في بيتكم مع والدتك عشان يبقى مفاجأة لما ترجع من
المدرسة، فاكريا "ويلا"؟

وتفتلت ضحكة من "وليد" رغماً عنه، ضحكة متوترة لكن مطمئنة، إذ يستحيل
بكل المقاييس أن يعرف أحد على الأرض هذا الكم المزعج من تفاصيل ذلك اليوم
إلاه و"نادر الشافعي" صديق طفولته والحاج "حافظ"، لذا بلا إطالة تفكير يدخل
"وليد" الفيلا، فتتجلى ابتسامة الترحيب في وجه الشاب "حافظ" ويقول مازحاً

- ما كان من بدري!

فيقول "وليد" لا يزال مستغرباً

- طب بس إزاي؟

فيقول "حافظ" لا يزال مازحاً

- إيه الغريب فيها يعني، مت ودي روحي، أظنك شفتها في ييجي ٥٠٠ فيلم رعب
قبل كدة!

فيسأله "وليد" مشدوهاً

- بالبساطة دي؟!

فيجييه "حافظ" مستبشراً مبتسماً

- وأبسط وحياتك، ده احنا رايجين جاينين براحتنا في كل حته في الأرض، بنزور
أهلنا واصحابنا وحبايينا، دي حتى البت "سلمى" حفيدتي اتجوزت وجابت
"وليد" برضة، بس جوزها الواد "أحمد" نطع نطاعة، بس قلبه أبيض والله
فيضحك "وليد" على رغمه، ثم يسأله لا يزال مستغرباً

- طب بس إزاي رجعت شباب كدة؟!

فيقول "حافظ" بنفس المزاح المطمئن اللطيف

- ما انتوا لو بتنتبهوا في حصه الدين، أو لو بتحضروها أصلاً، كنتوا عرفتوا إن إحنا
بنرجع شباب لما ندخل الجنة، عمرك ما سمعت حديث الرسول صلى الله عليه
وسلم "يدخل أهل الجنة الجنة جرداً مرداً مكحلين أبناء ثلاثين أو ثلاث وثلاثين
سنة"، أديني رجعت ابن ٣٠ أهوه يا سيدي!

فيملي "وليد" عينيه فيه ثم يسأله شديد الفضول

- طب هو انت دخلت الجنة يا عم "حافظ"؟

فيصمت لحظات وكأنها بلغ "وليد" حد الأسئلة المصرح له بإجابتها صراحة، ثم
يجيبه مراوغاً

- هو ماتقدرش تقول إنها الجنة الجنة يعني! بس تقدر تقول مثلاً إن لو الجنة زي قصر كبير جميل فخم، وله جنيّة واسعة ومليانة خضرة وأزهار وأشجار فيها كل ما تشتهي الأنفس من الثمار، تقدر تقول إن إحنا قاعدين في الجنيّة الجميلة دي بتاعة القصر وبتنعم بكل ما فيها، بس لسة مادخلناش القصر نفسه

- وهاتدخلوله إمتى؟!

- هو إيه؟

- القصر... قصدي الجنة!

فيجييه الشاب "حافظ" لا يزال مراوغاً

- خليك في القصر اللي إحنا فيه دلوقتي، إزاي كل دة ولسة ماسألتنيش أنا إيه اللي بعطني ليك في الوقت ده بالذات؟!

فيجييه "وليد" واثقاً مستهيناً كمن ليس لديه ما يخسره

- أكيد عشان تبلغني رسالة جديدة، ما هو انت يا عم "حافظ" مش أول عفريت... لا مؤاخذه! قصدي مش أول روح أشوفها ولا هاتكون الأخيرة، وبرضة لا دي أول رسالة ولا هاتكون الأخيرة، قول يا عم "حافظ" قول، ياما دقت عالراس طبول!

فيضحك "حافظ" بقوة ثم يهز رأسه بالإيجاب ويقول سعيداً بشجاعة "وليد" وفطنته

- أيوة يا "وليد" صح، أنا جايلك برسالة جديدة، بس الرسالة دي غير أي رسالة انت شفتها قبل كدة، الرسالة المرة دي ثقيلة شوية، أو زي ما بيسموها أهل السما... رسالة نذير

فيسأله "وليد" فضولياً

- رسالة نذير؟ يعني إيه رسالة نذير؟ ومين أهل السما دول؟ وهل هما اللي بعتوك بالرسالة؟ واللامين الي بعتك بالرسالة دي بالضبط يا عم "حافظ"؟! ومجدداً يصمت "حافظ" للحظات وكأنها قد بلغ حد الأجوبة المسموح له بها، ثم يقول

- كل التفاصيل دي مش مهمة بالنسبة لك دلوقتي يا "وليد"، المهم دلوقتي... الرسالة

فينظر "وليد" حوله وكأنها يبحث عن أي أمارات أو إشارات أو علامات لتلك الرسالة الجديدة الغامضة، ثم يسأله متحيراً

- وهي فين الرسالة دي يا عم "حافظ"؟ أنا مش شايف أي حاجة!

وبدون أن ينطق "حافظ" بكلمة واحدة، يشير بذراعه إلى يساره حيث تقع غرفة السفرة كما نسميها، أو غرفة الطعام كما يسميها المترجمون، وما أن يشير "حافظ" بذراعه للغرفة، تدب الحياة فيها، فتتألق النجفة العملاقة فيها بمصابيحها الساطعة وكريستانها المتألئط طيفي الألوان، لتكشف عن ملامح الغرفة، دولا ب الفضية أو كما نسميه حالياً الاسم الغبي الذي لا نعرف أي أحق جلبه علينا... "النيش"!

آنذاك أو في الماضي بدا أنه أبهى وأرقى وأروع ما في المكان، لكن بما نضعه فيه حالياً من أطباق رخيصة رديئة الرسومات والنقوش، وكؤوس باهتة تأبى أن تعكس أي ضوء، وتماثل بلاستيكية فقيرة الذوق يفترض أنها قطع فنية، استحق هذا "النيش" اسمه البائس، وتألفت المائدة - السفرة - الطويلة الممتدة بخشبها الزان الداكن رائحة الرقي، وتجلي ما عليها من كؤوس وأطباق وأدوات فضية أنيقة بديعة البريق واللمعان وكأنها قطع حلي، وتجلت أيضاً أصناف الطعام الفاخرة على المائدة، من صينيّات لحوم مشوية في الفرن لا تزال تسمع أزيز نضجها، وحمّام محشي- مشوي يفترش تلالاً من الأرز بالكبد والكلاوي وأفخم أنواع الجوز والمكسرات، وبالطبع كما سال لعابكم، فقد سال لعاب "وليد" في الحال، وخاصة أنه لم يكن قد تناول غداءه بعد، لحد أنه بدأ يتحرك تجاه السفرة المستفزة المكتظة بأنواع طعام تضعف العزيمة وتذهب الشكيمة، إلا أن "حافظ" أمسكه من ذراعه في آخر لحظة، وهز رأسه بالنفي وكأنه يعظه ويحذره ألا يفعل، حتى بدأ أشخاص الجالسين إلى المائدة يظهرّون واحداً تلو الآخر، امرأة وطفليها في ٣ مقاعد متجاورة، وظهرهم

بمواجهة "وليد" فلا يستطيع رؤية وجوههم، ومن تلك المرأة بديعة المنظر والشكل والمظهر التي تجلس في مقابلهم على الجهة الأخرى من المائدة؟ من سواها! إنها الإغواء متجسداً، إنها "سوار" ليس سواها، لكن من تلك الطفلة الصغيرة التي تجلس في الكرسي المجاور لكرسيها مباشرة؟ إنها تشبهها كثيراً لكن ليس كلياً، وكأنها ابتنتها، وهنا تذكر "وليد" في أحاديثها مع عشيقها السمين البغيض "فيليب"، والذي لم يفهم "وليد" يوماً كيف تعاشره امرأة فاتنة حسناء مثل "سوار"، وكيف تتحمل جسده المشعر المشحم المتعرق يحتك بجسدها كل ليلة، وربما في الليلة أكثر من مرة، تذكر "وليد" في أحاديثها مع "فيليب" أن لها ابنة صغيرة من زوجها "سراج"، ربما هي تلك التي تجلس بجوارها إلى المائدة، وما أن اكتمل نصاب الجالسين إلى المائدة، أشار "حافظ" إلى "وليد" بدخول غرفة الطعام الآن ودخل معه، ووقف "وليد" لدى طرف المائدة الجنوبي حيث المرأة المجهولة وطفليها على يساره، و"سوار" وابنتها المحتملة على يمينه، وبحيث أصبح لا يفصله عن المرأة المجهولة أكثر من مترين على الأكثر، ونظر في وجهها يتبينها ليجدها امرأة عادية، عادية في كل شيء، ملامحها عادية، وشعرها أسود دهني عادي، وحتى جلستها، متواضعة منكمشة منكفئة على المائدة، بينما "سوار" منتصب الظهر ممدودة العمق متكبرة واثقة، وكأنها بلغة جسدها الواثقة تعلن فرض هيمنتها على المرأة الأخرى، التي بدت حذرة الملامح متوترة الحركات، وكأنها غير مرتاحة أو مطمئنة

للموقف برمته، وخاصة عندما تجاملها "سوار" مجاملة فاترة متصنعة في لحنها وأدائها

- إنتي نورتيينا يا "زينب" هانم

"زينب"! تتسع عينا "وليد" بالدهشة والفضول المفاجئين، أين سمع هذا الاسم من قبل؟ أين يا "وليد"؟ أين... أين؟ تذكر أيها التعس! لا وقت لضعاف العقول في تلك الساعة، وبالإصرار يتذكر "وليد" أين سمع هذا الاسم من قبل، مجدداً سمعه في أحاديث العشيقين "سوار" و"فيليب" حيث كرر كلاهما أكثر من مرة، وأنه اسم الأرملة التي تزوجها "سراج" ذات الـ ٣ أبناء، وبالأمانة زوجها الراحل كان اسمه "فؤاد"، لكن شكل هذه السيدة مألوف للغاية لدى "وليد"، وكأنه رآه من قبل، وعندما سمع صوتها الرقيق شديد الخفوت إذ ترد المجاملة لا تزال حذرة مضطربة في جلستها

- ده نورك يا "سوار" هانم، ماكانش فيه داعي تتعبي نفسك التعب ده كله

فتضحك "سوار" الضحكة الباهتة الكاذبة الشهيرة بالضحكة "الصفراء" وتقول وكل ما فيها منافق

- ده من فضلة خيرك يا "زينب" هانم، أنا من كتر ما سمعت عن شطارتك في المطبخ، قلت لازم أعمل تليق بمقامك، ووقفت مع الطباخ طول اليوم

فتضحك "زينب" ضحكة كاذبة أشبه بصوت البكاء، وهذا ما جعل "وليد" يكاد يفقد عقله، ويكاد يقسم إنه رأى هذه السيدة وسمع حديثها من قبل، وحتى ضحكتها المتفعلة يكاد يقسم إنه سمعها من قبل في مكان ما، لكن أين ومتى؟ هذا ما حار فيه عقله، المهم أن "زينب" أجابت بما يسمونه ردا دبلوماسياً راقياً بلهجة لم تتخل عن حذرهما وتحفظها

- بصراحة يا "سوار" هانم أنا لما وصلني جوابك من كام يوم استغربت جداً، يعني دعوة على الغدا حته واحدة بعد كل المشاكل اللي حصلت الفترة اللي فاتت، بصراحة ده كرم مفاجيء يفوق قدرتي على الاستيعاب

فتسألها "سوار" بابتسامة مأكرة ولهجة أمكر مدعية الجهل والبراءة

- ليه استغربتي يا حبيبتى؟ عشان إنتي ضرتي يعني؟!

ثم تضحك "سوار" ضحكة استفزازية تجعل المسكينة "زينب" تكاد تشرق في عصير البرتقال الذي تتجرعه على مضض من الكأس الكريستال الفاخر، ثم تجيب بوجه ممتنع بالإحراج والمفاجأة ولهجة لا تخلو من المكر والكلام ذي المعنيين

- العفو يا "سوار" هانم! أنا ليا الشرف إني اتجوزت راجل عظيم وشريف زي "سراج"، وربنا الشاهد كنت بالكلمه أد إيه يحاول يصلح المشاكل اللي بينكم، وربنا الشاهد برضة أد إيه أنا قاومت إلحاحه المستمر على الزواج مني، بس بعد ولاد الحرام ما عملوا فتنة بينه وبين مسيو "فيليب" مديره، وأقنعوه أنه ينقل "سراج"

فجأة فرع الهيئة في "الاسماعيلية" بعد كان يشهدله دايماً بأنه من أكفأ الموظفين، وبعد ما برضة نقلتني الهيئة فجأة وبدون سبب وجيه للاستراحات بتاعتها في "السويس"، أصر "سراج" إننا نتجوز في أسرع فرصة، وأد إليه أنا فرحت وسعدت جداً لما عرفت إنك تراجعتي عن فكرة الطلاق من "سراج"، لأنه ياما صرح لي إنه لسة بيحبك وعمره ما قدر يشيل في قلبه أي مشاعر سيئة تجاهك، وربنا العالم إن أنا كمان عمري ما شلت في قلبي تجاهك إلا كل خير وود، ودايماً لما كان "سراج" بيحكيلي عنك كنت باقوله إنك بتفكريني بأختي الصغيرة "اعتدال"، في قوة شخصيتك ورجاحة عقلك على صغر سنك

فتبدو "سوار" لأولة وهلة متأثرة بصدق الكلام وحسن النية ونقاء الطوية التي ورائه، وتلمع عيناها وكأنها سعدت بكلمات الإطراء والثناء الذي بلغها عن "سراج"، أو وكأنها لا تزال تحمل مشاعر تجاهه! لذا تقول وقد تخلت للحظات عن كبريائها الكاذب وقوتها المتصنعة

- أنا عارفة يا "زينب"... أسفة! قصدي يا "زينب" هانم إنك إديتي "سراج" حاجات كتير أنا ماعرفتش وماقدرتش أدياله، أهمها الدفء والطمأنينة والسكن والسكينة

فتقول "زينب" مازحة

- السكن! مش واخدة بالي يا "سوار" هانم، هو "سراج" كان عايش في الشارع؟!

ثم تضحك ضحكة مكتومة خجولة على مزحتها، تجاملها عليها "سوار" بابتسامة حزينة، وكأنها بدأت تدرك وتبصر طيب النفس والبساطة والبراءة الرائعة التي تتمتع بها هذه السيدة، ثم تجيب

- لأيا "زينب" هانم، ما هو مش كل السكن بيوت، السكن الأهم هو سكن النفوس، "وسراج" عمره ما قدر معايا يلاقي سكن لروحه، عمره ما قدر يحس إنه مطمئن، عمره ما حس بالأنس وحتى وإحنا بنتظاهر بإننا بنتكلم مع بعض، ما بالك وإحنا ساكتين، على أد ما حبني، على أد ما حبه ده كان بيحسسه بالغربة عني يوم بعد يوم

فتقول "زينب" مدافعة

- أيوة فعلاً يا "سوار" هانم، "سراج" ياما قالي أد إيه هو حبك... قصدي بيبحك!
فتضحك "سوار" ضحكة مستهينة حزينة

- شفتي بقى، أدكيي وقعتي بلسانك يا "زينب" هانم، أيوة "سراج" كان بيبجني زمان وفقد حبه ليا، ما هو زي ما بيقولوا، كتر الأسية تقطع عروق المحبة، وأنا قسيت عليه كثير، وجفيته أكثر، وكنت دايماً باحسسه إنه ما يستحقنيش، وإني بجمالي وشبابي كنت ممكن أتجوز راجل أجهل وأغنى وأهم منه مليون مرة، مع إني وأنا باعمل كدة فيه، كنت باتقطع من الندم وتعذيب الضمير، واسأل نفسي- أنا ليه باعمل فيه كدة، ولية دايماً كنت باصر أروح له الهيئة وأنا لابسة أغلى وأجهل

فساتيني، وحاطة أغلى ذهبي وعطوري، بس عشان أغيطه وأولعه بنظرات الموظفين اللي هايموتوا عليا، وأشوف نظرة العجز والحيرة وانعدام الحيلة في عينيه، كنت باستمتع أوي بضغفه، كنت باقى في قمة النشوة ومديره مسيو "فيليب" بيوس إيدي وبيغازلني، وهو وشه مسود من كتر الغيرة والكمد، وبعد ما أرجع البيت، أقعد أبكي بكاء مالوش نهاية، وأشرب لحد ما يغمى عليا من كتر الشرب، وكأني باعذب نفسي قبل ما أعذبه، وبرضة أنا مش عارفة أن ليه باعمل كل ده، أكيد أنا مريضة ومحتاجة أخش مصحة نفسية، أكيد... أكيد!

ثم تصمت "سوار" وتبدو عاجزة يائسة شديدة الضعف للحظات، وتريد "زينب" أن تسري عنها وتدافع عنها أمام محكمة نفسها، لكن الكلام لا يسعفها، وكأنها مأمورة بالصمت، ولم يدم الصمت طويلاً، إذ تستأنف "سوار" وهي تحاول للممة شتات كبريائها وثقتها الكاذبة، بلهجة لا تخلو من تحفز وعدوانية

- بس كل ده انتهى لما انتي ظهرتي في حياته يا "زينب"!

فتنظر لها "زينب" متعجبة من هذه اللهجة العدوانية المفاجئة، بعد نوبة الضعف الوجيزة، ثم تمضي "سوار" وقد ازدادت عدوانية لحد أنها بدأت ترفع صوتها

- أيوة انتي! إنتي اللي حسستيني بعجزي ونقصي وأدا إيه أنا قليلة وتافهة وماليش قيمة، الحاجة الي مافيش حد على الأرض عرف يعملها، ولا حتى أبويا وأمي، إنتي اللي عرفتيني إن الراحل لو عجبه في الست جمالها وجسمها النهاردة، بكرة

هايزهدهم ويملهم زي ما بيزهد ويمل أي حاجة بيملكها، وإن الراجل الحقيقي ما بيحبش إلا الست الكريمة الطيبة الحنونة الي تحبه وتحتويه، الي يأنس بوجودها جنبه حتى من غير كلام، الست الي يحس إنه ملك الكون لوجودها في حياته، وتغنيه عن كل نساء الأرض، وكل ما يبص في وشها بيحس بنعمة ربنا عليه، أنا بشبابي وجمالي وجسمي الي مافيش زيهم في "بورسعيد" كلها، حسيت إني أقبح ست في العالم، حسيت إني بجمالي ده لا أصلح إلا أن أستحق أن أكون أكثر من عشيقة، وإنتي بوشك الباهت الدبلان الي مليان تجاعيد، وقصة شعرك الي بتفكرني بالدادة الي ربتني، خلتيه يحس إنك أجمل ست في العالم، وإني أرخص ست في العالم، إنتي المراية الي شفت فيها مدى قبحي وسوء ضميري، وعشان كدة أنا باكرهك، سامعة يا "زينب"... باكرهك!

وبالطبع ما كان من "زينب" المسكينة إلا أن أجابت في هدوء وروانة رائعين، وكأنها كانت تتوقع أن مثل ذلك الجنون سيحدث في وقت ما بدعوة العشاء الخبيثة المشبوهة

- أنا متشكرة جداً على دعوتك الكريمة على العشا يا "سوار" هانم، وكنت أتمنى إنك تأجلي الكلمتين دول لما نكون لوحدا، بدل ما تفزعني الأولاد... وبتك كمان! وبلا أدنى تفكير وكأن "زينب" لم تقل شيئاً تنقض عليها "زينب" مهتاجة ككلب

مسعود

- إوعى تفتكري إنك ممكن تاخدي حاجة بتاعتي بدون إذن وأسيبك، عارفة الي بيعمل كدة بيسموه إيه؟ حرامي! وانتى حرامية يا "زينب"، حتى لو الحاجة دي أنا مليتها وقرفت منها واستغنيت عنها ورميتها مع الكراكيب في البدروم، لازم أنا الي أرميها لك مش انتى الي تاخديها مني بدون إذن، وأنا هادفعك تمن سركتك لحاجة مش بتاعتك، هادفعولك دم ودموع وحسرة يا "زينب"، سامعة؟ دم وحسرة!

فتقول "زينب" لا تزال هادئة متزنة بشكل غريب غير مفهوم وكأنها تدربت على مثل ذلك الحوار كثيراً، وعلى ردود أفعالها تجاه استفزازات تلك الساقطة "سوار"، الساقطة بأفعالها قبل أخلاقها، تقول "زينب" بعد أن تمسح فمها برقة بطرف منديل المائدة الأنيق

- سفرة دائمة يا "سوار" هانم، آه صحيح! اللحمة الروستو ناقصة سوا والكشك المظية ملحه زيادة شوية، وابقى سوي الحمام... قصدي خلي الطباخ بتاعك يسوي الحمام كويس قبل ما يحرمه في السمن، بعد إذنك خلي الدادة تحيب "مراد" من فوق، زمانه صحي من النوم مفزوع على صوت الزعيق

فتنظر إليها "سوار" حانقة تكاد تنفجر غيظاً، وتصرخ منادية المربية بأعلى ما لديها من صوت لتجلب "مراد" ابن "زينب" الثالث الرضيع، والذي كان يأخذ قيلولته في الدور العلوي كما يبدو، وتنزل به المربية مرتبكة تهرع هلعة تكاد تتعثر في السلم،

وتسلمه لأمه "زينب"، بعدها ترمق "زينب" "سوار" بعين الاستهانة والثقة وتنظر لها النظرة الشهيرة الأخيرة، قبل أن تقول وهي تفتح باب الفيلا الأنيقة

- صديقي يا "سوار" أنا مش باكرهك زي ما انتي بتكرهيني، بالعكس! أنا مشفقة عليك من نفسك، لو فاكدة إن أنا مشكلتك تبقي غلطانة، إنتي يا "سوار" مشكلة نفسك، إنتي الي مش عارفة إنتي عاوزة إيه، لو كان اتجوزك أجمل وأغنى وأكثر راجل صاحب نفوذ وسلطة في الدنيا، برضة ماكتيش هاتبقي راضية، لأن الرضا قيمة يا "سوار" بندرب نفوسنا عليها، وعلى رأي والدي الله يرحمه "الي مايعرفش يستطعم قرص الطعمية، مايعرفش يستطعم الديك الرومي"، رفقا بنفسك يا "سوار"، النار الي جواكي ده هاتكون سبب في هلاكك قبل أي حد تاني، اطيها قبل ما تحرق كل حياتك وتحرقك انتي شخصياً، ربنا يصلح حالنا وحالك ويهدينا ويهديكي، ومرة تانية... شكراً على واجب الضيافة!

وتغلق "زينب" الباب من خلفها برفق، وتختر "سوار" على أقرب كرسي، وكأنها لأول مرة تجد من يواجهها بحقيقة نفسها في حياتها، أو كأن "زينب" عرتها أمام مرآة نفسها، لتشهد وترى مدى القبح والخبث وسوء الضمير الذي ينخر في نفسها، ولا وصف للتعبير الذي يعلو ملامحها سوى الصدمة، ليست الصدمة مما سمعته، بل لما عرفته ولم تستطع إنكاره، أن عهر الأخلاق أسوأ ألف مرة من عهر الجسد، أن سوء الضمير أفدح من سوء التصرف ألف مرة، أن نية السوء وسوء النية أخبث ما

يمكن أن يصيب قلب المرء، أن الغرور والكبرياء والتكبر هي آفة النفس العظمى، والتي تترك بالضرورة طابعاً في الوجه وطبعاً في الخلقة والخلق لا يخفيه أعلى تبرج في الأرض، وأن الجمال الوحيد الحقيقي هو جمال الخلق والنفس والسريرة، ولأول مرة تفر دمة من سجن عين الشيطان المتجبرة المتكبرة، شيطان الدنيا الكاذب الغرور الذي يتلبس نفسها منذ وعت الدنيا، وفجأة تفتح "سوار" عينيها وكأنها تذكرت أمراً جليلاً، أو وكأن كارثة على وشك الوقوع وهي تبصرت بها قبل وقوعها، وتهرع إلى باب الفيلا تهم بفتحها وهي تحاول منع هذه الكارثة في آخر لحظة، لكنها تسمع صوت جلبة وصياح وصراخ، وصوت صرير إطارات السيارة تهرب بأقصى سرعة، تهرب من مسرح الجريمة... جريمته البشعة، وتخر "سوار" على الأرض وظهرها في مقابل البوابة، بدون أن تجرؤ على فتحها، وفي عينيها نظرة ندم نصف كاذبة، ودموع متحجرة أبت أن تفر لتريح ضميرها وتطهر بعضاً من ذنبها، وكثير من الخوف إذ هي موقنة أن ما ينتظرها، هو موسم الحصاد... حصاد فساد سرها وسريرتها.

تفتح السيدة "هبية" الباب برفق لتجد "وليد" منكباً على مذاكرته، ويذاكر باجتهاد وتركيز، فتتنفس مرتاحة، ثم تسأله على مضض وكأنها لا تريد أن تقول ما ستقوله - "وليد"! انت بتذاكر يا حبيبي؟

فيجيب "وليد" بدون أن يرفع عينيه مما يقرأه

- أيوة يا حبييتي، فيه حاجة؟

فتقول وهي تغلق الباب وكأن إجابته وحالته من التركيز في مذاكرته إجابة كافية لما كانت ستسأله

- خلاص أنا هاروح أقول لـ "هيثم" و "علاء" إنك مركز أوي في المذاكرة

فيسألها متحمساً وكأنه كان ينتظر مجيئهم

- "هيثم" و "علاء" أصحابي؟ هما فين؟ ده أنا مستنيهم من الصبح

فتجيبه متعجبة

- مستنيهم! مستنيهم ليه؟

فيهب من مجلسه ويخلع نظارة القراءة التي يضعها في الحال ويجيبها محرجاً كطفل ارتكب ذنباً

- أصل إحنا اتفقنا ننزل شوية بعد العصر، نتفصح شوية ونشم هوا بدل خنقة المذاكرة اللي ليل نهار دي

فتقول السيدة "بهية" مأكرة وهي قطعاً لا تريده أن يبرح المنزل

- تتفسحوا إزاي في الجو الصعب ده بس! ده الدنيا مغيمة من الصبح وكل شوية
تطر

فيقول "وليد" مازحاً وهو يعلم يقيناً ما تخفيه سريرتها الجميلة

- يا لهوي عليك يا "بطاطا" لما بتبقي سوسة، بتبقي مفضوحة أوي، بس زي
العسل، ريحي نفسك يا ستو أنا، إحنا عارفين إن الجو منيل من الصبح وبرضة اتفقنا
ننزل، خلاص يا ماما هانطق والله من كتر المذاكرة والضغط العصبي اللي إحنا
عايشين فيه ليل نهار، ما بين دروس وملازم ومذاكرة، ولسة باقي على الامتحانات
حوالي ٤ أشهر، لسة بدري أوي على المعسكر المغلق يا "بطاطا"، والا انتي عاوزاني
أتوتر وأعصابي تتعب؟!

فتجيب "بهية" في الحال وبلا تفكير بفطرة الأم السماوية

- لا يا حبيبي إن شاء الله عدوينك، إلا التوتر وتعب الأعصاب، انزل يا حبيبي شم هوا
شم مطر، شم اللي انت عاوز تشمه، واتفسح واتبسط وفك عن نفسك، انت مموت
نفسك في المذاكرة، ده غير التمرين، مش مقصر يا حبيبي والله

فيقبلها سعيداً ممتناً ويقول لها متحمساً

- طب روعي قولي للعيال المجانين دول "وليد" بيغير هدومه وجايلكم حالاً

فتهز رأسها طائعة عديمة الحيلة وتغلق الباب برفق، وبعد دقائق معدوات تجد "وليد" يهرع خارجاً من غرفته إلى باب المنزل في كامل ملابسه، وهي لا تزال واقفة بالباب تنظر إليه بدهشة وتهز رأسها متعجبة وتقول ساخرة

- سبحان الله! اللي فيه طبع مايبطلوش، من وانت عيل يا "وليد"، أول ما كان "هيثم" أو "علاء" يعدوا عليك، تلبس هدومك هوا وفي ٥ ثواني تكونوا في الشارع بتعملوا بلاويكم

فيقول "هيثم" مازحاً بلطف

- نعمل إيه بس يا طنط! الثانوية العامة والله شوية وتجننا، قلنا ننزل نشم هوا شوية ونغير مناظر بدل ملازم الفيزيا والديناميكا اللي زهقت الواحدج في عيشته فتسأله السيدة "بهية" لا تزال مستغربة

- طب بس هاتروحوا فين في الجو المنيل ده؟! ده الدنيا لسة ممطرة من أقل من نص ساعة

فيجيب "علاء" في الحال ويبدو من هيئته المهلهلة وشعره السريالي أنه ثرثار الشلة الأعظم

- هاناأجر عجل يا طنط

فتقول "بهية" مشدوهة

- تأجروا عجل! جرى إيه يا ولاد، ده انتوا كمان كام شهر هاتخشوا الجامعة، انت عندك كام سنة يا "علاء" يا حبيبي؟

فيقول لاهياً وهو يلحق "ستيك" الأيس كريم في يده

- جرى إيه طنط إنتي نسيتي واللأ أنا إيه! ده انتي اللي كنتي بتفكري ماما بعيد ميلادي، أنا أكبر من "وليد" بـ ١١ شهر، يعني هاتم ١٩ سنة كمان أسبوع يوم ١٠ مارس

فتقول "بهية" لا تزال ساخرة

- أيوة يا حبيبي ما أنا عارفة عيد ميلادك، وكم إن عيد ميلاد "هيثم" بالأماره يوم ١٤ يوليو، ما هو عشان كده بأسألکم، عجل إيه اللي هاتأجروه وانتوا شباب زي الورد كده، وكم إن يا سي "وليد" ما انت عندك عجلتك الـ **BMX** اللي أبوك جايبهالك من "ألمانيا" بالشيء الفلاني مركونه تحت في المنور بقالك يبجي ٥ سنين ماركبتهاش، طلعوها وكل واحد ياخدله لفه ما دام طالباکم هيافة ومعيلة كده!

فينفجر الـ ٣ شباب في الضحك وهي معهم، ويقول "علاء" في غمرة الضحك

- كل واحد ياخدله لفه! ده انتي مسخرة يا طنط والله!

فيتوقف الضحك لبرهة كل ينظر إلى الآخر مشدوهاً مما قال هذا الأخرق "علاء"، وسرعان ما ينفجرون كلهم في الضحك أخرى والسيدة "بهية" معهم أيضاً، وكأنهم

عهدوا وتعودوا من "علاء" على هذه البساطة أو السذاجة بمعنى أدق، وعدم التفكير كثيراً في كلامه قبل أن ينطق به لسانه، ثم تقول السيدة "بهية" لا تزال مازحة لطيفة

- والله ده انتوا الثلاثة اللي مسخرة، وهاتقعدوا أد إيه برة على كدة يا شباب؟ واللاهتعدوا على تجبوا شوية بمب وطوفي وبلالين من كشك عم "عيد" اللي على الناصية بعد ما تخلصوا؟

ويضحك الشباب أخرى على حس الدعابة الرائع الذي تتمتع به هذه السيدة، وكأنها فتاة شابة من دورهم، ثم يحجبها "هيثم" متلطفاً

- ماتقلقيش حضرتك يا طنط "بهية"، إحنا هانأجر ساعة واحدة بس، يعني كبيرنا برة ساعتين، ولو رجعت البيت بعد كدة أبويا حالف يمين ثلاثة إنه يخليني أقضي- بقية الثانوية العامة في بيت جدتي في "الحلمية"!

فتقول حانية وقد استعادت هيبتها وروعها كأم

- طيب خدوا بالكم على نفسكم يا حبايبي، وما تجروش جامد بالعجل بدل ما تقعوا وتغوروا نفسكم زي وانتوا عيال، والنبى ما أنا عارفة هاتكبروا إمتى!

فيقول "وليد" حانياً بدوره

- ماتقلقيش يا حبيبتي، زي ما "هيثم" قالك، هما ساعتين بالكثير بإذن الله

ثم يقبلها بقوة على خدها ويميم بنزل السلم، ليجد لمفاجأته ومفاجأتها أن "هيثم" قد قبلها سريعاً على خدها الآخر، ثم يقول بتحد مازحاً

- أعملكم إيه! ما هي طنط "بهية" اللي أخذتي على كدة، من وأنا عندي ٥ سنين وهي كل ما تشوفني تقعد تبوس فيا، لما بقيت باحبها أكثر من أمي!

فتقول السيدة "بهية" في الحال مستدركة وقورة

- هو فيه زي "سامية" في الدنيا في حنيتها وأخلاقها وطيبتها، دي أجمل وأحسن وأرق أم في الدنيا، ربنا يخليها لك ويفرحها بيك، وكمان يا واديا "هيشو" انتوا عمركم ماهاتكبروا عليا، وهافضل أبوسكم زي "وليد" كدة لحد ما تبقوا رجاله بشنابات

فيقول "وليد" مازحاً وقد غلظ صوته وتصنع الشدة

- ومين اللي هاسمحللك بكدة يا هانم! البيت ده فيه رجاله

فتقول في الحال بسرعة بديهة عبقرية

- يا شيخ اتوكس! الله يرحم لما كنت بترجعلي من رحلات المدرسة وانت في ابتدائي عاملها على روحك وأفضل أدعك فيك بالليفة ساعتين في البانيو عشان أضيع الريحه!

فينفجر "هيثم" و"علاء" بالطبع في ضحك ساخر هستيري، ويهز "وليد" رأسه مهزوماً مخذولاً وهو يضحك ساخراً من نفسه، ثم يقول مازحاً وهو يغالب ضحكه - ودي آخرة أي كائن حي يحاول يعمل راجل على أمه!

فتقول السيدة "بهية" حذرة وهي تشير لهم بيدها بخفض صوتهم - بس يا ولاد وطوا صوتكم، هاتجيبوا لنفسكم العين، الناس هايقولوا شوفوا ولاد الرايقة اللي ضحكهم مسمع لآخر دور، يللا شوفوا انتوا رايجين فين وماتتأخروش، ربنا يحميكم

فيهز الـ٣ فتية رؤوسهم طائعين في الحال وينزلون السلم مسرعين وهم يلوحون لها بأيديهم، وهي بالمثل وعلى فمها ترسم ابتسامة حانية رائعة.

يقود الـ٣ فتية الدراجات في شوارع الحي وهم يتضحكون ويلهون ويمرحون، حتى يبدأ المطر يسقط بخفة يداعب وجوههم، فيزداد مرحهم وسعادتهم ولهوهم، حتى يبدأ المطر يشتد وتشتد الغيوم في السماء، فيحل الليل قبل الليل، وتكتنف الأجواء فجأة أجواءً كثيبة مقبضة، وقبل أن يقول "وليد" لصديقيه "هيثم" و"علاء" أن تجربتهم الوحيزة للعودة لأجواء الطفولة قد فقدت متعتها ولذتها، يظهر كلب ضال من العدم ويبدأ في النباح بقوة وشراسة وراء دراجة "وليد"

خصيصاً، وكأنه يتعمده أو يتقصده، ويحاول "وليد" جاهداً تفاديه أو الأفلات منه، إلا أن هذا الكلب الضال اللعين شديد الإصرار في العواء والنباح خلف دراجة "وليد"، إلى أن يأتي المنعطف شديد الالتفاف ومع الأرض الزلقة بالوحل الناتج عن مياه الأمطار التي غدت غزيرة في تلك اللحظة، يختل توازن "وليد" فوق دراجته في المنعطف، وتنزلق الدراجة ويسقط "وليد" من فوقها بقوة على الأرض، وينادي على "هيثم" و"علاء" اللذين سبقاه ليتوقفا لعونه، إلا أن أحدهما أو كلاهما لدهشته أو بالأحرى صدمته، يتسم ابتسامة غريبة غير مفهومة، ساخراً منه أو ربما شامتاً فيه، ثم يكملان طريقهما ضاحكين عابثين برغم توالي وتعالى نداءات "وليد" لهما واستغاثته بهما، ليجد "وليد" نفسه قد غدا وحده في ذلك المنعطف الزلق، المنعطف الذي مر به ألف مرة من قبل في طريق عودته من المدرسة، لكن هذه المرة كانت ملامحه مختلفة، فقد عهده به بيوت قصيرة وورشة تغيير إطارات وتوكيل شهر للسيارات في الجهة المقابلة له، وعهده يعج بالناس ويضج بالحياة، لكن في تلك اللحظة كان خاوياً تماماً من الناس... من كل الناس، وربما استطاع أن يستجمع شجاعته في كل الاختبارات والرسائل السابقة، لكن هذه المرة خافته شجاعته، وأبت أن تعينه على التماسك والصمود، كيف لها أن تعينه وقد تبدلت كل معالم المكان الزمان، فالساعة لم تتجاوز الـ ٤ عصراً والسماء مسودة كلياً بالغيوم إلا بعض الضوء الباهت البارد يتفلت من أطرافها، و"وليد" يتلفت حوله شديد الفزع والهلع، يحاول أن يعثر على من ينجده أو ينجيه من لحظة كربه، لكن لا عون يرجى

ولا أنيس ولا صحبة، لكنه يتوقف في التفاته السريع العصبي المتوتر، إذ يجد أمامه أرضاً شاسعة، لكنه يتذكر أن محل هذه الأرض كانت عمارة، عمارة قديمة مهجورة يتهمها العامة أنها مسكونة، كما اهتموا أخوات لها من قبل، لمجرد أن أخوة اختلفوا على مقادير ميراثهم فيها، فأقاموا عليها ألف دعوة قضائية، حتى أعلنت عصيانها عليهم وعلى سوء ضمايرهم وجشعهم وطمعهم، وأقسمت ألن يسكنها أحد بعدذاك، لا صاحب حق ولا صاحب ظلم، حتى أخذ أهلوها وسكانها يهجرونها واحد تلو الآخر، وكل يحكي حكاية عما شاهده وشهده فيها، أحدهم زعم أن جن الحريق كان يحرق كل ما في الشقة، والعجيب أن آثار الحريق كانت في كل أنحاء الشقة فعلاً، ورجل عجوز وحيد أقسم إنه يسمع أصواتاً وأحاديث لأناس خفيين طوال الليل، رجالاً ونساء وأطفال، ثم تطور الأمر فأصبحوا يأنسونه ويألفونه ويتحدثون في الصباح أيضاً، لكنه برغم صنيعهم هجر الشقة هو الآخر، لكن ما جعل بقية سكان العمارة يفرون منها بلا رجعة ولا تفكير، هو حسناء الدور الثالث التي أهلكت عشيقها وزوجها في جلسة واحدة، لا تسألوني كيف، إنما أنا مبلغ وقاص لا محلل وقصاص، لكن تروي الأسطورة أنها عندما سألوها لم وكيف أقدمت على فعلتها الشنعاء العجيبة تلك، أخبرتهم أن طلاب الشهوة دائماً ما يجمعهم نفس المعين ونفس المصير، وأنها لكي تقنع زوجها بأن يغفر لها خطيئة خيانتها له، ساومته بأن يشاهدها وعشيقتها يمزق جسدها تمزيقاً بفحولته، فقد كان ذلك مبلغ إثارة الزوج، وكلما علت الآهات واتقنت التأوهات، كان يشمل من فرط

اللذة، ويتتشي بأوج الشهوة، حتى يبلل سرواله الذي يدس فيه يده يداعب ذكورته المزعومة، ومن المنطقي أن طلب تباعاً من العشيق الفحل أن يأتيه كما يأتيها، ويحرثه كما يحريها، ربما غار من أناتها وتأوهاتا وتمناها لنفسه، فهذا حري بأمثاله ونتيجة منطقية كما ذكرت، ولم يجد العاشق غضاضة في أن يدفع الضريبة السهلة، فقد كان شاباً ديموقراطياً مرناً كما حكوا عنه، وتطور الأمر حتى صار الزوج يتنازعها فيه، ويريد أن يستخلصه لنفسه كلياً، وهنا فاض بها الكيل، ليس غيرة على العشيق ولا حباً فيه، بل اشمئزاً وتقززاً ونفوراً من حزب الشيطان... حزبه، فأعدت لهم العشاء المسموم بدماء حيضها، لا تسألوني كيف! هكذا تقول الأسطورة وما أنا إلا راويها، فماتوا كلهم مسمومين بدمها النجس، كما عاشوا كلهم محرومين بضميرهم الدنس، لكن بعد كل هذا وذاك لم يجد "وليد" العمارة المذمومة، ووجد مكانها أرضاً خراباً مشؤومة، لكنه وقف يتأملها لوهلة، ووجد أنه غير خائف منها، وكأنه يألّفها أو تذكره بذكرى ما طيبة، أو وكأنها أشبه بأرض "التغريبة" التي كان يلعب فيه وأصدقائه وهم أطفال، وسميت "التغريبة" لأنها كانت سجنًا حربيًا في يوم من الأيام، وكانوا يرسلون إليها الجنود المساجين الأشقياء المشاغبين، ويقال أن ذلك كان في أواخر القرن الـ ١٩، وبقية الحرب العالمية الأولى انتهى استغلاله كسجن وأصبح يستخدم كمعسكرات إقامة للجنود الإنجليز المحتلين، وظل على ذلك الحال معسكرًا زهاء الـ ٣٠ عام، حتى نهاية الحرب العالمية الثانية تقريباً، حتى رحل عنه الإنجليز وبقي السجن أو المعسكر أو أيما كان مهجوراً بضعة أعوام، حتى هدم

مع قيام ثورة يوليو ١٩٥٢، والعجيبة أن بقيت أطلال هدمه في مكانها قرابة ٤٠ عام أخرى، فكان "وليد" وأصدقاؤه يلعبون في أرض "التغريبة" تلك حتى منتصف الثمانينيات تقريباً، وكان يجلسون على المقاعد الرخامية الباقية في مكانها منذ قرابة القرن، والتي أقاموها يوماً ليجلس عليها السجناء ينالون قسطاً من الشمس في برد الشتاء، وحتى أنه كان هناك بقايا لعنابر المساجين سابقا والمحتلين لاحقاً، وكان "وليد" وأصدقاؤه يلعبون فيها ألعاب الاختفاء الشهيرة، وكانوا يختبئون بها، والغريب في الأمر أن هذه المكان على وحشته وأجواؤه المخيفة، لم يخف "وليد" يوماً، بل كان يجلس أحياناً على المقاعد الرخامية في أرض "الغريبة" يقرأ بالساعات، أو حتى يتبادل وأصدقاؤه الأقاصيص والحكايات، لحد أن حلت على المكان في أواخر التسعينيات لعنة المقاولين، فألقوا على المكان تعاويذهم من عروق خشب البناء والطوب الأحمر وشكائر الأسمت والجبس الأبيض، بعد أن باع لهم الجيش هذه الأرض الواسعة الشاسعة بالقطعة في مزاد علني، وحلت محل الأطلال العامرة العماثر الخربة، وفقد المكان روعته وجماله وهويته، على أية حال! وجد "وليد" أرض التغريبة تلك أمامه في تلك اللحظة، لكنه لم يعهدا يوماً في هذا المكان، بل كانت تقع غرب منزله، والمنعطف الذي سقط بدراجته فيه كان شرقه، إذن ما الذي أتى هناك هنا؟! وما الذي أعاد أرض التغريبة إلى حالها القديم، وبأطلالها ومقاعد الرخامية الفنية الجميلة؟ ربما هو حلم، أو ربما بالطبع رسالة أخرى، ولم يضع "وليد" الكثير من الوقت في التساؤل والحيرة والقلق، وبدأ يخطو

متمهلاً في تلك الأرض يستكشفها، على بقايا ضوء النهار الذي صار شحيحاً للغاية في تلك الساعة، ولم تك سوى بضع خطوات حتى تراءى له من بعد شخصاً، شخص يبدو جالساً على إحدى تلك المقاعد الرخامية التي لطالما أحبها "وليد" طفلاً صغيراً، لكن هذا الشخص متفوق متقازم في نفسه بما يجعله ضئيل الحجم نسبياً بالنسبة للشخص العادي، وإذ يقترب "وليد" يتبين له شيئاً فشيئاً الوشاح الأسود الصوفي الذي يتشح به هذا الشخص، وذكره هذا الوشاح بالوشاح الأسود الشهير الذي كانت الحاجة "أنسية" رحمها الله جدته لأبيه لا تخلعه شتاءً صيفاً، إذن لابد وأن من تضع هذا الوشاح امرأة، وعلى الأرجح امرأة عجوز، وبالطبع لن يتساءل "وليد" ما الذي أتى بها هنا في هذا الزمان وذلك المكان، وأقول "ذلك" لأنه لم يعد موجوداً أصلاً، فقد صارت العجائب هي واقعه، والخوارق اللامعقولة هي حقيقته الوحيدة، لذا استأنف "وليد" السير وأقدم واقترب، حتى صار لا يفصله عنها سوى بضعة أمتار، وهي كما توقع، امرأة عجوز تشح بهذا الوشاح الأسود، وبالطبع أدرك "وليد" في الحال أنها لا امرأة ولا عجوز ولا حتى المقعد الرخامي الذي تجلس عليه هذا موجود في الأساس، وأن كل هذا ربما من تلعب الشيطان برأسه، فاقترب منها بجرأة وتجرو ولا مبالاة حتى وسألها قوياً يائساً كمن ليس لديه ما يخسره

- إنتي مين... وعازوة إيه مني؟ وجيتيلي ليه؟

كل هذا والعجوز مطرقة رأسها للأرض لا يرى وجهها، وما أن سمعت سؤاله، ضحكت ضحكة تنخلع لها القلوب، وكأنها تعتمد إفزاعه وإلقاء الرعب في قلبه، وكادت تفلح، فاهتز قليلاً ونال الخوف من نفسه بعض الشيء، لولا اليأس في نفسه الذي جعله يستعيد شجاعته سريعاً، ويكرر السؤال بلهجة أكثر قوة وبأساً وتحفزاً

- باقولك إنتي مين وعاززة مني إيه؟ إوعي تفتكري إنك هاتقدري تخوفيني! أنا من كتر اللي شفته ماباقاش عندي حاجة أخسرها، قل لنا يصيبنا إلا ما كتب الله لنا وهنا توقفت العجوز عن الضحك، ربما لشجاعته المستحدثة، ربما للآية القرآنية التي شملها كلامه، لكنها توقفت على أية حال، وقامت من مجلسها وكشفت الوشاح عن وجهها، لتتجلى أمامه في أبهى صورها وجمالها الأخاذ، فيهز رأسه وقد صدق حدسه

- والله كنت متأكد من أول ثانية إنه انتي، عاززة إيه مني يا "سوار"؟ فتضحك "سوار" بحسنها الشيطاني المعهود، والذي أسر قلوب مئات الرجال من قبل، ثم تقول رقيقة ساحرة

- ما انت عارف يا "وليد" أنا عاززة إيه، عاوزاك انت طبعاً
فيسألها "وليد" مستغرباً

- عاوزاني أنا إزاي يعني؟! المفروض إنك ميتة، ما هو مستحيل تكوني لسة عايشة. إزاي حد ميت ممكن يحب أو يعوز حتى حد حي؟!!

فتضحك فاتنة وتحجب واثقة

- انتوا بتسموها ميتة وميت وأموات، الجسد بس هو اللي ييموت، لكن الروح عمرها مابتموت، الروح حياة وقوة وطاقة، والطاقة عمرها ما بتفنى ولا بتزول، واللا دي ماتعلمتوهاش في المدارس؟!!

فيسألها حذراً وقد أثر فيه وجاهة الكلام وغموضه

- يعني إنتي روح واللا جسد؟

فتقول لا تزال واثقة قوية

- الروح أقوى وأرحب من الجسد ألف مرة، لولا الروح ما كان الجسد، الروح عايشة في الأزل قبل خلق الكون نفسه من ملايين السنين، ورداً على سؤالك لو انت كإنسان حي عبارة عن جسد تسكنه روح، اعتبرني أنا روح يسكنها جسد

ويحك "وليد" رأسه لا يزال متحيراً، ربما يروقه غموض الكلام، فلطالما راقه كل ما هو غامض وغريب وغير مألوف، ثم يسألها نافذ الصبر وقد عيا فكره عن الفهم

- يعني إنتي حية واللا ميتة يا ستي؟!!

فتجيبه خائبة الأمل

- كنت فاكراك أذكى وخيالك أوسع من كدة يا "وليد"، اعتبرني ميتة يا سيدي!

ولا تشفي إجابتها صدره ولا حيرة عقله، فيسألها فضولياً

- متي إمتي وإزاي وفين؟

فيتغير لحن وجهها من الثقة والحسن، إلى الاستياء والارتباك، ثم تحببه بلهجة وملامح منزعة

- جسمي مات سنة ١٩٢٤، ومش مهم إزاي وفين!

ثم تعود وتغير لحن كلامها سريعاً ببراعة للنغمة المغوية الفتانة

- المهم دلوقتي إن روحي هي اللي واقفة قدامك وهي اللي بتكلمك، زي أي ست ما بتكلم أي راجل عاجبها ومالي عينيها ومحسستها بأنوثتها، من وانت عيل صغير بتلعب على الشط في "بورسعيد" وأنا حاطة عيني عليك، ومتأكدة إنك لما تكبر هاتبقى شاب ولا كل الشباب، راجل سابق سنك بسنين، حقها "رانيا" المسكينة تحبك وتدوب في هواك، بس مين! أنا حازة الأول، واللي هايفكر ياخذك مني، يا ويله وويل سنيته!

فيضحك "وليد" وقد أَرْضَتْ غرور نفسه الواهي البائس، ثم يقول متفاخراً ساذجاً

- من وأنا عيل بالعب على الشط في "بورسعيد"! للدرجة دي!

فتضع يدها على صدرها وقد علمت أنها أصابت شيئاً في نفسه واستدرجت غروره
ورجولته

- وأكثر يا "وليد"... وأكثر، انت عارف إني ماليش في الحب، وعمري ما عرفت
أحب راجل واحد في حياتي، ولا حتى في تيهي، بس انت يا "وليد" غير أي راجل
شفته أو عرفته في حياتي، انت راجل بجد، كل ما فيك راجل، جسمك وكسمك
وكلامك وأحلامك، حتى...

وتطلق ضحكة خليعة شديدة الجاذبية تصيب أوتار رجولته وشهوته أخرى، لكنه
يستدرك في استغراقه في إغوائها وانجذابه، إذ استوقفته كلمة معينة في حديثها،
كلمة غريبة لم يسمعها دارجة في الأحاديث اليومية للبشر، لذا يسألها مستغرباً
- ولا حتى في تيهي! إيه تيهي دي؟ انتي تايهة واللا إيه؟

ثم يضحك ضحكة ساخرة متوترة وكأنه يتعمد استفزازها ليرى كيف ستفعل،
لكنها تجيب واثقة

- عالم التيه ما يختلش كثير عن عالم الأحياء يا "وليد"، كلنا بنهيم فيه، الصالح
والطالح، التقي والفاجر، المؤمن والكافر، كله بيهيم، وما حدش فينا عارف وجهة
التاني، اللي كان عمله ووجهته خير في الدنيا، بيفضل عمله ووجهته خير في عالم
التيه، واللي كانت وجهته شر وغواية، بيفضل ملعون بشره وموصوم بغوايته
فيقول "وليد" في الحال كمن وجد ضالته

- أديكي قولتيها بلسانك أهوه، اللي كانت وجهته وهدفه الغواية في الدنيا، بتفضل وجهته الغواية حتى بعد موته، أو في عالم التيه زي ما انتي بتسميه، وانتي يا "سوار" عارفة كويس أوي إنتي وجهتك كانت إيه في حياتك، عاوزة مني إيه بقى؟ عاوزة تغويني أنا كمان؟!

فتطلق ضحكة رقيقة صاحبة، ثم تقول واثقة

- وليه بتسميها غواية يا حبيبي! الموضوع ببساطة إن أنا عاوزة أدوقك وانت تدوقني، ولو دوقتني، مش هاتعرف تدوق ست بعدي

وبالفعل يشمل "وليد" بخمر كلامها ثم يسألها بعقل نصف واع، ونصف وعيه الآخر يتفقد مفاتها

- أدوقك وتدوقيني إزاي يعني؟

فتضحك ضحكة صاحبة بديعة أخرى، ثم تقول هامسة في أذنه يكاد وجهها يلتصق بوجهه

- يعني تغرق في كل حثة فيا يا "وليد"، يعني تلمسني وألمسك، تلمس كل حثة فيا، كل مللي في جسمي، يعني تلمس على شعري وتبوس رقبتني، وتدفن راسك في صدري، يعني تقتحميني، يعني أحسك جوايا، وتحس بكل حاجة فيا، بصدري على صدرك، بنفسني في نفسك، بجسمي وهو بيعرق بين إيديك زي الطفل لما أمه

بتحضنه وتدفيه، يعني أتهز بين إيديك ونفسك يرتعش في نفسي-، وتاخدني في حضنك وإحنا عرايا، ونقعد نتكلم بعدها بالساعات، عرفت يعني إيه تدوقتي وأدوقك يا "وليد"!

ولا يمكن لرجل سليم عاقل أو حتى عليل سفيه مجنون أن يتعرض لكل هذا الضغط الأنثوي الجبار بدون أن تثور أو بالأحرى تفور عليه رجولته ولو لحظياً، وتعلن عصيانها على كظمه إياها وتعففه المزعوم، خاصة عندما أمسكت "سوار" بيده ووضعتها برفق على صدرها الثري الغض البض، وأخذت توجهها بيدها بحركة دائرية بطيئة، ليداعبه برقة ويعتصره برفق كمن يحمم طفله لأول مرة بحرص وعناية، فيحس وكأن نشوة الأرض تسري في جسده فتذهب قلقه وتهديء روعه، وعندما سحبت يده الأخرى بخفة شيطانية ووضعت على منفرجها، ليشعر وكأن كل ذرة في جسده ترقص وتحتفل في مهرجان النشوة، أو وكأنه ملك الدنيا في راحة يده، ليداعبه ويدلكه بأطراف أصابعه برقة ورفق، وإذ بدأت تأن في أذنه بعذوبة وأنوثة فاحشة ووجنتها ملاصقة لوجنته، وإذ بدأ يشعر بسخونة وجهها وتعرقه العطري في مقابل وجهه، حتى أنفاسها، كانت منعشة عذبة برائحة النعناع في شاي الصباح، حينها شعر "وليد" ألا مهرّب ولا منجى له من هذا النعيم إلا إليه، حتى ولو كان مؤقتاً زائلاً كاذباً، وحينها أيقن أن السقوط في الغواية أقرب إليه ألف مرة من حبل التقوى الكاذبة التي يحيط نفسه بها، خاصة إذ تتعالى أناتها بتسارع زيارة يديه لكل أنحاء جسدها، يدها التي توجهها هي بيديها كربان مخضرم

خاض البحر مئات المرات يوجه ملاحه ببراعة، وإذ يختلط ريقها بريقه في قبلات حارة طويلة متصلة، وما هو إلا كعبد خانع خاضع مطيع لكل رغباتها... شهواتها... وشهواته، حتى تبدأ النشوة تتسلل تدريجياً إلى ذكره، وإذ يكاد يفقد آخر حصونه وينسكب ماؤه، وإذ تتعالى وتتسارع أنفاسها وأنفاسه، أناتها وأناته، حتى يستفيق فجأة ويفتح عيناه عن آخرهما وكأنه أدرك واستدرك، وينظر لها مشدوهاً مصدوماً مستغرباً كيف وصل به الحال إلى ذلك المشهد الشيطاني الشهواني غير المسبوق في حياته، ثم يدفعها عنه بقوة كمن يدفع كلباً ضالاً يحاول التمسح فيه وهو يقول بتكرار هستيري

- أعوذ بالله من الشيطان الرجيم! أكيد ده حلم، أكيد أنا باحلم، أنا مستحيل أعمل كدة... مستحيل!

وإذ تتجاهل هي نفورها منه وزجره ودفعه إياها بعيداً عنه، وتحاول بإصرار شيطاني الاقتراب منه أخرى وكأن لم يقع منه شيء، حتى يصفعها "وليد" على وجهها بكل ما أوتي من قوة في رد فعلي هستيري مدعور، ليجد لمفاجأته وصدمته، أنها قد تحولت للهيئة المربعة البشعة التي رآها عليها لأول مرة على شاطئ البحر في "بورسعيد" في تلك الليلة المظلمة الباردة العاصفة، بشعرها الأشعث وجلدها الأحمر الداكن، وعينيها الصفراوين وشفثيها الزرقاوين، وليجدها تقبل عليه إقبالاً هجومياً

عدوانياً وكأنها على وشك أن تفتك به، وتقول بصوت حاد خبيث يلقي الرعب في القلوب وأولها قلبه

- مستحيل هاتهرب مني يا "وليد" ولو رحت لآخر الأرض، انت بقيت ملكي زي ألف راجل ملكته من قبلك، مهما قاومت هاهزمك في النهاية، مهما اتجاهلتنني واتجنبتنني هاعرف ألاقي طريقي إليك كل مرة، كلهم حاولوا يقاوموني قبلك وفشلوا، يحاربوني قبلك واتهمزموا، وأكد انت هاتفشل وتتهزم زيهم، وإيه اللي يفرقك عنهم يعني؟! انت ضعيف وتدعي القوة، شهواني وتدعي العفاف والتقوى، وأنا الوحيدة اللي عارفة حقيقتك... حقيقتكم كلكم، أنا الوحيدة اللي باعرف أستدرجكم في أشد لحظات ضعفكم وحتى في قوتكم، أنا اللي ملكت قلوب وشهوات أقوى الأقوياء وأتقى الأتقياء من آلاف السنين، عشان كدة مش هاسيبك إلا وانت ملكي وعبد خاضع ذليل ليا ولأمرني عليك، وكل ما أأمرك هاتلبي وتجيني، مش هاسيبك أبداً يا "وليد"، سامع... مش هاسيبك!

وتقول هذه الكلمة الأخيرة وهي تصرخ بأعلى ما في صوتها البشع الحاد، وهي تهم بالانقضاض على "وليد" أخرى، وفجأة! يفتح عينيه على ظلمة شديدة، لا يعرف أين هو أو ماذا حل به، هل هو نائم لا يزال غارقاً في كابوسه المزعج المخيف، أم هو يعيش واقعاً أفزع وأرعب من ذلك الكابوس ضعف مرة، يجد "وليد" نفسه ثملاً مترنحاً بفرع ما رآه، ويجد أنفاسه ثقيلة بطيئة، من صدر ضيق حرج منقبض

بالخوف والفرع، وإذ هو غارق في خوفه وجزعه يجد باب غرفته يفتح بسرعة وتفتح أمه الغرفة، وتضيء نور الغرفة وتسأله جزعة قلقة مثله

- فيه إيه يا "وليد"؟ مالك يا حبيبي؟

فيسألها "وليد" مرتبكاً مشوشاً

- هو انتي... انتي سمعتيني؟ هو أنا صرخت... إنتي عرفتني منين إني في كابوس؟

فتقول مشفقة وهي تمسح عرقه البارد بيديها الدافئتين الحانيتين

- أنا كنت قايمة أتوضي عشان صلاة الفجر سمعتك بتزعق زعقة خفيفة كدة

وكأنك شفت حاجة خضتك، جريت على الأوضة أتطمئن عليك، مالك يا حبيبي؟

شفت كابوس ثاني من إياهم؟

- ده مش كابوس! ده واقع أسود وأسوأ من الكوابيس ألف مرة

فتقول وقد استبد بها القلق والإشفاق على حاله

- يا ساتر يا رب! قلقتني يا "وليد"، شفت إيه يا حبيبي؟

فيصمت غارقاً في صدمته وذهوله ووجهه لا يزال، ثم يجيبها شاردًا يائساً

- مش مهم اللي شفته، المهم إني لازم أروحلها وأواجهها وأدمرها... قبل ما هي

اللي تدمرني.

العودة للمجهول

تدخل السيدة "بهية" عليه وهو يضع ملابسه في حقيبته شاردًا مهمومًا، فيلتفت
ببطء ويسألها

- كلمتي طنط "خديجة"؟

فتجيبه مهمومة مثله

- لسة قافلة معاها

- وقالتلك إيه؟

- فكرك هاتقولي إيه يعني لما أقولها "وليد" أعصابه تعبانة شوية اليومين دول وعاوز
بيجي يقضي يومين عندك يغير جو، أكيد واقفت ورحبت جداً وقعدت تتحایل عليا
أروح معاك

فيهز رأسه في غير اهتمام ويكمل تحضير حقيبته، ويسود صت ثقيل كئيب لثوان،
تقاطععه أمه لتسأله حذرة بلهجة مستعطفة



- لو بس تريح قلب أمك يا "وليد" وتقولي مين هي الي انت رايجلها "بورسعيد" مخصوص دي، وإزاي هاتدمرك، طمني عليك يا ابني أبوس إيديك لاحسن أنا من إمبراح وربنا الي عالم بحالي

فيلتفت إليها وينظر لها مشفقاً، ثم يحكم حزم حقيبتة وينزلها على الأرض، ويجلس على الفراش ويشير لأمه بيده لتجلس بجواره على الفراش وهو يرت برفق عليه ويقول حانياً عطوفاً

- تعالي يا "بطاطا" اقعدي جنبني على السرير زي ما كنتي بتقعدي جنبني زمان وانتي بتعمليني الحروف بالرسومات، كنت ترسميلي تفاحة عشان أتعلم حرف "A" وبرتقانة عشان أتعلم حرف "O"، تعرفي إن أنا لسة محتفظ بالرسومات دي لحد دلوقتي

فتجلس أمه بجواره وتنظر في وجهه نظرة الأم التي لا وصف لها عندي بالكلمات، وكما هو متوقع يحمر أنفها مؤذناً ببكاء مكظوم، وتباعاً عنها تحمران وتنديان، وفي أقل من ٥ ثوان تنفجر بالبكاء، بكاء الخائفين المحزونين، وتدرك ما أن ترى هذا البكاء لم قرن الله الحزن بالخوف في كثير من المواضع في كتابه الكريم، فهما قرينان لا يفترقان، ولن تعرف يوماً من منهما النتيجة ومن السبب، وما أن يراها "وليد" على هذه الحال الممزق المهموم الممزق للقلوب، يحتضنها بقوة ويربت على ظهرها مطمئناً ثم يصارحها بما تآقت شهور لساعه

- أنا بقالي شهور يا ماما باشوف حاجات غريبة، وناس أغرب، ومش في أحلام ولا حتى كوابيس، باشوفهم في الواقع، في الحياة، باشوفهم رأي العين زي ما أنا شايفك كدة، وقبل ما تتخضي وتحافي وتقولي الواد اتجنن أو الواد أعصابه تعبانه من الثانوية العامة، افتكري إن أنا طول عمري باعرف أوفق كويس جداً بين ضغط المذاكرة والتمرين، وعمري ما كليت ولا اشتكيت، بالعكس، ده مكانش فيه أحب على قلبي في الدنيا من الجري بين المذاكرة والتمرين، لحد ما الحاجات دي بدأت تظهر لي، تظهرلي في كل حته أروحها، في "بورسعيد"، في الطريق للبيت وأنا راجع من المدرسة أو الدروس، حتى هنا في البيت

فتقول أمه مشدوهة منزعة

- هنا!

فيقول "وليد" مطمئنها

- مش هنا في البيت بالضبط، في القصر الي قدامنا ده علطول، فاكدة لما دخلتي عليا ولقيتيني ماسك البطانية وواقف بيها عند الشباك، ولما سألتيني بتعمل بيها إيه قلتلك عاوز أنشرها عشان تنهوى شوية؟

فتهز رأسها بالإيجاب بقوة وكأن هذا الموقف بالذات من أكثر المواقف التي أزعجتها وأقلقتها على حال ابنها، فيمضي "وليد"

- أهو اليوم ده شفت واحدة ست لابسة قميص نوم غرقان مية ومتوسخ، وكانت بتستنجد بيا مش فاكر عشان إيه ولا فاكر قالتلي إيه من كتر الخوف والفرع، ومش هي بس الي استنجدت بيا، ده فيه كتير غيرها، وكلهم يا إما بيستنجدوا بيا، يا إما بيحذروني منها

فتسأله قلقة

- بيحذروك من مين يا "وليد"؟

فيجيب "وليد" على مضض

- بيحذروني من واحدة اسمها "سوار" يا ماما، وهي دي الي كل شوية أشوف مواقف وأحداث متعلقة بيه، والعجيب إن مش كل الأحداث مرعب ولا حتى مخيف، بالعكس، ده كأن ربنا عاوز يوريني حقيقة الست دي ويعرفني تاريخها

- طب و"سوار" دي يا ابني إنسية واللا جنية واللا إيه بالضبط؟

فيهز رأسه متحيراً فاقد الحيلة

- مش عارف يا ماما، شفتها بيجي ١٠٠ مرة وأنا مش قادر أعرف دي إنسية ولا جنية ولا روح واللا حتى شيطان، بس الي قدرت أعرفه عنها إنها واحدة ست شابة في أواخر العشرينات أوائل الثلاثينات من عمرها، كانت عايشة في "بورسعيد" ما بين أواخر القرن الـ ١٩ لحد منتصف عشرينيات القرن الـ ٢٠ تقريباً،

وأخر مرة ظهرت لي قالت لي إنها ماتت سنة ١٩٢٤ بالتحديد، يعني ماتت في عز شبابها، كانت جميلة جمال الدنيا يا ماما، نسخة من "مارلين مونرو" تقريباً، أو أحلى كمان، وكانت بتخون جوزها "سراج" مع راجل فرنسي- مديره في العمل في هيئة قناة السويس واسمه مسيو "فيليب"، عشان جوزها اتجوز عليها "زينب" أرملته زميله "فؤاد" أفندي

فتسأله أمه فضولية وقد ذهب عنها بعض قلقها

- طب ودي كنت بتشوفها وانت نايم واللا انت صاحي، وكنت بتشوفها فين يا "وليد"؟

فيجيبيها متحمساً إذ بدأت تظهر على وجهها بوادر تصديقه بعض الشيء

- باشوفها في كل حته يا ماما، شفتها في كل الأماكن اللي باروحها، شفتها على الشط في المصيف في "بور سعيد"، وشفتها في نادي الفيديو عند عمو "طارق"، وشفتها في فيلا الحاج "حافظ" اللي يرحمه، وعمرى ما شفتها وأنا نايم، إلا الليلة اللي فاتت دي

فتصمت أمه قليلاً تتفكر في الكلام، ويبدأ أنه تصدق بعضه على رغمها، ثم تسأله متشككة مرتابة

- طب مش ممكن يكون كل اللي انت شفته ده أحلام يقظة، وآخرها الكابوس اللي انت شفته إمبارح بالليل؟ أنا قرأت يا حبيبي في كذا مقال إن الضغط العصبي

بيخليك يشوف حاجات مش موجودة وتهيئات، حتى لو انت حاسس إنك كويس ومش مضغوط ولا متوتر ولا حاجة، يبقى الكبت والضغط النفسي ده محبوس في العقل الباطن وبيترجم في صورة التهيئات وأحلام اليقظة والمشاهد الغريبة دي، وأديك بنفسك قلت إنك مابدأتش تشوف الأحداث والمواقف الغريبة دي إلا مؤخراً، يعني بعد بداية الثانوية العامة

فيرد في الحال يزود عن سلامة عقله

- يا ماما والله العظيم أنا أكثر واحد اتهمت نفسي باللي انتي بتقوليه ده، إني مضغوط نفسياً وعصبياً بسبب الثانوية العامة والتمرين، وإني باشوف تهيئات، لكن كل مرة كنت ألاقى موقف جديد طلعي من تحت الأرض وفي أغرب الأماكن، وألاقي أحداثه تتعرض قدامي زي شريط السينما، وفي أحيان كثيرة كنت بالاقى نفسي- عايش الموقف ده كأني جزء منه، لحد ما أيقنت إنه اللي شفته ولسته باشوفه ده مستحيل... مستحيل يكون أحلام يقظة

فتصمت أمه أخرى تتفكر في مصداقية مع سمعته، وبرغم أنه في كل الأعراف وبكل معايير العقل والمنطق غير معقول ولا مقبول، لكن قلب الأم يأبى إلا أن يصدق كلام ولدها ومزاعمه، فكل ما فيه "وليد" صادق حاسم وهو يقوله، ملاحه وصوته ولحن قوله وحتى صمته، ولا يمكن مهما كان بارعاً في اختلاق وتأليف الأحداث، أن يأتي أو يفترى بمثل هذا، لذا تسأله مستسلمة مسلمة بما قال تقريباً

- طب واشمعي قررت دلوقتي بالذات تروح تواجه الي اسمها "سوار" دي في "بورسعيد"؟

فيجيبها بطلا إطالة تفكير ولا تفلسف ولا ادعاء

- عشان أواجه خوفي، خوفي الي طول عمري بواجه وعمري ما هربت منه، خوفي الي بقى مؤخراً مكتفني وعاملي اكتئاب وشالل عقلي، خوفي الي مابقاش مخليني عارف أركز في مذاكرة ولا تمرين ولا أي حاجة كنت باحبها، والي بقى مخليني لا حاسس بطعم أكل ولا نوم ولا أي حاجة حلوة، الخوف الي لو سبته مسيطر عليا وعلى حياتي وعلى تفكيري هايدمر أي طموح أو أمل أو نجاح نفسي أحققه في يوم من الأيام، وأكيد هايدمر كل الي موتت نفسي عشان أبنيه

فتسأله أمه مشفقة مستعطفة

- طب وانت ماينفعش تواجه خوفك ده إلا في "بورسعيد" يا "وليد"، ماينفعش تواجهه هنا وإحنا كلنا حواليك وبنساعدك؟

فيرد جازماً حازماً

- إلا الخوف يا ماما، لو ماعرفتش أواجه خوفي لو حدي، ولو اعتمدت على الآخرين حتى لو كانوا أهلي عشان ينقذوني منه، هافضل طول عمري أعتمد عليهم وأجري استخبي وأتحمي فيهم كل ما أواجه أي مشكلة، وعلى أده ما يبدو الإقتراح ده مغري وسهل وقريب، لكن ده شيء أنا مستحيل أقبله، عمري ما هاقبل يا ماما

إني أعيش جبان أتحمى في أمي وأبوي كل ما أقابل أي مشكلة أو عقبة أو أي حاجة أخاف منها، لو قبلت إني أعيش كدة عمري ما كنت فزت بولا بطولة كاراتيه من اللي فزت بيهم، أنا بابقى واقف قدام خصمي ميت من الخوف منه، لكن بفضل ربنا وقدرته باقدر أحول الخوف الرهيب اللي جوايا ده لطاقة جبارة أهزم بيها أي حد أو أي حاجة تقف قصادي، هو ده اللي عملته ييجي ١٠٠ مرة قبل كدة، وهو ده اللي هاعلمه دلوقتي يا ماما

فتصمت أمه مستسلمة مجدداً، ثم تقول لمفاجأته

- طب ما "رانيا" هاتساعدك في مواجهة خوفك ده وانت في "بورسعيد"، إشمعنى هي تساعدك يعني وإحنا لأ؟!

فيرد في الحال قاطعاً وكأنه كان يتوقع هذه الجملة في مرحلة ما بالحديث

- بالمره! أنا مش هاسمح لـ "رانيا" إنها تساعدني أو تتدخل بأي حاجة أو أي شكل في الموضوع ده يا ماما، أكثر حاجة ممكن أطلبها منها إنها تجمع لي معلومات عن الموضوع ده زي ما عملت قبل كدة، لأنها شاطرة في موضوع البحث ده بصراحة، ولأنها أول واحد قالتلي على موضوع "سوار" ده، هي والصول "شحات" اللي قابلته في المصيف صدفة وسألته عن موضوع "سوار" ده، وقال في ما قال "مالك" في الخمر، وحكالي تاريخ طويل عريض عنه، وهو ده اللي مخليني متأكد إني لا مجنون ولا باشوف تهيؤات ولا أي حاجة من الكلام ده

فتصمت أمه أخرى، ثم تسأله قلقة منزعة مجدداً

- طب ومذاكرتك ودروسك وتدريبك يا "وليد"، هاتسيهم كدة ببساطة وتمشي؟

فيجيها "وليد" حاسماً مجدداً وكأنه كان يتوقع هذا السؤال أيضاً

- والله العظيم ثلاثة أنا عامل حسابي لكل الحاجات دي يا ماما، أولاً باقي على الامتحانات أكثر من ٣ شهور، وأنا تقريباً خلصت المناهج وهابدأ مراجعة، يعني سابق المدرسين والمدارس ييجي بشهرين، وعنددي وقت أراجع المنهج مرتين ثلاثة قبل الامتحانات، ثانياً مين قالك إني مش هاذاكر هناك! ده أنا لما نفسيتي تستريح وأرجع لسابق عهدي ولحياتي الطبيعية هاقطع الكتب تقطع من المذاكرة، وكمان أنا ماباخذش دروس إلا في العربي والفرنساوي، ولو اتزنقت في أي حاجة فيهم، هابقي أروح الدرس مع "رانيا" أو "محمد" يا ستي، هاه! اطمعتي كدة؟

- طب والتمرين؟

- الكابتن "غريب" بعد البطولة الأخيرة هو اللي قالي بنفسه إنه مش عاوز يشوف وشي في النادي قبل ما أخلص الامتحانات، وقالي إن أحافظ على تمارين السويدي والفيتنس والإطالات عشان أحافظ على لياقتي، ولو مش مصدقاني كلميه واسأليه

فتهز السيدة "هبة" رأسها وقد أجهز عليها "وليد" بمنطقه وحجته، إلى أن قال

- مش ناقص إلا حاجة واحدة بس

فتسأله ملهوفة فؤادها هواء

- إيه هي يا حبيبي؟

فيقول حانياً بارأها مشفقاً لحالها

- إنك تدعيلي يا ماما، دي الضمانة الوحيدة الحقيقية إن ربنا يوفقني وينصرني في رحلتي... رحلتي الأخيرة بإذن الله

فترفع أمه رأسها بدعاء هستيري محموم طويل متداخل الكلمات، محله شغاف القلب، و"وليد" غارق في تفكيره الشارد ماذا ستكسب نفسه في غده المجهول.

سمعت صوت جرس الباب فنزلت تهرع من سلم الفيلا تكاد تكب على وجهها، لتجد أمها واقفة على سفح السلم وكأنها كانت تتوقع ما سيحدث بل وتنتظره، ووجدتها تحدجها بنظرات حادة تحذيرية شرسة، وكأنها تخبرها ضمناً أنها ستفتك بها إذا فقدت السيطرة على أفعالها ومشاعرها حال رؤيته بعد غياب، وأقول إذا كأداة شرط لأن هذا الأمر وارد الحدوث كلياً، وتهرع "سماح" مديرة المنزل لفتح الباب فتقول لها بلهجة حادة متحفزة تكاد ترمي بشرر كالقصر

- استني يا "سماح"! ما فتحتيش الباب دلوقتي

فتقول "سماح" محتارة الجملة الاعتراضية الشهيرة في أفلام الخمسينيات

- بس يا ستي...

فتقاطعها وقد اشتدت حدة لهجتها

- اسمعي الكلام باقولك!

فتزعن "سماح" في الحال وتطرق رأسها مستسلمة، أما العاشقة الولهانة فتتظر إلى أمها وجلة مما ستقول، أو بمعنى أدق مما ستهدد به وتتوعد، وبالفعل تقول الأم بلهجة متحفزة تحذيرية شديدة الجدية لا تحتمل أي نوع من الهزل، وبعينين محدقتين بالشر وجبين مقتضب منعقد أعلاهما، وبصوت خافت بالطبع كي تحافظ على "البريستيج" أمام الخدم

- والله العظيم يا "رانيا" لو عملتي أي هبل أو حركات مراهقين ماهخليكي تشوفيه ولا تقعي معاه ولا ثانية في الكام يوم اللي هايقعدهم، اظبطي نفسك وإلا والله ورحمة أمي ما عندي أي مانع أهزقك وأخرجك قدامه، وانتي عارفاني كويس لما باقلع لبس الهوانم بابقى عاملة إزاي، فاهماني واللا أقول تاني؟!

فتهز "رانيا" رأسها بالإيجاب مطيعة مزعنة مسلمة على نحو مفاجيء لأمها، بما يجعل السيدة "خديجة" تتعجب بملاحظتها من تلك ردة فعل، هكذا تطيع "رانيا" الأمر وتمثل للتحذير بسهولة وسلاسة، بلا جدال ولا نقار ولا شجار، وهم أقرب إلى نفسها من حبلى الوريد وأحب إليها من شاي الصباح الذي تدمنه، فهي تجادل في أي شيء وفي كل شيء، حتى وإن كانت مقتنعة به، لكنها تجادل إحياء لعلوم

الجدل وتطبيقاً مخلصاً لأصوله، هكذا تسمع أمراً ونهياً معاً تجادل فيها لساعات وربما حتى المات، أمر ونهي يتعلقان بكلامها وأفعالها وتصرفاتها وحتى كلامها، وهي التي لا تقبل من أي شخص كان أن يملئ عليها أي شيء، تقبل وتزعن وتمتثل في الحال بلا كلمة واحدة ولا حتى تأفف اعتراض ولا ينهرهما، بما يجعل السيدة "خديجة" بالطبع تشكك في نوايا "رانيا"، وأنها ما هي إلا تجاربيها وتسمعها ما ترضيها، حين تطمئن الأم وتتخلى عن حذرهما وتنهي المراقبة اللصيقة، لتفعل ما يحلو لها من نظرات هائمة وكلمات حاملة وتنهدات ولهانة، لذا تكرر الأم التحذير لكن لا مجال لإطالة الحديث فالرجل ينتظر بالباب، فتقول وقد خسرت جزءاً من عزمها وحزمها بالفعل أمام هذا المكر الوليد العبقري، تقول بلهجة ناصحة استعطافية هذه المرة

- "رانيا!" كبري نفسك وكبريني يا بنتي، إوعي يحس إنك مدلوقة، حبيه زي ما انتي عايزة بس لازم تكوني كبيرة وعزيزة في عينيه
فتقول "رانيا" صادقة الوجه والقول

- والله العظيم يا حبيبتي عمري ما أقدر أصغرك ولا أصغر نفسي، ولا أصغر سيادة القبطان "هشام رفعت" اللي كل "بور سعيد" بتحلف بحياته واسمه، افتحي الباب بقي الواد هايفتكر إن هو ضيف ثقيل وإن إحنا مش قابلينه من أولها

فتَهز السيدة "خديجة" رأسها وقد ارتاحت بعض الشيء، وتهز رأسها أخرى لـ "سماح" تخبرها بأن لا بأس الآن بفتح الباب، وتفتح "سماح" الباب لتجد "وليد" وراءه مطرق الرأس شديد الخجل، وما أن يفتح الباب يرفع رأسه ويتسمم ابتسامة رقيقة مهذبة خجولة ويقول تحية السلام بصوت خافت حيي

- سلام عليكم

وبالطبع ما أن تراه "رانيا" بهذه الرقة والتهذب والوقار الفطري الصادق غير المفتعل، يتلون وجهها بألوان الطيف السبعة، ولو كانوا عشرين لتلون بها، وتبتسم ابتسامة إن عرفت في علوم الفسيولوجيا وفي كتب الطب لعرفوها بأنها ابتسامة الفرحان أو شديد الفرح حتى، أما عن "وليد" الحبي الخلق الخجول بطبعه، فنظر لها نظرة غريبة لم تفهمها، ولا حتى هو توقعها أن تصدر منه، نظرة الغريق الذي يصارع الأمواج وألقوا إليه بطوق النجاة ففرح به ورأى أملاً للنجاة، بعدما ظن كل الظن أنه هالك لا محالة، لكنه لم يلتقطه بعد، وكأنه يعرف أنها منجاته وملاذه وسلواه وفرحته، لكن لا سبيل له إليها ولا خطوة حتى، على الأقل للآن، ورأته السيدة "خديجة" ورأتها، ورأت عيونها متألفتين لامعتين بالفرح والحماسة والإقبال، وملاحمهما تتفتح نضرة زاهية كأزهار الربيع، ورأت ابتسامتين رقيقتين بريئتين مشبعتين بالأمل ارتسمتا في نفس اللحظة تقريباً على وجهيهما، حينها أدركت يقيناً أن كل تحذيراتها وتنبهاتها وأوامرها ونواهيها لا ينتها ذهبت سدى، وألا قبل لها بمقاومة أو محاولة إخماد ذلك الوهج الساطع، على الأقل للآن، كيف لها

أن تقاومه أو تقومه وهي معجبة به إياها إعجاب وسعيدة به أيما سعادة، فإن لم يكن لأي شيء فلائنه يذكره بقصة عشق شبابها على الأقل، وأن هذين الشابين الواعدين الساذجين بحبهما، كأنهما تمثيل وتجسيد حي لقصة حبها الوليدة لزوجها القبطان "هشام" منذ قرابة العشرين عام، لذا لم تستطع السيدة "خديجة" مقاومة ابتسامة إعجاب ارتسمت على وجهها هي الأخرى وأقبلت على "وليد" سعيدة به وكأنها تتقمص دور حماته المستقبلية بالفعل، وتقول مرحة صادقة المجاملة وهي تقبله بقوة وتعانقه عناق أمومة حان جميل

- وعليكم السلام ورحمة الله وبركاته، حمد الله على السلامة يا حبيب قلبي، نورت بيتنا و"بورسعيد" كلها يا "وليد"

فيتسم هو سعيداً بحفاوة وحرارة المقابلة، مستبشراً أنه لن يكون ضيفاً ثقيلاً وسيكون محل ترحاب، لذا يقول متلعثماً بخجله وهو يمطر بالقبلات من خالته بالرضاعة

- إزيك يا طنط "خديجة"، وحشتيني أوي يا حبيبتي، وحشتوني كلكم والله

فترد في الحال ودودة لطيفة

- ده انت اللي وحشتنا أوي يا حبيبي، ده أنا لما "بهية" كلمتني وقال بتستأذني إنك تيجي تقضي كام يوم تغير جو عشان تبعد عن ضغط المذاكرة والدروس شوية، قتلها بتستأذني فيه إيه يا ست انتي! فيه حد يستأذن أم إنها تستقبل ابنها، ابني اللي

كنت باغيرله الكافولة وأسخنله البيرونة كل ربع ساعة، حاكم انت يا وادي يا
"ويلا" ما شاء الله في عين عدوينك كنت كييف بيرونات، لم ماشر بتلكش ييجي
٢٠ بيرونة في اليوم تبقى منيق ومزاجك مش حلو

وتضحك مجاملة مزاحها وبالطبه يضحك هو مجاملها بصدق لا بنفاق، إلى أن
تلتفت السيدة "خديجة" إلى "رانيا" وتقول لها بمكر بارع
- جرى يا "رانيا"! مش تنزلي تسلمي على أخوكي!

فتبدو "رانيا" ملتھية مرتبكة بعدما قاطعت أمها خط العشق وقطعت خيط أحلام
اليقظة الوھانة، ثم تسترد نفسها سريعاً وتقول واثقة ساخرة

- آه... آه طبعاً! أنا نازلة أهوه، بس سايباكم تخلصوا وصلة الذكريات والكوافيل
والبيرونات، إزيك يا ابني، كدة تيجي من غير معاد وإحنا مش عاملين حسابنا
وتزعجنا وتقل راحتنا، ينفع الكلام ده برضة!

وكان السماء خرت فوق رأس السيدة "خديجة" فتقول لائمتها بوجه مستاء

- على فكرة تهريجك بايخ ودمه ثقيل وقليل الذوق

فيضحك "وليد" دمثاً مجاملاً في الحال لينقذ الموقف، ثم يقول مازحاً بدوره بسرعة
بديهية رائعة

- وأنا هاخذ على كلامها برضة يا طنطي! هي طول عمرها شعنونة كدة وبتحب
تجر في شكلي من وإحنا عيال، طب إيه رأيك بقى وبالعند فيكي إن أنا هاقعد على
نفسك هنا لحد آخر الثانوية العامة، مش هارجع مصر إلا على الامتحانات، وبافكر
كمان أنقل وأمتحن الثانوية هنا في "بورسعيد"، وهاخلي طنطي عملي صينية
صيادية الدينيس الي أنا باحبها كل يوم

فتضحك السيدة "خديجة" سعيدة برحابة صدره وحس دعابته الديموقراطي
القادر على تقبل المزاح الثقيل، وتضحك "رانيا" بالطبع معجبة بمناكشته ومناغشته
لها، تطبيقاً لقول القائل "الي يحبك يلاغيك"، ثم تقول أمها متحمسة

- عمرك أطول من عمري يا "وليد"، والله عاملتهالك النهاردة، وشوية جمبري
مقلي ومشوي قزاز الواحدة أد دماغك، أنا عارفك بتحبه بس أملك مابتقدرش على
تنه عشان انتوا غلابة يا عيني!

فيصمت "وليد" ويقتضب وجهه فجأة ويتجههم، وتسود لحظة صمت شديد الثقيل
تكاد تصيب السيدة "خديجة" بجلطة من فرط الإحراج، وترسم ابتسامة حذرة
على وجه "رانيا" وكأنها تعلم أن هذا الماكر يعد لمزحة أخرى، حتى يقول "وليد"
متأثراً

- الفقر مش عيب يا طنط، وإحنا مش غلابة على فكرة... إحنا مساكين يا "لينا"!

وينفجر في ضحك طويل مجاملاً مزحته، وتهز "رانيا" رأسها ضاحكة معجبة بالمزحة وقد صدق حدسها فيه، وتضحك "خديجة" ضحكة ارتياح قبل أي شيء، ثم تقول له متحمسة

- يلا حط شنطك وأنا هاخلي "رزق" يطلعهم لك فوق، أنا وضبتلك الأوضة بتاعتك انت و"مي" اللي بتناموا فيها كل مرة لما بتيجوا، اطلع اتشطف وغير هدومك واغسل إيديك عقبال ما أحضر السفارة، أنا خليت "سماح" تحضر لك الحمام وتبخره وتروقه

فيقول مازحاً مجاملاً

- يا سيدي على الدلع! والنعمة إنتي هاتخليني أتمرد على أمي وأعلن عليها العصيان وآجي أعيش معاكم فعلاً يا طنط، وأعوام في الجمبري والكابوريا فتقول جادة صادقة

- ويمين على يمينك أنا اللي هاخليك تقعد هنا لحد الامتحانات فعلاً، بجد ومش تهريج

فيقبل "وليد" كتفها ثم يقول ممتناً

- قدها وقدود يا حببتي والله، طب هو إحنا هنتغدى من غير "محمد"؟ هوفين الندل ده صحيح؟ ده واحشني أوي

فتقول "رانيا" هازئة

- اسكت! مش بيحب!

فيقول "وليد" مدعيًا التفاجؤ

- فعلاً! بيحب مين؟

فتقول "رانيا" ساخرة وأمها تهز رأسها عديمة الحيلة في حسرة حميدة

- فاكّر البت "ولاء قطامش" اللي كانت بتلعب معنا في المصيف وإحنا عيال؟ بنت

اللوا "إسماعيل قطامش"، البت المكبظة اللي حواجبها أثقل من شعرها دي! اللي

كانت بتسرق البلالين والتوك من العيال في المصيف، وسرقت مني الجزمة التوكة

الفراشة اللي كنت باحبها!

فيضحك "وليد" بقوة على الوصف، ثم يقول مندهشاً

- يا نهار أبيض! "ولاء قطامش"! طبعاً فاكرها، طب إزاي! ده "محمد" أحلى منها،

وكمّان دي تفلق منه ثلاثة!

فتضحك "رانيا" وأمها بشدة، ثم تقول ماضية في سخريتها

- الكلام ده كان سنة ٨٥ وإحنا عيال يا ابني، دلوقتي خسست نفسها وظبطت

حواجبها بمقص الشجر، وبقت مزة يا أخويا وبتلبس محزق وملزق وقصير

وبكعب، وبصراحة البت بعد ما خست بقت رجليها صب وحلوين، وطبعاً الواد

"محمد" أنصح إخواته أول ما شافها كدة اتدهول على عينه وريل عليها، وطبعاً هي ما صدقت، هاتلاقي فين عريس أغنى ولا أنطع من كدة! واشتغلت عليه خمسة حنية على عشرة تقل، على خمستاشر سهوكة على عشرين نحنحة ومحن أنثوي أصيل، لحد ما جابته من رقبتة زي الخر... قصدي زي الباشا، وقفشته مرة بيقولها في التليفون "أحبك، أعبدك، أموت في هواكي"، قال عامل روش ودمه لذيذ وبيقلد "عبد المنعم إبراهيم" لما كان عامل "هند رستم" في فيلم "إشاعة حب"، عيل ساذج!

ويضحك "وليد" بشدة حتى يحمر وجهه وتنحبس أنفاسه من هذه الوصلة الساخرة المحترفة، و"رانيا" وأمها يضحكان على ضحكه، وبالكاد يستطيع التقاط أنفاسه ليسألها مختنقاً بالضحك

- طب هو فين دلوقتي؟ معاها؟

فتهز "رانيا" رأسها وتحجب ضاحكة

- آه طبعاً، عامل فيها "محمود ياسين" ويغديها في قرية "النورس" الباشا، لأ وبيبقى مفضوح أوي لما يطلب من أمه فلوس قال عشان الدروس والملازم ويروح يطفح... سوري يا ماما! قصدي يعزمها بيها، خليه يشيل، حلال عليه!

فيلتفت "وليد" للسيدة "خديجة" بعدما يفرغ من ضحك وجيز ويسألها جاداً

- وانتي إيه رأيك في الموضوع ده يا طنط؟

فتهز رأسها في حيرة وانعدام حيلة أو بوصف أدق عدم اهتمام وتقول

- والله طبعاً يا "وليد" مش راضية عنه وشايفاه هبل ولعب عيال، بس أنا مؤمنة جداً بنظرية الممنوع مرغوب، يعني لو منعتة عنها هايعند ويتمسك بيها أكثر، ولو سبته وإديتله الحرية وهو مايبجبهاش بجد هايزهداها ويزهقوا من بعض بعد كام خروجة وكام عزومة وبعد الكلام ما يخلص، وده الأرجح في سنكم، الحب بيبجي في ثانيتين ويروح في ثانية، ولو بيبجها هاقف جنبه أكيد، مع إن ده احتمال بعيد جداً وهنا تزم "رانيا" شفيتها ويتجههم وجهها، وتشرد عيناها وكأن الكلام أصاب نفسها بشكل ما، أو وكأن أمها كانت تستخدم نظرية النصح غير المباشر الشهيرة "الكلام لك يا جارة"، وما جعل الكلام تنفذ سهامه إلى نفسها وقلبها مباشرة، أن أمها لم تكن تقصد نصحها بالمرة، بالعكس، كانت تتكلم بصراحة وأريحية مطلقة، وكانت تعبر عن رأيها بدون أي معنى خفي في بطن الشاعر، وهذا النوع من النصح والنصيحة كان النوع الأكثر فعالية وتأثيراً في نفس "رانيا" العنيدة المتعالية على نفسها، التي ترفض النصح لمجرد إثبات الذات واستقلاليتها، لكن ما سمعته من أمها من نظرية حكيمة خبيرة عن حب المراهقين البالغين، كان سديداً ووجيهاً لدرجة أن نفسها لم تجد أي قوة ولا حجة لمخالفته أو مجادلة حجته، وسمع "وليد" كلام السيدة "خديجة" يهز رأسه باقتناع وانصياع وملاحه تعبر عن إعجاب صادق بحكمته ورجاحته، وعندما وجدت الأم الحكيمة السيدة "خديجة" الأمر كذلك،

بالطبع سرت نفسها أن قد وضعت وأقامت الموازين الحق، وأعظم ما في الأمر أن كان هذا الأمر بدون أي قصد ولا خطة ولا تخطيط مسبق منها، بل هبة إلهية كريمة جاءت في موضعها ووقتها المناسبين تماماً، كإحداثيات واضحة وخطوط عريضة يتحرك خلالها الحبيبان المزعومان في فترة إقامة "وليد" في منزل السيدة "خديجة" خالته بالرضاعة، لكنها لا تعرف أي شيء عن سبب زيارة "وليد" لها بشكل مفاجيء، وأنه لا شاغل له بأي حب ولا علاقة ولا بـ "رانيا" نفسها في تلك الزيارة، فما يشغل باله ويسيطر على عقله وقلبه أكبر وأخطر بكثير من هذا العالم الصبباني الحالم، وإذ رأت ردة فعل "وليد" المقتنعة المثمثة لكلامها، تنصرف السيدة "خديجة" مطمئنة إلى المطبخ وتترك "وليد" و"رانيا" وحدهما في الصالة، وبالفعل ما أن تغيب عن ناظرهما، يقترب "وليد" من "رانيا" سريعاً ويقول هامساً حذراً

- باقولك إيه يا "رانيا"، اسمعي بسرعة عشان مافيش وقت، أنا عاوزك تعرفيلي أي حاجة وكل حاجة عن موضوع "سوار" اللي انتي جبتيلى سيرتها قبل كدة وإحنا في المصيف آخر مرة

فتسأله مهمة مشغلة

- ليه؟ هو حصل حاجة؟

فيجيبها وقد خفت صوته أكثر حتى صار بالكاد يسمع

- أيوة يا "رانيا"، حصلت حاجات كتير جداً هابقي أحكيها لك بالتفصيل بعدين، بس المهم دلوقتي تحبيلي أي معلومات عن موضوع "سوار" ده، جديدة أو قديمة، تافهة أو مهمة، أي معلومة تقع إيدك عليها وتوصلي ليها، وابقى وريهاني لما أرجع فتسأله مندهشة بلهجة تحذيرية

- ترجع! ترجع منين؟ إوعى تكون هاتروح المصيف يا "وليد"!

فيجيبها حاسماً بلا تفكير

- أول ما أغسل إيدي من الغدا هانزل علطول

فتقول مشفقة ملهوفة

- إزاي بس! ده انت لسة واصل، طب استريح النهاردة ونروح مع بعض بكرة، أبقى أتحمج لما بأي حاجة وأعمل إن نازلة معاك نصور ورق دروس و...

فيقاطعها حازماً

- ولا هاستريح النهاردة ولا انتي هاتيحي معايا في أي حته! إنتي هاتقعدي تذاكري وأنا هاروح ساعتين بالكثير وأرجع، والا انتي عاوزة طنط تقول إنك جاي أضيع وقتك

فتسأله قلقة جزعة

- طب بس فهمني إيه اللي مخليك مستعجل أوي كدة إنك تروح المصيف، وكم إن أنا مستحيل أسيك تروح لوحديك بعد المصايب اللي إحنا شفننا هناك مع بعض آخر مرة... مستحيل!

- وأهي المصايب دي بالذات هي اللي هاتخلي من عاشر المستحيلات إني آخذك معايا، مستحيل أعرضك للموقف الرهيب ده مرة ثانية، ده أولاً، ثانياً أنا جاي مخصوص تقريباً عشان مشوار المصيف ده، وهاروحه لو كان آخر حاجة هاعملها في حياتي

فتسأله مذهولة منزعة

- للدرجة دي يا "وليد"!

فيصمت لبرهة ثم يجيبها بإصرار من لم يعد لديه ما يخسره

- قدرني! قدرني يا "رانيا" وما فيش في أيدي أي خيار إلا مواجهته، خيار الهروب منه أو تجاهله أصبح فكرة شبه مستحيلة، لازم أواجهه وإلا... والله العظيم ما عرف حتى وإلا إيه اللي هاحصل!

يهرع "وليد" إلى باب الفيلا بعدما فرغ من تناول الغداء الدسم الكريم على مائدة خالته "خديجة"، هرع وكأنه يتسلل، إذ خرج من الحمام متسللاً إلى باب الفيلا مباشرة كيلا يراه أحد أو يسأله عن وجهته، وكان قد اكتفى بأن ذكر في معرض حديث الغداء أن لديه مشوراً مهماً عليه الخروج فيه بعد الغداء مباشرة، وبالطبع استغربت خالته وسألته عن هذا المشوار الملح، الذي سيجعله يتجاهل تعبته وإرهاقه من السفر، وكان "وليد" قد أعد كذبة مسبقة بأنه سيتوجه لمقابلة زميل له في المنتخب القومي للكراتيه، وسماه بالاسم ليحبك الكذبة ليسلمه غرضاً ما خاص بالتمرين، وعندما أخبرته خالته بأنه يمكن أن يستريح يومه وليلته ويتوجه إليه غداً نشيطاً ويسلمه ما شاء أن يسلمه، وهنا كان "وليد" قد أعد كذبة أخرى وأخبرها بأن هذا اللاعب الزميل المزعوم لديه معسكر سيبدأ بعد غد، وأن آخر موعد ليسلمه ذلك الغرض الكاذب هو اليوم، يومهم بالطبع، وبالطبع طمأنها "وليد" وأخبرها أن هذا المشوار لن يستغرق أكثر من ساعة على أقصى تقدير، وبالطبع كانت تلك كذبة أخرى، فهو لا يعرف كم سيستغرق في مشواره المجهول إلى المصيف، الذي لا يعرف أي شيء عما سيحدث فيه، أو بمعنى آخر عما سيحدث له أو ينزل به فيه، لذا تسلل "وليد" إلى الباب بشكل غير مهذب ولا لائق، وبالطبع مريب، لذا بمكر خالته والتي أعملت حدس الأمومة، ما أن فرغ "وليد" من غذائه وقام متلهفاً متلهوفاً مريباً، وما أن توجه إلى الحمام لغسل يديه، قامت السيدة "خديجة" وراءه بثوان، وسبقته وانتظرت له لدى الباب، ليخرج من الحمام المتاخم

لباب الفيلا ليجدها أمامه، مشبكة يديها وتنظر إليه نظرة الشك والارتياح الأوممية الشهيرة، وتقول بلهجة المحققين الاتهامية كما تفعل أمه بالضبط

- مش تستنى لما تشرب الشاي يا "وليد"!

فيجيها مرتبكاً متلبكاً

- معلش يا طنط لما آجي، أصلي مستعجل أوي والواد الي أنا رايحله ده بينام بدري

فتنظر لساعة يدها الذهبية الرقيقة نظرة تقريرية وهي تعرف كم الساعة بالفعل، وترد عليه مرفوعة الحاجب بملامح اتهامية ولهجة مشككة متشككة

- الساعة لسة ٣ ونص العصر يا "ويلا"، حتى لو بينام بدري مش هانام قبل تسعة مثلاً

فيجيها المأفون متلعثماً مرتبكاً يثبت على نفسه الاتهام

- أصل يا طنط... أصل...

فتقطع عليه ارتبাকে وتلعثمه وتقول حاسمة بلهجة أمه لا أقل

- أنا عارفة ومتأكدة يا "وليد" إنك لا رايح لزمالك ولا حاجة، فيه حاجة في دماغك انت عاوز تعملها وتقريباً هي الي سافرت عشانها مخصوص، وأكيد أنا مش هاكون حشرية ومتطفلة واسألك عنها، لو كنت عاوز تقولي عليها كنت قلتلي من الأول، بس كل الي أنا طالباه منك يا حبيبي إنك تاخذ بالك على نفسك، أنا

عارفاك عاقل وناضح وكلنا بنحلف بعقلك وبإحساسك بالمسؤولية يا "وليد"، لو فيه أي حاجة فيها أي احتمال ضرر ليك حاول تتجنبها يا حبيبي، وأنا مش محتاجة أقولك تركز في مذاكرتك ومستقبلك لأنني عارفة ومتأكدة انت أد إيه شاب ملتزم وطموح ومجتهد، اقعد يا حبيبي مع خالتك اللي بتحبك والله العظيم زي عيالها وأكثر وخذ بحسها وطمئنها عليك، اشرب الشاي وكل البسبوسة بالقشطة اللي أنا عمالهالك، وانزل بعدها روح الحطة اللي انت عاوزها، وانشالله ترجع وش الفجر، بس توعدني الأول يا "وليد" إنك مش هاتعرض نفسك لأي نوع من الخطر

فيصمت "وليد" محرجاً يتفكر فيما سمع، ثم يجيب خالته مغلوباً على أمره

- انتي صح يا خالتو، أنا جاي "بورسعيد" مخصوص عشان حاجة في دماغني، حكيتها لماما بالتفصيل قبل ما أسافر، ومش هاقدر أحكيها لك إلا أما أخلصها، حاجة ما حدش في الدنيا هاقدر يعملها غيري، وماينفعش أتجاهلها أو أنسحب منها، تقدري تقولي إن القدر فرضها عليا، ولازم أواجهها بكل شجاعة وإيمان وصبر، يا إما لا قدر الله هاتأذيني جداً، وتضيع وتدمر كل اللي جاي من مستقبلي وحياتي

فتضرب على صدرها جزمة

- يا قلبي يا ابني! للدرجة دي يا "وليد"؟!

فيهز "وليد" رأسه ويحييها عديم الحيل

- وأكثر يا طنط، دي مش هاتأذيني أنا بس، دي هاتأذي ناس كتير جداً غيري، زي ما أذت ناس كتير جداً قبلي، ناس خافت وهربت وضعفت، ولو خفت وضعفت وهربت أنا كمان هاواجه نفس مصيرهم، وربما أسوأ من مصيرهم كمان، الجبن والخوف والهروب رفاهية لا أملكها يا خالتو، الخيار الوحيد الي ربنا حاطه قدامي وبين أيديا، إني أواجه وأخوض المجازفة مهما كانت كبيرة ومهما كانت العواقب، وزى ما ربنا فرض عليا مواجهة الموضوع ده، والله العظيم أنا واثق إنه هانصرني فيه في النهاية

فترفع السيدة "خديجة" رأسها للسماء بدعاء الأمهات القلبي الشهير

- إلهي ينصرك ويحميك ويعزك ولا يذكك ويخليك لأبوك وأمك يا "وليد" يا ابن "بهية" و"محمد"، ويرجعك سالم غانم مجبور الخاطر

فيقاطع "وليد" دعاءها بعناق طويل إذ لم ير فيها في تلك اللحظة إلا أمه تدعو له ملهوفة الفؤاد، فتعتصره بين ذراعيها بقوة حنو الأمومة الجبار كما لفعلت أمه لو كانت أمامه، ثم تقول حانية

- يللا يا حبيبي، تعالى اشرب الشاي وكل الحلو وريح اللقمة في بطنك شوية، وبعد كدة ابقى انزل اتفسح وشم هوا براحتك، والنهاردة الجو دافي وجميل، بس حبيبك النبي يا "وليد" ما تتأخر، لأن أنا هافضل قلقانة وقاعدة على شوك لحد ما ترجع فيرد "وليد" مشفقاً مطمئناً كما لو كان يخاطب أمه بالضبط

- ماتخافيش يا حبيبي، والله العظيم هاعمل كل ما في وسعي عشان أرجعلك بدري
فرتبت على كتفه ممتنة، ثم تنادي متحمسة بصوتها الحاد عندها ترفعه
- الشاي يا "موحة"!

تمسك "رانيا" بالريموت كنترول وتقلب القنوات في التلفزيون، وعلى فمها ترتسم
ابتسامة لا أحد يستطيع تأويلها، أهى فرحاً بضيفها أم حماسة له أم ترحيباً به، وبين
الحين والآخر تلقي نظرة خاطفة إلى وجهه، فتجده شاردًا مسهمًا لا ينظر للتلفزيون
ولا لها ولا أي شيء، ويمسك بفنجال الشاي في يده لا يشرب منه شيئًا، فقط شرود
مهموم وجل يتمزق له قلبها، فتحبط "رانيا" وتتجهم وتفقد جزءًا من حماسها
وانطلاقها، إلى أن تلاحظ السيدة "خديجة" هذا المشهد المؤسف، فتقول لها في
محاولة يائسة لتسليته "وليد" والتسرية عنه

- هاتي يا "رانيا" لـ "وليد" القنوات الجديدة اللي جنبها بالإريال الجديد، أما جنبنا
حتة إريال جديد يا وادي "ليدا"، إنما إيه! بيجيب كل القنوات الأجنبية، بيجيب
قنوات "اليونان" و"قبرص"، حتى المخفية "إسرائيل" بيجيب قنواتها، ما انت
عارف عشان "بورسعيد" على ساحل البحر المتوسط فأني إريال قوي تركبه، بيجيب
كل قنوات الدول القريبة

فينتبه "وليد" عن شروده لحظياً، ويهز رأسه متصنعاً التحمس لما تقوله خالته، ويتسم ابتسامة فاترة بدون أن ينطق بكلمة واحدة، فتتظر "رانيا" لأمرها نظرة خائبة الأمل مفادها "لا فائدة! لا تهدي مجهودك فقد حاولت من قبلك"، ثم تمضي- تقلب في قنوات التلفاز محبطة، إلى أن تنهيها، فتعيد الكرة من القناة الأولى المصرية، فالقناة الثانية، فالثالثة، حتى تتوقف "رانيا" لدى مقابلة تلفزيونية يجريها مذيع مبتدئ مع إحدى نزيلات مستشفى الأمراض النفسية بالعباسية، فتقول "رانيا" متحمسة ساذجة

- الله! أنا باحب الحاجات دي أوي!

فتقول أمها مازحة في محاولة أخرى لتلطيف الأجواء

- بتحبي المجانين والسرايا الصفرا! طبعاً ما ده المكان الي مفروض تعيشي فيه!

وتتضحكان، لكن "وليد" لم يسمع حتى ما قالتاه، فهو غارق لا يزال في شروده وإشفاقه من المجهول المفزع الذي ينتظره، وتتنظر "رانيا" لأمرها نظرة محبطة أخرى، وتهز كتفها معدومة الحيلة، وأمها تهز رأسها أسفة لحاله متحسرة على من كان منبعاً للنشاط والبهجة والأجواء المرحية، ولا تجدي "رانيا" أياً من محاولاتهما نفعاً، فتتصت "رانيا" للبرنامج وترفع الصوت، لتجد المذيع يقترب من باب عنبر ما في المستشفى، ويقول بلهجة سينائية محاولاً إثارة التعاطف وجذب انتباه المشاهد وتشويقه في ذات الوقت

- دلوقتي إحنا وصلنا لعنبر ٦، وده عنبر الحالات الجديدة الواردة على قسم النساء في المستشفى، وهاندخله دلوقتي مع الدكتور "ممدوح" المشرف على العنبر، بس نحب نسأله قبل ما ندخل العنبر عن آخر حالات وصلت للعنبر وتقييمه المبدئي لحالتهم

ويوجه المايكروفون للدكتور "ممدوح" الأنيق غزير الشعر ناعمه خفيف الشارب، ذي النظارة التي تلتهم أكثر من نصف وجهه، والذي يجيب هادئاً غير مدع ولا متصنع

- والله يا أستاذ "عادل" إحنا وصلنا الشهر الي فات ٤ حالات، تتراوح حالاتهم ما بين الذهان والفصام والاضطراب الوجداني والوسواس القهري الحاد، والتهبؤات بالطبع والتي بتعتبر قاسم مشترك في معظم الحالات التي بتجيلنا

فيسأله المذيع "عادل" الملح طموح الملامح والأداء

- طب يا دكتور "ممدوح" ممكن تكلمنا عن أهم وأخطر الحالات الي وردت عليك مؤخراً؟ ويا ريت لو حضرتك تقدر تدينا نبذة مختصرة عن حالاتهم

فيرفع الدكتور "ممدوح" نظارته، ثم يجيب بعد تفكير قصير

- والله يا أستاذ "عادل" معظم الحالات الي بتجيلنا في عنبر ٦ وراها قصص وأحداث مؤلمة ومؤثرة جداً، وبالطبع المريض بيعجز عن استيعابها أو تصديقها أو

التعامل معها، فيصاب بحالة من الإنكار والانفصال عن الواقع، ويبني عالمه الخاص الوهمي الي يهرب له من قسوة الظروف وفضاعة الأحداث الي يتعرض ليها، ولو ماتعالجش صح وفي الوقت المناسب ممكن يفضل محبوس في هذا العالم الوهمي الخيالي بقية حياته

فيسأله المذيع متصنعاً التعاطف بأداء مبتذل

- طب ممكن حضرتك تدينا مثال لحالة معينة وردت لك مؤخراً وأثرت فيك إنسانياً؟

فيصمت الدكتور "ممدوح" وكأنه يراجع الحالات في عقله، ثم يجيبه متأثراً

- من أهم الحالات الي وردت لينا في عنبر ٦ الشهر الي فات كانت حالة "مايسة منير"، والحالة دي جتلنا من "بورسعيد"، "مايسة منير" عندها حالة اسمه **"Acute Psychosis"** أو حالة ذهان حادة، والذهان ببساطة هو مرض التهيؤات زي ما قلت لحضرتك، يعني المريض يتخيل أشياء غير معقولة وأحداث غير حقيقية وأشخاص غير موجودين، لكن العجيب كان حكاية "مايسة" نفسها، الي كانت أعجب وأغرب من حالتها مليون مرة، والحكاية بدأت لما أولاد "مايسة" الثلاثة اختفوا في ظروف غامضة، وطبعاً الشرطة قلبت الدنيا عليهم و"بورسعيد" كلها اتقلبت عليهم، وماسابوش شبر واحد في مصر كلها إلا ودوروا فيه عن أولاد "مايسة"، لكن للأسف، لم يثمر البحث عن أي شيء، وتحولت قضية "مايسة"

لقضية رأي عام وكتبت عنها كل الجرايد والمجلات تقريباً، لدرجة إن وزارة الداخلية طلعت بيان بالقضية وإن البحث لا يزال جاري عن الـ ٣ أولاد

فيسأله المذيع "عادل" فضولياً

- كل ده عادي يا دكتور، طبعاً بالنسبة لمعايير الطب النفسي، فين العجيب في حالتها بقى؟!

فيهز الدكتور "ممدوح" رأسه شارداً وكأنه لا يزال مستغرباً من الحالة مأخوذاً بها، أو وكأنها لغز شديد الغموض والتعقيد لم يستطع التوصل فيه لأي حل ولا قرار، ثم يجيبه بعد تنهيدة حيرة طويلة

- لما جبت "مايسة" أقعد معاها عشان أضع تحليل مبدئي لحالتها، ماجاوبتش على أي سؤال سألتها إلا بكلمة واحدة فقط، طول الجلسة ماقلتش غيرها

فيسأله "عادل" في الحال وقد اشتعل فضوله

- كلمة إيه دي يا دكتور؟

فيصمت الدكتور "ممدوح" ثم يجيبه مسهماً شديد الحيرة

- "سوار"!

وهنا يرفع "وليد" رأسه فجأة بعدما أطرقتها طويلاً غير منتبه للبرنامج ولا ما يقال فيه، لتتلاقى عيناه و"رانيا" في نظرة ذهول واحدة، حمداً لله أن لم ترها السيدة

"خديجة"، وإلا لزادتها قلقاً إلى قلقها، إذ ستعرف أن ابنتها على دراية بما سيقدم عليه "وليد" وربما متواطئة فيه، ويلتفت "وليد" للبرنامج بكل ما فيه، ينصت ويحملك بعينه وأذنيه، ويقول لـ "رانيا" ملهوفاً

- علي الصوت يا "رانيا" ... علي!

فترفع "رانيا" الصوت مزعنة في الحال، ليسمعوا المذيع يطلب من الدكتور "ممدوح" بإلحاح

- طب ممكن حضرتك يا دكتور "ممدوح" تصحبنا في جولة قصيرة في عنبر ٦ وتعرفنا على الحالات أكثر، ولو أمكن تورينا حالة المريضة "مايسة منير"

فيhez الدكتور "ممدوح" رأسه بالإيجاب موافقاً ويقول مرحباً

- آه طبعاً ما فيش مشكلة، وحتى المشاهدين يتعرفوا على مدى المعاناة والألم اللي بيعانونها المرضى النفسيين، لأن فيه ناس كتير بتعتبرهم بجهل منه وقلة معرفة مش مرضى أصلاً، مع إن المرض النفسي في رأيي أخطر وأشد بكتير جداً من المرض العضوي، وهو زي ما بيوصفوه في الغرب إنه مرض العصر

ويفتح الدكتور "ممدوح" الباب المزدوج ليدخلا العنبر سوياً، ويبدأ المذيع "عادل" الجريء الطموح عديم المبالاة في إجراء مقابلة مع كل حالة يمر بسريرها، بدون أي إشارة أو أمانة للرغبة في ملامحه أو التعاطف في عينيه، فقط فضول وطموح أعمى وإلحاح غبي في الأسئلة وكأنه يجري مقابلة مع رئيس حي يسأله عن مشكلة

الصرف الصحي في حيه، يسألن فيجبته، إحداهن تظن نفسها "بريجيت باردو"، وتضع مكياجها المشوش على وجهه متهاك مسكين يمزق القلوب، والأخرى شت عقلها وشط إذ رأت زوجها في أحضان ابنتها بالتبني التي لم تتجاوز الـ ١٥ من عمرها، وحالة ثالثة تزوجت كيلا يفوتها "قطار الزواج" ... فدهسها! وقبلت الزواج على مضض من ابن عمها، وراح زوجها ابن عمها يهينها ويضربها ويعيرها بأنه ما تزوجها إلا شفقة وجبراً وحفاظاً على تقاليد العائلة السقيمة، حتى فاض بها الكيل بعد ٦ أعوام نحسات، ودست له الشراب المنوم في حساء عدس العشاء، ليفيق ليجد نفسه مكمم الفم بشريط لاصق قوي، مقيداً في فراش الزوجية، والذي اختارته ليكون درك العذاب له كما كان لها، وتنوعت أسباب العذاب وأنواعه على مهد الجحيم المختار، ما بين تبولها عليه، وتبرزها أحياناً، إلى أطعامه الطعام الفاسد وإلا هلك من الجوع، إلى ربط حبل الغسيل في قضيبه وجذبه وشده بقوة حتى يكاد يتنزع من منفرجه، وكأن لسان حالها يقول "إن كان هذا مناط قوتك المزعومة وقوامتك الكاذبة، فسأخلص نفسي وإياك منه!"، وبعدها ملت تعذيبه وإذلاله على مدى ٣ أشهر كاملة، وبعدها أشفت صدرها من شعورها بالمهانة والمعرة والأذية على يده لأعوام طوال، هجرت المنزل وتركت أطلال زوجها لمصيره، ولكن رحمة منها فتحت شبك الغرفة الأرضية المظلة مباشرة على الشارع لتسلل منها أناته إلى المارة في الشارع، حتى وجدوه "بين الحياة والموت" كما يصفون، وقبضوا عليها، فلم يجدوا منها إلا أطلال امرأة، ولم يجدوا فيها إلا قلباً ممزقاً مهترئاً، ولم يجدوا في

بقايا عقلها إلا الشتات والشطط، فأودعوها عنبر ٦، عساه يكون أرحم بها وأحن عليها من زيجة الندم والندامة، حتى وصل المذيع الطموح اللجوج - اللجوج أخت اللجوج - إلى فراش "مايسة"، وسألها فضولياً غيباً غير مراع لحالتها المرضية

- كلميني عن ظروف دخولك المستشفى هنا يا مدام "مايسة"!

لتلتفت المدعوة "مايسة"، بشعرها البني الدهني ملتصق الخصل، ووجها الأبيض شديد الشحوب وكأنها لم تر الشمس يوماً، وعينيها الخضراوين الداملتين الذابلتين محمرتي الجفنين والمقلتين، وتنظر مباشرة لعدسة الكاميرا، تنظر طويلاً، وكأنها تحرق في عيون كل من يشاهدونها من وراء الشاشة، فيتقدم "وليد" في مقعده ويحملق في الشاشة طويلاً بدوره، وكأن كلاً منهما يسحملق في وجه الآخر، ولا تفصل بينهما إلا الشاشة، فيفتح فمه رغماً عنه، وتتسع عيناه بالدهشة، ويرتبك في جلسته، ثم يخلق أخرى ليتبين ويتأكد، ثم ينطق فمه فجأة بما لم يخطر على بال أحد

- دي هي!

وبالطبع تنظر إليه "رانيا" وأمها متعجبتين، وبالطبع تسألانه تقريباً في وقت واحد

- هي مين؟

فيتوتر "وليد" بشدة، وكأنه يهم بأن يخبرهما، لكنه يتراجع ويحجب متلعثماً شديد الارتباك

- هي... هي الي... هي الي ظهرت... قصدي... هي الست الي قرأت عنها في الجورنال!

ولا تصدقه "رانيا" بطبيعة الحال، وتصدقه السيدة "خديجة" وهي مذهولة مأخوذة بالحدث برمته، ثم تجيب "مايسة" نفسها متحدثة إلى عدسة الكاميرا وكأنها تخاطب من وراء الشاشة مباشرة، أو بالأحرى تخاطبه هو شخصياً، تتحدث بلهجة وصوت يوقعان الرعب في القلوب، لكن الأبرز كان اللحن التحذيري في كلامها إذ تقول

- سايهم ليه غرقانين في شهوتهم وجهلهم وضعفهم؟! ما انت لو سبتهم، هاتبقى زيهم، وواحد منهم، طب ما انت واحد منهم، لكن الفرق بينك وبينهم إنك بتحاول، بتناضل، مابتستسلمش لضعفك وخوفك ويأسك، عاوز تتعلم وتعلمهم، عاوز تقوى وتقويهم، عاوز تواجهه، وأكبر دليل على إنك أقوى وأشجع منهم ومختلف عنهم، إنك رجعت، مع إنهم كلهم هربوا، يا إما هلكوا، يا إما هربوا، لكن انت لأ، انت مش قادر تعيش مع فكرة إنك ضعيف وعاجز قدام خوفك ويأسك، عشان كدة رجعت، رجعت عشان تواجهه، ترمي نفسك في النار، وانت كل قلبك إيمان إن ربنا هايجعلها لك برداً وسلاماً زي ما جعلها لإبراهيم، روح يلا، انت قاعد مستني إيه! لما تغوي ناس أكثر وتخرب حياتهم وتدمر بيوتهم، هي أضعف منك، أضعف منك ألف مرة، وانت قدرت تغلبها كذا مرة قبل كدة، ممكن تكون ضعفت، لكن هزمتها في النهاية، قوم دلوقتي واهزمها تاني، اهزمها للأبد،

اهزمها هي وكل جنودها، كل حواشيها، مش مهم ترجعلي عيالي، عيالي مش أغلى من عيال كتير ضاعوا، المهم تلحق الي جاي، تلحق الي باقين، تمنعها وتقطع إيدها قبل ما تتمدهم، قبل ما توصلهم، قبل ما تسمم عقولهم وتفسد قلوبهم، الحقهم يا "وليد"! الحق العيال الي باقين، الحقهم قبل ما يضيعوا زي الي ضاعوا قبلهم، الحقهم يا "وليد"... الحقهم!

وبالطبع تنظر "رانيا" وأمها إلى "وليد" مشدوهتين مذهولتين، و"وليد" في حالة ذهول، لكن أقل منهم ربما، فقد مرت عليه تلك السيدة من قبل، في موقف مخيف مهيب، استغرق كل ذهوله ودهشته وحتى خوفه وصدمته، وقبل أن تهم "رانيا" أو أمها بسؤال "وليد" أيًا من بحر الأسئلة التي يموج بها عقلها، ينوب عنهما المذيع اللحاح "عادل" سائلاً الدكتور "ممدوح" بفضوله المعهود السؤال المنطقي الأبرز في تلك اللحظة

- مين "وليد" ده يا دكتور "ممدوح"؟ ابنها؟ جوزها؟ أخوها؟

ولا يزال الدكتور "ممدوح" نفسه غارقاً في دهشته وذهوله، إذ يجيب متحيراً

- "وليد"! مش عارف بصراحة، أنا لأول مرة اسمعها بتقول الاسم ده، لأول مرة من ساعة ما "مايسة" جت عنبر ٦ اسمعها بتتكلم أصلاً!

وبالطبع لا يئأس المذيع "عادل" الفضولي الطموح، فيلتفت إلى "مايسة" ويسألها وهي غارقة في حالة شروود وجود وتيه، يسألها ملحاً مستفزاً

- مين "وليد" ده يا "مايسة"؟ ابنك؟ أخوكي؟ جوزك؟ وليه وجهتيله بالذات الرسالة دي؟

فتفيق "مايسة" من شرودها، وتنظر إليه طويلاً وكأنها تتعرف عليه أو تراه لأول مرة، ثم تتغير ملامحها إلى الاستياء والانزعاج، ثم تحبسه بلهجة متحفزة أو ربما عدوانية

- وانت كمان! انت مافيش أي حاجة شغلاك إلا إنك تبقى مشهور ومعروف وغني، حتى لو على حساب ألم الناس، حتى لو تاجرت في مصايهم ووجع قلوبهم، المهم ترضي طموحك وجشعك وغرورك، ومش مهم حتى لو كدبت عليهم أو ضللتهم، ما اللي مشغلينك وجايينك هما اللي قايلين لك تعمل كدة، المهم تشغلوا الناس بالتفاهة والجهل عن أي حاجة مهمة وجميلة وليها قيمة في حياتهم، انت جندي من جنودها، انت فاسد ومفسد، ضار ومضر، ضال ومضل، انت كلب...
لأ! الكلب وفي وطيب، حرام عليا أظلمه وأشبهك بيه، انت مطيع زي الكلب بس غدار زي الضبع، بتعيش على أكل بواقي الجيف واللحم المعفن اللي الدود بينخر فيه، لحد ما بقيت انت نفسك جيفة نتنه وريحتك معفنة، يا معفن... يا معفن!

ولا يتمالك الدكتور "مدوح" نفسه من الضحك، إذ تكيل "مايسة" تلك الشتائم الأخيرة بلهجة ساخرة مستفزة وكأنها تتعمد إغاية المذيع "عادل"، وإذ تخرج له لسانها، وإذ تضرب بيدها المضمومة على يدها المبسوطة في حركة الإغاية الشهيرة،

وإذ يرى ردة فعل كلامها وحركاتها الساحرة الساخرة على وجهه، الذي ذهب إلى كل لون يمكن أن يتلون به الوجه البشري، وأهدر كل ما تبقى من كبريائه وغروره وطموحه الفارغة الكاذبة، حتى قال بوجع ممتقع متجهم بالإحراج والمهانة

- ونحب في نهاية الحلقة نشكر الدكتور "ممدوح" وإدارة المستشفى على الجهود الكبيرة التي قدموه للبرنامج، ونشكر السادة المشاهدين على حسن المشاهدة، ونراكم الأسبوع القادم في حلقة جديدة من برنامجكم "كل حنة في بلدي"

وإذ ينهي المذيع البرنامج مخذولاً مخزياً مهاناً، يهب "وليد" من مجلسه ويقول بلهجة حاسمة

- أنا مضطر أنزل دلوقتي يا طنط، أشوفكم على العشا إن شاء الله

وقبل أن تهم السيدة "خديجة" بسؤاله أي سؤال يريح قلبها ويسكن عقلها المضطرب المضطرم بالخيبة والقلق والفضول، تجهز عليها "رانيا" إذ تقول متحمسة متعجلة

- وأنا نازلة أوصله وأوعدك مش هاتأخر يا ماما، نص ساعة بالكثير وهارجع، باي باي!

ويتوجهان للباب مسرعين ويتركان السيدة "خديجة" المسكينة مشدوهة متحيرة، غير قادرة بعد على تصديق أو استيعاب أي مما رأت أو سمعت.

وصلت "رانيا" بسيارتها حتى بوابة المصيف، وضغطت على الفرامل فجأة حتى كاد

رأس "وليد" يصطدم بالتابلو، فالتفت وسألها معاتباً

- حد يفرمل كدة! كنتي هاتعوريني!

فتسأله منفعلة بالتوتر لا بالغضب

- أنا آسفة، أعصابي بايظة جداً

فيضحك ساخراً ثم يقول هازئاً

- إنتي الي أعصابك بايظة! أمال أنا أعمل إيه؟!

فتعاجله قلقة أقرب للجزع

- مين الست دي يا "وليد"؟ وإزاي تعرف اسمك؟

ولا يزال يحببها بنفس اللسان الهازيء غير المكترث

- ما انتي عارفة اسمها، المذيع قاله يبجي ٥٠ مرة ومصر- كلها عرفته، اسمها

"مايسة منير"

فتجيبه وقد استحال قلقها وتوترها احتداداً وانفعالاً

- أرجوك يا "وليد" أنا ماليش أي نفس ولا مزاج إني أهرج الساعة دي، الست دي تعرفك منين؟

فيرفع كتفيه ويمط شفتيه ويهز رأسه بالجهل والحيرة وانعدام الحيلة، فتسأله ملحة

- دي وجهتلك رسالة بالاسم!

فيأخذ "وليد" نفساً طويلاً، ثم يجيئها جامداً عيناه شاخصتين بنظرة تجمع بين اليأس والتحدي ربما

- الست دي وحاجات تانية كتيرة ظهرولي الفترة اللي فاتت، حاجات غير منطقية ولو حكيته لأي حد في الكون هايقول عليا مجنون، بس مش مهم، أنا لسة بعقلي وعارف أنا شفت إيه، الست دي طلعتلي في القصر الي أوضة نومي بتطل عليه، طلعتلي مبلولة ومتوسخة ولونها مزرق، كأنها كانت غرقانة وأنقذوها، وقعدت تقولي سبت عيالي ليه وسافرت، دول كانوا مستنيينك تنقذهم، وكلام ألغاز وأفلام رعب من هذا القبيل، وبالطبع لما شفتها في البرنامج افتكرتها واستغربت شوية، وبعد كدة راح الاستغراب، من كتر الحاجات الغريبة والمخيفة الي شفتها الفترة اللي فاتت، بس كدة!

وتبدو "رانيا" مستغربة مذهولة لأول وهلة، لا أحد يعرف ألما سمعت من أعاجيب، أم لكم البرود والجمود واللامبارة العجيبة التي يتكلم بها "وليد"، وتصمت محاولة استيعاب ما سمعت، و"وليد" جالس جامد الملامح كالصنم

بجوارها لا يحرك ساكناً، لكن عينه اليسرى تخونه، مكسورة بالإشفاق ربما على ما آل إليه حاله، أو وكأن نفسه "صعبت" عليه، وبالطبع كما عهدنا في حديث الصمت أنه لغة المحبين، التي تتحدثها القلوب بطلاقة بدون أن تنطلق الألسنة ولا تنطق بكلمة واحدة، تشعر "رانيا" بكل ما يعترك في نفسه، وترسم على عينيها نفس نظرة الإشفاق، مجموعة بالحب والتعاطف، ثم تسأله بلهجة حانية حذرة وكأنها أمه حريصة على قلبه وعقله

- طب و"سوار"... شفتها؟

فيجيبها بنفس اللهجة الجامدة لمن لم يتبق لديه ما يخسره

- طبعاً شفتها

وبمزيد من الحذر والفضول تسأله

- شفتها إزاي؟ يعني طلعتك في هيئة إيه؟ روح واللا عفريت واللا شبح واللا إيه بالضبط؟

فيأخذ نفساً آخر عميقاً، ثم يجيبها بنفس الأداء الباهت البارد

- كل اللي شفته عنها مخليني أظن إنها تقريباً روح، وإنها كانت شابة في شديدة الجمال والجاذبية، حاجة كدة زي "مارلين مونرو"، وأجمل، وكانت في أوائل الثلاثينات من عمرها تقريباً، وعاشت في عشرينيات القرن الـ ٢٠ وماتت سنة

١٩٢٤ على حسب آخر حاجة سمعتها منها شخصياً، ولما سألتها ماتت إزاي مارضيتش تجاوبني، وكانت متجوزة موظف في هيئة قناة السويس اسمه "سراج" أفندي، وكانت عشيقة راجل فرنسي اسمه "مسيو فيليب" مدير جوزها في العمل، وتقريباً كدة والله أعلم عملت خطة لقتل مرأة جوزها الثانية، ضررتها يعني وعيالها الثلاثة، ست أرملة غلبانة اسمها "زينب" حبها "سراج" أفندي واتجوزها، بعد ما شربته "سوار" جميع أنواع الذل والإهانة قدام زميله الموظفين، بس كدة!

فتقول "رانيا" مستاءة وقد قاطع فضولها الشديد لسماع التفاصيل

- بس كدة إيه! هو ده كل اللي شفته؟! ده شكلها حكاية كبيرة وغريبة وشيقة أوي

فيضحك "وليد" ضحكة سخرية تنتمي للكوميديا السوداء ثم يقول هازئاً

- شيقة! ياريتك كنتي عيشتي أحداث القصة الشيقة دي مكاني، كنتي هاتستمتعي أوي!

فتصمت "رانيا" وكأنها تبحث عن سؤال آخر يرضي فضولها، ثم تسأله متحمسة بعد أن وجدته

- طيب كل اللي انت حكيتة ده مايخليكش تيجي "بور سعيد" فجأة كدة، مش شرط يعني تواجهها، ماتتجاهلها يا أخي واستعيز بالله من الشيطان الرجيم كل ما تظهر لك

فيقول "وليد" لا يزال ناظراً أمامه بلهجة ملؤها الحسرة وانعدام الحيلة

- ده لو هي شيطان! فكرك أنا ماعملتش كدة، ده أنا قرأت عليها القرآن كله تقريباً،
الموضوع أكبر بكثير من كدة

فتسأله متعجبة بلهجة لا تخلو من الاستنكار

- أستغفر الله العظيم، إزاي يعني! هو فيه حاجة القرآن مايقدرش عليها؟!

فيجيبها "وليد" في الحال يائساً بلا تفكير

- أيوة فيه!

فتعاجله "رانيا" شديدة الانزعاج مشفقة عليه في ذات الوقت

- أستغفر الله العظيم! ماتقولش كدة يا "وليد"، واضح إن أعصابك تعبانة فعلاً

فيلتفت إليها لأول مرة، ويرد عليها بلهجة تحد انفعالية

- أيوة أنا أعصابي تعبانة، لكن فيه حاجات يا "رانيا" القرآن مايقدرش يعالجها،
حاجات كتير جونا وفي نفوسنا وضايرنا لازم إحنا اللي نواجهها ونهزمها، أو حتى
نعالجها، القرآن والدين عامة دورهم التوجيه والإرشاد ونشر- الأخلاق والقيم،
لكن إحنا دورنا التنفيذ والتطبيق واتخاذ القرار، القرار اللي ربنا جعلنا مخيرين
وأعطانا مطلق الحرية في اتخاذه، القرار الحر اللي على أساسه هانتحاسب يوم القيامة،
القرار ما فيش أي حد وصي علينا فيه... حتى الرسول!

فتقول "رانيا" منفعة شديدة الاستنكار بالطبع

- استغفر الله العظيم، انت اتجننت يا "وليد"! إيه الي انت بتقوله ده!

فيصمت "وليد" أخرى ثم يجيبها واثقاً

- {إنما أنت مذكر لست عليهم بمسيطر} صدق الله العظيم، وده أكبر تكريم للرسول صلى الله عليه وسلم، إن ربنا أرسله للناس عشان ينهي عبوديتهم ويعلمهم المعنى الحقيقي للحرية، يعلمهم إن لا إكراه في الدين، وتباعاً لا إكراه في أي حاجة في الدنيا

فتصمت "رانيا" وقد ارتبكت حجتها واهتز منطقها، وكأنها تسمع الآية وتأويلها لأول مرة، لكن بما أن الإنسان جُبل على الفضول والجدل، تعود لتسأله مجدداً كطفل فضولي

- طيب زي إيه الحاجات الي جوا ضايرنا وقلوبنا الي بتقول عليها، وماهاش علاج إلا إن إحنا نواجهها ونصلحها في نفوسنا وبأيدينا؟

فيضحك ساخراً مجدداً ثم يجيب بلا عناء يذكر

- زي كل عيوبنا، زي الخوف، زي الطمع، زي الغرور، زي الشك، الشهوة، الكبر، الغيرة، الحسد، الحقد... عندك وقت أكمل واللا وراكي حاجة؟!!

فتسأله لا تزال على عنادها، أو ربما إشفافها عليه وعلى حاله

- طب وإيه دخل "سوار" بكل ده؟!

- "سوار" هي شيطاني الي اجتمعت فيه كل عيوي وشهواتي ومساوئي، هي ضميري العريان من غير قناع الأخلاق والفضيلة الي بامشي بيهم بين الناس طول الوقت، هي نفسي الضعيفة الشهوانية الأمارة بالسوء في أوضح وأسوأ صورها، هي شكلي وارتياي في كل قيمة ثابتة في حياتي، حتى في إياني أحياناً، لذلك زي ما قلتلك قبل كدة، خيار إني أواجهها من عدمه، مش خيار أصلاً، هي الي قالتلي كدة بلسانها!

- قالتلك إيه؟

- قالتلي مش هاسيبك يا "وليد" إلا أما تبقى ملكي، وعبد خاضع ذليل ليا ولأمري عليك، وكأنها اطلعت على ضميري وخبايا نفسي، وعرفت أد إيه أنا إنسان ضعيف ومزيف، وأد إيه أول ما هاواجه أول إغراء أو إغواء أو فتنة في حياتي، هاستسلمه فوراً

فتقول "رانيا" مشجعة أو بالأحرى مواسية إياه

- انت مالك عمال تجلد في نفسك وتخط من شأنها كدة ليه! ده من أساليب الشيطان على فكرة، إنه يحسسك إنك ضعيف وسييء ومزيف زي ما انت بتقول، بس انت أبعد ما تكون عن ده يا "وليد"، ومش باقول كدة عشان أنا باحبك ولا عشان اتربيت معاك، والله العظيم انت فعلاً إنسان طيب ونقي ومحترم، وعمرك ما ادعيت

الفضيلة ولا الأخلاق، لو كنت كدة عمري ما كنت حبيتك، أنا أكثر وأول حاجة حبيتها فيك إن عمري ما حسيت إنك مدعي أو مزيف في تصرفاتك وأفعالك وحتى كلامك، بالعكس، انت زي طفل بريء طيب بيقول كل اللي بيخطر على قلبه وعقله، واضح إن خطتها إنها تحسسك أد إيه انت ضعيف ومهزوم وعديم الإرادة، وتشككك في إيمانك ومبادئك وكل قيمة حلوة في حياتك، عشان ده هايسهل مهمة سيطرتها عليك بالتأكد، وواضح كمان إن خطتها دي نجحت نجاح باهر

فيهز "وليد" رأسه مقتنعاً وينظر إليها بعيني الهالك الذي يتعلق بطوق نجاة عينيها، ثم يقول

- عرفتي ليه بقى أنا لازم أواجهها

- طيب انت دلوقتي هاتعمل إيه؟ لما تنزل من العربية عشان تواجهها زي ما بتقول، إيه خطتك؟

فيضحك ضحكة سخرية سوداء أخرى، ثم يجيبها

- احلفيلي على المصحف إنك هاتعيشي للساعة الجاية وأنا أقولك إيه خطتي، خطة إيه يا مدموزيل! خطتي كالمعتاد هي ربنا، هاستخبي فيه زي ما باعمل كل ما باواجه أي مشكلة أو موقف صعب، اللي هايقوله هاعمله، وهاوقف عقلي عن التفكير تماماً، المهم دلوقتي إنك تروحي حالاً عشان طنط "خديجة" ماتقلقش عليك

فتقول جزعة شديدة القلق واللهفة

- طيب بس...

فيقاطعها حاسماً بلهجة حادة حازمة

- ولا كلمة زيادة! أول ما أخط رجلي على الأرض، تكوني بتمشي بالعربية بالفعل، المعركة دي معركتي، ولازم أخوضها لوحدي انشالله تكلفني حياتي، ولا يمكن أدخل أي طرف ثاني فيها، حتى لو كانت أمي، يللا مع السلامة، وماتتعثيش من غيري!

فتنظر إليه بعينين عاجزتين جزعتين مكظومتين بالدموع، ثم تهرز رأسها طائعة على رغمها، إذ تدرك أن لا خيار آخر لديها في تلك اللحظة، وما أن يترجل "وليد" من السيارة، تنطلق بها كما أمرها، ويقف هو أمام بوابة المصيف بجسد متأهب، وملامح جامدة، وعينين بئيسيتين... بائستين.

يسير على غير هدى، لا يعرف أين يتجه أو إلأم، قلبه يخفق بقوة في صدره، بالإثارة أكثر من الخوف، وكأنه ينتظر لقاء حبيبة أو ربا عشيقة، بالطبع في ساعة الغروب يتزين المكان بأجمل ما فيه، حيث الجو دافئ والأجواء أكثر دفئاً وطمأنة، ولا يمكن أن تخطيء أو تكذب حمرة شمس المغيب، فبجملها تتجمل الأشياء، وتصير أكثر أنساً ولطفاً وخفة، بما يجعل "وليد" يشعر للحظات أنه ما قد أتى إلا في إجازة لا في مهمة مخيفة مربكة، لذا يتقدم إلى الشاطئ أكثر ويقتحم رمله كطفل شقي يعبث

ويلهو بعد أن بلغ مأمنه، حتى صار بينه وبين ماء البحر بضعة أمتار فحسب، ووقف مبتهجاً مقبلاً وعلى فمه ترتسم ابتسامة متفائلة مستبشرة، مستمتعة بكل تلك الأجواء الربيعية المسلية المحيطة، وأخذ نفساً عميقاً يملأ صدره بنسيم البحر ويوده الشافي، ويهم بخلع حذاءه ليبلل قدميه بماء البحر، فتكتمل صورة المصيف واللهو بالماء ومداعبة الأمواج، واسترجاع ما قد خلا وحلا من الذكريات، ويميل "وليد" بجسده بالفعل ليخلع حذاءه من قدمه اليمنى، ليجد قدماً بجوار قدمه، وبالطبع يحفل "يتخض" لأول وهلة، حتى يرى صاحب هذه القدم، ليجده رجلاً أربعينياً متوسط القامة والقوام، قمحي اللون كما يصفون، شعره أسود في طريقه للنحول والشيبة، شاربه دقيق وكأنه مرسوم هندسياً، يرتدي قميصاً سكراباً وبنطالاً بنياً، والعجيب أن هذا الرجل الذي يقف بجواره مباشرة، عاري القدمين، وكأنه رجل قد أتى مثله ليستمتع بلمس الرمال الرطبة في أخمص قدميه "باطنهما"، لذا يسأله "وليد" محرجاً متفاجئاً وقد بدا أنه خاف منه لأول وهلة

- أنا آسف! ما حسيته بحضرتك، كنت هادوس على رجلك!

فيضحك الرجل مجاملاً ثم يقول مهذباً

- أنا اللي آسف إني جيت وقفت جنبك فجأة كدة، أنا "عامر"

فيجيبه "وليد" أكثر تهذباً

- أهلاً وسهلاً، حصلنا الشرف يا أستاذ "عامر"، أنا "وليد"، فعلاً حضرتك جيت فجأة، أنا تقريباً ماشفتش حد على الشط وأنا جاي، حضرتك جاي تصيف بدري كدة؟! كدة؟!

ويضحك "وليد" ضحكة خجولة مجاملاً نفسه، فيجيبه "عامر" واثقاً

- لأ أنا عايش هنا!

فيسأله "وليد" مستغرباً

- حضرتك ضابط! أنا كنت أسمع إنهم كانوا بيأجروا الكباين للضباط أول ما أنشأوا المصيف، وبعد كدة بقوا بيأجروها كلها للمصيفين بعد كل ما كل الضباط سابوا الكباين وسكنوا في شقق، هما لسة بيأجروا كباين لحد دلوقتي للضباط؟

فيهز الرجل رأسه بالنفي ثم يجيبه

- لأ أنا مش ضابط، ولا أنا مأجر كابينة من الكباين

فيمط "وليد" ملامحه بأمارات الاستغراب أخرى، ثم يسأله حذراً

- يبقى أكيد حضرتك شغال هنا في المصيف وليك استراحتك اللي بتبات فيها؟!

فيهز "عامر" رأسه ويقول مبهماً

- حاجة زي كدة

فيسأله "وليد" وقد ازداد فضوله وحذره

- طب حضرتك ماقتلش انت شغال إيه هنا بقى؟

فيصمت الرجل وكأنه يحاول صياغة أكثر إجابة مناسبة، ثم يجيبه أكثر إبهاماً
وغموضاً

- تقدر تقول إني مسؤول عن... عن الناس اللي شغالين هنا، حاجة كدة زي مدير
شؤون عاملين

فيضحك "وليد" هازئاً ويهز رأسه ويقول متصنعاً المكر والدهاء

- يا عم ما تقول كدة من الصبح! انت مخبر المباحث المعين خدمة على الشط،
ماتحافش يا سي "عامر"، ده لو كان اسمك الحقيقي، أنا لا جاي أسبر شحنة
المخدرات ولا أفيش الهوامش ولا جو فيلم العار ده، أنا جاي أشم شوية هوا وأبل
رجل بمية البحر وأمشي علطول

فيضحك "عامر" بقوة ومعه "وليد"، لحد أنها يتبادلان الأكف، ثم يقول

- ولا أنا مخبر برضة يا "وليد"

فيقول "وليد" لا يزال منسجماً في الأجواء الساخرة

- يا عم كلكم بتقولوا كدة، هو فيه مخبر مباحث هايعترف على نفسه إنه مخبر! أنا
متربي في المصيف من يوم ما بنوه وعارفكم كلكم

فيهز "عامر" رأسه متصنعاً تقبل الكلام، ثم يقول مجارياً "وليد" في سخريته

- طيب ما دام انت عارفنا كلنا كدة، ماتيجي معايا مشوار صغير

فيضحك "وليد" بقوة، ثم يقول لا يزال متصنعاً الفطنة والذكاء

- أيوة يا أخويا! كل همك تمشيني من على الشط، يبقى أكيد عندك إخبارية من خفر السواحل بأن فيه شحنة مخدرات جاية فعلاً، أنا على العموم كنت كدة كدة ماشي،
يللا بينا

فيمسك "عامر" بيد "وليد" وهو يهم بالإنصراف، ثم يقول بلهجة جادة أمرة مفاجئة

- لأ أنا مش عاوز أمشيك من على الشط ولا عندي إخبارية من خفر السواحل، أنا عاوز آخذك مشوار صغير زي ما قتللك

وبالطبع ما يكون من بطل الكاراتيه الدولي كردة فعل على الإمساك بيده، إلا أن يضرب يد الرجل بقوة شديدة تكاد تقسمها، بحركة شديدة الخفة والبراعة والسرعة تليق ببطل مثله، ثم في حركة واحدة أخرى بارعة يلوي ذراعه وراء رقبته بحيث يخنقه بذراعه، ثم يسأله "وليد" شديد البأس والعدوانية وعينه تلقيان بالشرر

- أنا مش مستريحلك من ساعة ما نطيتلي فجأة كدة، قولي انت مين وعاوز إيه
لاحسن أقسم بالله أجييلك رقتك حنتين دلوقتي!

فيجيب الرجل بوجه مزرق وأنفاس مقطوعة وصوت متحشرج بالكاد يخرج من
حلقه، لكن العجيب أنه لم يكن خائفاً ولا مهتراً بالمرّة إذ يقول

- أنا عارف إنك بطل العرب والبحر المتوسط في الكاراتيه، واسمك بالكامل
"وليد محمد علي توفيق الشجيع"، طالب في الثانوية العامة، مواليد ١٧ فبراير

١٩٧٣

وبالطبع يترنح "وليد" لحظياً بالذهول والرهبة، ويصيح بصوت متهدج بطاقة
الخوف الجبارة في نفسه، وهو يشد خناق الرجل بذراعه حتى تبحظ عيناه وتكادان
تخرجان من محجريهما

- مش باقولك انت فيك حاجة غلط! مش هاسألك انت عرفت الحاجات دي
إزاي عني، عرفتھا من العفاريٲ، عفرتها من الجن، عرفتھا من خالٲك، مايهمنيش!
لآخر مرة، قدامك ٣ ثواني تقولي انت جيت هنا ليه وعاوز إيه مني وإلا أقسم بالله
لاخلي رقتك تلف على رمان بلي!

فيقول الرجل بصوت أشبه بحشرة السكران بالموت وقد استحال وجهه أزرق
داكناً

- انت عمرك ما تقدر تؤذي حد يا "وليد"... برغم القوة الي ربنا حاباك بيها،
إحنا عارفين أخلاقك كويس، وعشان كدة قررنا نساعدك

فيصرخ "وليد" لا يزال غارقاً في خوفه وارتياحه

- برضة بيتكلم بالألغاز! انتوا مين الي عارفين أخلاقي؟ وقررتوا تساعدوني في إيه
بالضبط؟!

فيقول الرجل بآخر ما تبقى من أنفاسه غالباً

- نساعدك في الوصول لـ "سوار"، مش انت جاي "بورسعيد" عشانها برضة؟!

فيحل "وليد" وثاق الرجل في الحال، ليس لأنه نطق بكلمة السر، بل لأنه كان بين
وبين لقاء ربه ثوان معدودة، وبالطبع يخر "عامر" على الأرض في جلسة سعال
طويلة، وتكالب لالتقاط الأنفاس، و"وليد" ينظر إليه بقمة الحذر والدهشة
والارتباك سواء، ويكاد يسمع صوت خفقات قلبه بين ضلوعه، ثم يسأله لا يزال
متظاهراً بالقوة والبأس

- وانتوا عرفتوا "سوار" منين؟ وتساعدوني إزاي في الوصول ليها؟

فيرد "عامر" وهو لا يزال يغالب سعاله، ويكابد لالتقاط أنفاسه

- مش مهم دلوقتي نعرفها منين، المهم إنك تعرف إن أي حاجة شفتها عن
"سوار"، إحنا الي بصرنك بيها، وأي حاجة عرفتها عنها، حتى الي عرفناك بيها،

إحنا اللي كنا بنعرفك الحقيقة من أول يوم، في كل مكان وفي أي زمان، في "بورسعيد" وفي مصر وفي كل حطة، حتى من شباك أوشة نومك!

فيقول "وليد" مذهولاً

- يعني إنتوا اللي بعثوا الست... إنتوا اللي بعثوا "مايسة منير"؟ طب إزاي! ده محجوزة في مستشفى الأمراض النفسية في العباسية؟ إزاي وصلت لحد أوضة نومي؟!

فيقول "عامر" وقد استعاد أنفاسه وبعضاً من عافيته الضائعة

- إحنا نقدر نوربك أي حاجة وأي حد، حي أو ميت، في الماضي أو في الحاضر، وماتسألش إزاي! اللي تقدر تسأل عنه إحنا عملنا كدة ليه

فيصرخ "وليد" لا يزال مهدداً إياه، أو بالأحرى هي صرخة استغاثة

- إنتوا مين؟!

فيمضي "عامر" بكل ثقة وثبات غير متأثر بالتهديد أو بما نزل به منذ دقائق معدودات

- هاقولك إحنا مين، هاجاوبك على كل أسئلتك، بعد ما أوريك آخر مشهد للحقيقة

فيسأله "وليد" مستغرباً

- آخر مشهد للحقيقة! حقيقة إيه؟ وهاتوريني المشهد ده فين؟

فيقول "عامر" وهو ينظر في عيني "وليد" نظرة رجل صادق لا يضمر أي نية سوء

- الحقيقة يا "وليد" الي انت فاكر إنك عارفها وانت ماتعرفش عنها أي حاجة

فيصمت "وليد" لا يجد ما يقوله، غارقاً في حيرته وذهوله، فجأة ذهب عنه كل غضبه، والعجيب أن ذهب معه كل خوفه وروعه، فجأة سرت في جسده سكينه وسكون عجيبين، وكأن مهدئاً بدأ مفعوله يسري في جسده، ووجد نفسه لا يخاف "عامر"، أياً كان جنسه أو أصله، بالعكس شعر بأمان واطمئنان وثقة وليدة غريبة في نفسه تجاهه، شعر بألفة له وكأنه يعرفه منذ الأزل، وما قتل أي شك أو خوف أو قلق بقي في نفس "وليد" كانت ابتسامة صادقة مخلصة ارتسمت على وجه "عامر" إذ يقول

- هاوريك المشهد الأخير في قصة "سوار"، وهاوريهولك على المسرح الي بدأت عليه القصة، وانتهت عليه، المشهد الي هايغير أي حاجة وكل حاجة عرفتها عنها، مشهد الخاتمة... والعبرة بالخاتمة

فيصمت "وليد" غارقاً في حيرته لا يزال، إلى أن يسأل سؤالاً تقريرياً يعرف إجابته

- وطب ولو رفضت آجي معك؟

فيجيب "عامر" وكأنه يعظه

- هاتبقى رفضت خير كثير يا "وليد"، خير مش هايعود عليك لوحدك، وهايعود على ناس كثير، وفي الأول وفي الآخر ليك مطلق الحرية في الرفض أو القبول، بس ماترجعش تشتكي إن "سوار" منغصة عليك حياتك وكل شوية تنطلق وتظهر لك، في علمك قبل حلمك

فيصمت "وليد" مجدداً يتفكر في العرض الذي يستحيل عليه رفضه، ثم تتسع عيناه وكأنه فكرة فجائية قفزت إلى رأسه، تجعله يسأل "عامر" بلا تفكير

- انت أكيد من سكان البحر، صح! قصدي الجن اللي ساكنين في البحر اللي بيقولوا عليهم، مش شرط تجاوب على السؤال، بس إديني أمارة

فيضحك "عامر" بشدة وهو يمز رأسه ويضرب كفاً على كف، بما يجعل "وليد" يضحك معه على مضض وهو يراقب حركاته وردود أفعاله، إلا أن يجيب "عامر" ساخراً

- يعني عمال أقولك من الصبح وريناك حاجات من الماضي، وحاجات عن ناس أموات، وإن إحنا بنتمثل في هيئة أي حد وبنظهر في أي وقت وأي مكان، هانكون إيه يعني؟ هيئة تعداد السكان مثلاً! أكيد مش بشر، ولو مش بشر يا نبقي ملايكة يا جن، وأكيد ده مش شكل ملاك!

ثم يكمل "عامر" ضحكه القلبي، و"وليد" معه، إلى أن يقول والضحك يتخلل كلامه

- يللا بينا؟

فيهز "وليد" رأسه بالإيجاب، ثم يسأله بحماسة وتشوق طفل وعده والده
باصطحابه للملاهي

- يعني إحنا دلوقتي هانسافر لبعدها آخر عبر الزمان والمكان عشان نروح المكان ده،
واللا هانعمل إيه بالضبط؟

فينفجر "عامر" في الضحك، ثم يقول ساخرًا

- يادي أفلام الرعب الي مبوطة دماغك، بس انت عندك حق برضة، لو كان المكان
الي أنا عاوز أوريهولك ده يحتاج سفر عبر المكان، كنت وريتك الي عمرك ما شفته
ولا حلمت بيه، لكن للأسف المكان جنبنا هنا علطول

- جنبنا هنا فين؟

فيصمت "عامر" وكأنه يعزز عنصر- الإشارة في الموقف ثم يقول ساخرًا بلهجة
سينمائية

- في الكباين الشرقية... المسكونة!

ثم ينفجر ضاحكًا أخرى، ويضحك "وليد" معه وكأنه يسخر من نفسه، ثم يقول
"عامر"

- أرض الكباين الشرقية كان مكانها الاستراحة الصيفي بتاعة مسيو "فيليب"، والاستراحات بتاعة المديرين الأجانب في هيئة قناة السويس، والمشهد اللي هاتشوفه حصل في الاستراحة دي، ولذلك لازم نروح هناك عشان أوريهولك زي ما حصل، وكمان لو وقفت هنا كتير على الشط وجه أي حد وشافك واقف تكلم نفسك بعد ما الليل دخل، يا هايضربوك بالنار يا هايقولوا عليك مجنون وياخدوك تونس "مايسة منير" في مستشفى المجانين!

فيضحك "وليد" ضحكة باهتة، ثم يقول وقد نفذ مداده من الفضول والدهشة

- توكلنا على الله

فيرد عليه "عامر" مؤكداً لعجب "وليد"

- توكلنا على الله!

يصطحب "عامر" "وليد" في أورقة الكباين الشرقية المظلمة تقريباً، والتي لا ينيرها سوى أعمدة إنارة الشاطئ النيون، والتي تبعد عن الكباين أكثر من ٥٠ متر تقريباً، ولا يملك "وليد" وليس لديه حيلة إلا أن يتدرب بالقوة والشجاعة في تلك الساعة، فقد أتى معه بكامل إرادته وعقله، ولا سبيل للتراجع مطلقاً، أمام نفسه قبل "عامر"، ولم يطل بهما السير كثيراً حتى انتهى بهما السعي، وتوقف "عامر" في

الردهة التي تتوسط ٤ كبائن، وقال بلا تطويل ولا تشويق، وكأنه يدرك كم القلق والخوف في نفس "وليد" في تلك الساعة

- وصلنا!

ويصمت ليرى ردة فعل "وليد"، أو كأنه يراجع له لآخر مرة إن كان لديه نية في التراجع، وكأن "وليد" أدرك ذلك، فقال في الحال حاسماً مقدماً

- تمام! إيه اللي هياحصل بقى دلوقتي؟

فيجيبه "عامر" هادئاً أو وكأنه غير مبال ليقتل أي وجل أو خوف في نفس "وليد"

- زي كل مرة، هاتشوف المشهد اللي إحنا جنبنا هولك وعاوزينك تشوفه

فيقول "وليد" مرتاباً

- المشهد اللي انتوا بتمثلوه... قصدي انتوا سكان البحر؟!

فيهز "عامر" رأسه بالنفي ويجيب هادئاً واثقاً

- بالمره! ولا مشهد من اللي انت شفتهم كان لينا أي دخل فيه، ولا اشترطنا فيه بأي

شكل من الأشكال، إحنا جنبنا وعرضنا عليك زي ما شفتنا وخلاص

فيقول "وليد" مشككاً بلهجة استنكارية، وكأنه يلومه على الاستخفاف بعقله

- يعني إيه جبتوه المشاهد وعرضتوها عليها! جبتوها إزاي؟! قصيتوها من الماضي مثلاً! والا نقلتوا الماضي للحاضر وعرضتوه قدامي كأنه فيلم سينما، انتوا ممكن تبقوا جن... أو أياً كان انتو إيه، لكن العقل ليه حدود للتصديق والاستيعاب... حتى في الخيال والخوارق للطبيعة

فيعاجله "عامر" بدون أن يتخلى عن أي من هدوئه واتزانه

- وهي دي المشكلة، إن انتوا بترسموا حدود وقيود للعقل والمعرفة، مع إن ربنا خالقهم ماخلقهمش كدة، بالعكس! ده خلقهم مفتوحين وواسعين وآفاقهم لانهائية، وأكبر دليل على ذلك الكم الرهيب من الاكتشافات العلمية اللي بيتكشفوها كل يوم، حدود وقيود الزمان والمكان انتوا البشر اللي مصممين تقيدوا نفسكم بيها، مع إن هما الاتنين أكثر مجالين فيهم حرية واتساع فيقول "وليد" متغايياً عنيداً

- مش فاهم! بتستدعوا الماضي إزاي يعني؟

فيجيب "عامر" بصبر جميل

- ببساطة وبدون تعقيد، انت طاقة، وأنا طاقة، وكل البشر- طاقة، وأي حاجة بيعملها البشر أو غير البشر، في أي زمان وفي أي مكان، يبصدر عنها طاقة، وما دامت الطاقة لا تفنى ولا تستحدث من العدم زي ما انت أكيد درست، فطاقة الماضي - أحداثه وأشخاصه - بتفضل محفوظة في الماضي، عمرها ما بتضيع ولا

بتفنى، كل الي إحنا بنعمله إن إحنا بنستدعي الطاقة دي، ونعرضها قدامك زي شريط الفيلم ما بيتعرض قدامك في السينما على شاشة بيضا كبيرة

فيهز "وليد" رأسه ويمط شفثيه لا يزال على عناده ومكابرته، ومن يطلع على نفسه يجده منبهراً مأسوراً لا مقتنعاً فحسب، ثم يقول مشككاً، أو متصنعاً التشكيك بممعنى ادق

- وده ينفع!

فيرد "عامر" في الحال بضحكة واثقة

- آه طبعاً ينفع، إسمعنى انتوا البشر بتستدعوا الأرواح، آسف! بتحضرُوا أرواح

- جهل وخرافات!

- الجهل هو إغلاق العقل أمام المعرفة واستيعاب قوانين ومعجزات الكون، والخرافة هي الحقيقة التي لم يستطع الجهلاء تأويلها ولا تفسيرها وفقاً لقوانينهم المحدودة القاصرة، بالضبط زي الفرنسي الي بيتكلم بيه مسيو "فيليب" مع "سوار" كل مرة ييقابلها وانت بتفهمه، عمرك سألت نفسك ليه وإزاي بتفهمه بالبراعة والطلاقة دي، وانت المفروض إنك - لا مؤاخذه يعني - على أدك في الفرنسي!

فيصبح "وليد" كطفل ملهوف وكأن هذا السؤال لطالما حيره

- أيوة! الفرنسي! إزاي بافهم الفرنسي بالسهولة ده وكأني مواطن فرنسي، ده مافيش ولا كلمة بتفوت مني يا راجل، أكيد دي حاجة من عجايكم يا ولاد اللذينة انتوا!

فيضحك "عامر" ويقول غامضاً

- لا وانت الصادق عجايكم انتوا

- عجايبنا إحنا! إزاي؟!

فينظر "عامر" في ساعته وكأنها تأخرا على مهمتهما، ثم يقول وقد عيا صبره

- ده آخر سؤال هاجوابك عليه، كمان نص ساعة دورية الشاطيء الليلية هاتيحي تلف في الكباين الشرقية زي كل يوم، يعني ماعندناش وقت

فيقول "وليد" متوسلاً كطفل لا يزال

- خلاص والله آخر سؤال، إزاي بقى؟

فيأخذ "عامر" نفساً طويلاً ثم يحيب مفوهاً حكيماً

- ببساطة واختصار حدود عقلك انت اللي بترسمها، وانت اللي بتقيد نفسك بيها، وفي حالتك انت مع موضوع فهم الفرنسي اللي بتتكلم بيه "سوار" وفيليب"، انت بتدرس فرنساوي طول عمرك، وبتسمعه في الأفلام والأغاني الفرنسية اللي بتيجي طول الوقت في التلفزيون، لذلك عندك حصيلة انت مش متخيل حجمها

من اللغة الفرنسية، ولما تبقى في وسط المشاهد والمواقف العجيبة الي انت بتشوفها دي، يبقى عقلك شغال بطاقة أكبر من طاقته العادية يعني بـ ١٠٠ ضعف، ليه! علشان انت بتشغل مناطق في مخك مسؤولة عن إدراك واستيعاب وتصديق حاجات خارج الحدود الي رسمها عقلك، أو بمعنى أدق الحدود الي انت رسمتها لعقلك، مناطق في المخ مسؤولة عن استيعاب كل ما هو إبداعي وخيالي وخارق، مناطق ٩٥٪ من البشر قافلين عليها ورافضين يستخدموها، بحجة إنها حاجات خيالية وخرافية زي ما انت لسة قایل من شوية، لذلك بيعطلوا المناطق المسؤولة عن إدراكها واستيعابها ومعايشتها في المخ، لحد المناطق دي ما بتعطل وتموت تدريجياً، والـ ٥٪ الباقين من البشر الي بيشتغلوا مناطق استيعاب الإبداع والخيال والخوارق، هما الي إحنا نعرفهم بالعلماء والفنانين والمبدعين والأدباء والموسيقيين... إلخ، لذلك بيخرجولنا بنظريات وإبداعات بتجعل الناس العاديين غالباً يهتموهم بالجنون والشطط، بالضبط زي ما اهتموا "إسحق نيوتن" بالجنون لما توصل لنظرية الجاذبية الأرضية، ولما اهتموا "جاليليو" بالجنون والهرطقة لما طرح عليهم نظريته عن مركزية الشمس السابقة لعصرهم وحدود معرفتهم بألف سنة، عارف ليه الناس اهتموهم بالجنون؟ علشان ماقدروش يفهموا ولا يستوعبوا النظريات والإبداعات دي بعقلهم القاصر المحدود، كدة أسهل، تتهم العالم أو الفنان أو المبدع بالفشل والجنون واعتناق الخرافة، بدل ما تضطر تشغل عقلك وتجهد عشان تحاول تستوعب إبداعه وعبقريته وتفهمها وتتذوقها، أهوه انت في

المواقف والمشاهد دي بتبقى زي الموسيقى الي بيألف مقطوعة موسيقية، زي الفنان الي يرسم لوحه، زي العالم الي بيثبت نظرية، زي الأديب الي بيألف رواية واللا شعر واللا مسرحية من وحي خياله، واخذ بالك انت، من وحي إيه؟

ويجب "وليد" في الحال كطفل مشدوه مبهور

- خياله!

- ساعتها بتطلق العنان لعقلك وتكسر كل الحدود والقيود الي انت رسمتهاله، وعقلك الباطن بيتحدى كل القوالب والثوابت الي انت حبسته فيها، أو الي المجتمع والعادات والعلم المحدود حبسه فيها، لذلك بتقدر تستوعب وتفهم وتشوف الي عمرك ما فهمته ولا شفته، وساعتها مش تقدر تفهم الفرنسي بس، دول لو اتكلموا بالمنغولي برضة هاتفهمهم، هاتفهمهم بلغة إدراك واستيعاب الخيال والإبداع وغير المؤلف، سهلة كدة!

فيقول "وليد" لا يزال منبهراً مأسوراً بما سمع

- سهلة... سهلة جداً!

ويسأله "عامر" بلهجة عملية متحمساً

- مستعد؟ نتوكل على الله؟

فيجيب "وليد" في الحال بحماسة تفوق حماسه

- طبعاً مستعد، مستعد جداً كما، توكلنا على الله

ويلوح "عامر" بيده ببطء وكأنه يدعو ضعيفاً إلى داره، ومع حركة يده يتغير المكان كالعادة في كل مشهد قديم عجيب، وبالطبع الزمان، ليتجلى الشاليه القديم الذي رآه "وليد" في مشهد سابق بين "فيليب" و"سوار"، لكنهما هذه المرة ليسا في الشرفة المطلة على البحر كما رآهما أول مرة، بل هما في غرفة الجلوس المفتوحة مباشرة على الشرفة، لا يفصلها عنها سوى ستار خفيف شفاف، يهرب بين مسامه نسيم البحر الصيفي اللطيف، لكن ما رآه "وليد" لأول مرة ولم يره من قبل في ذلك المشهد، ليس الشاليه الواسع ولا أثاثه "المصيفي" التقليدي الأنيق، ولا "فيليب" العاري صدره ومن أسفله كرشه المشعر المتضخم، من تحت قميص حريري أنيق مفتوح يبدو فاحش الثمن، ولا شاربه الأشقر الموجز المختلط شبيه بشقرته، ولا وجهه الأحمر على الدوام وكأن الدم سيتفجر منه ينابيعاً، ولا تلك النظرة الوائية المستهينة البغيضة، التي تجعل عينيه الزرقاوين الشبقتين بالكاد ظاهرتين، ولا تلك الابتسامة المستفزة الأكثر استهانة، استهانة بكل ما ومن حوله، لكن ما جد على "وليد" كان النظرة التي تصبغ ملامح "سوار" كلها، نظرة لم يرها ولم يعهدها على وجهها من قبل قط، نظرة ضعف مستحدثة غريبة تجمع بين التجهم والإشفاق والقلق والحزن... أو ربما الندم، لكنها بالمرّة لم تكن نظرة امرأة فاسقة مستهترة تستمع

بفسقها وتصر على فجورها، وأنارت وجهها إشراقة عفة ورقة حياء وحسن وقار، وبالطبع لم يرق هذا المشهد ولا تلك الملامح البريئة النقية لأهواء "فيليب" بالمرّة، أو بمعنى أدق لا تشعل صهريج شهوته، الذي لا يعمل ولا يستفز رجولته إلا بالشتائم والإهانات وبالوجه المتحفز العدواني، وولا تستعر ناره إلا باللطم والصفع والضرب باليد أو بالسوط على ظهره ومؤخرته إن "استحق التأديب" على حد وصفه، كان هذا المظهر البريء المنيب أكثر ما يبغضه في حياته، ليس لأنه يذكره بمدى قبحه وفحشه وحيوانيته، بل لأنه لا يرضى ملذاته السادية ولا يشبع رغباته الشاذة، لذا كان من المنطقي أن يقول متهكماً مستنكراً وهو يرتشف الكونياك من كأسه العملاق الذي دفأه بيده كي يسري مفعوله سريعاً

- جئت تطلين التوبة على مذبح العصاة!

فتجيئه "سوار" محتدة

- لم آت لأطلب أي توبة ولا مغفرة منك، فأنت لست أهلاً لأن تمنحها ولو لذبابة، بل جئت أبلغك فحسب، وصدقت أنه مذبح العصاة بالفعل، لكن ليس بعد الآن... ليس بعد الآن

فيضحك مستهيناً، ثم يقول هازئاً

- ستؤذين ركبتك عزيزتي "سوار" إن جثيت بهما على الأرض الخشبية الخشنة كما يفعل أولئك الحمقى المدعون طالبو التوبة والغفران، لكن إن كنت صادقة في

طلبك للتوبة، وإن كنت ولا بد جاثية، فافعلي ذلك العقاب اللذيذ، حيث تجثين
بركبتيك الناعميتين على ظهري وتشدين رأسي للخلف حتى يكاد عنقي ينكسر،
عندما يراك الرب تعاقبينني وتؤلميني فسيمنحك التوبة في الحال

وينفجر في نوبة ضحك استفزازي هستيري، تجعل كرشه الضخم وثدييه المترهلين
عليه تهتز بقوة كاهلام "الجيلي"، حتى تكاد تظن أنه سيدوب أو ينسكب على نفسه
في مرحلة ما! ولا تأبه "سوار" لمحاولاته الاستفزازية وترد في هدوء وتقزز بدون
أن تلتفت إليه حتى

- أفضل أن ألقى بنفسي وسط قناديل البحر التي تعج بها القناة، وأتعذب بلسعاتها
حتى الموت، عن أن يمس جسدي جسدك المشعر المتعرق المقزز مرة أخرى أيها
الحيوان!

فيقول متبادياً في استفزازها وسخريته

- إن كنت لا تريدين لجسدينا أن يتماسا مجدداً أبداً، لك ما شئت، وإن أردت أن
نفترق على وفاق وفي هدوء، وبدون مشاكل ولا فضائح، فقد استحققت ذلك
بالتأكيد... لكن بشرط واحد!

فتنظر إليه بجانب عينيها نظرة احتقار وتكذيب، وكأنها تعلم يقيناً أن ما يقوله أكثر
تقريزاً وقذارة مما قال قبلاً، لكن لم تجد بداً من أن تسأله

- وما هو شرطك؟ لا تجرؤ أن تنطق به إن كان فيه أي سخرية أو استهانة بي أو بما أقول!

فيجيب في الحال بلهجة عابثة

- بالمرّة يا عزيزتي! بل هو طلب أخير من عاشق لعشيقته التي لطالما أسعدت أحضانه

فتسأله حذرة

- وإن لم أنفذه؟

فيقول هادئاً واثقاً كشأن أي مساوم بائس يعرف أنه المسيطر ويده هي الطولى

- كل "بورسعيد" تعرف منذ الأزل أنني رجل فاسق أحب النساء ولي ألف علاقة وعلاقة، ولم يضرني هذا يوماً على مدار أكثر من ٢٠ سنة قضيتها هنا كمسؤول في الهيئة، بل بالعكس، سمعة الرجل الفاسق العرييد تجتذب النساء الفاسقات الماجنات، كما تزوج التماسيح، حيث تذهب الإناث للذكر اللعوب ذي نداء التزاوج الأكثر إغواءً وشهوانية

فتقول "سوار" ساخرة متعمدة إهانته واستفزاز

- إن كنت لتقارن نفسك بحيوان فبالأحرى قارنها بفرس النهر، أو كما نسميه في مصر "الخرتيت"، فهو يشبهك في كل شيء عزيزي "فيليب"، لزج ومقزز وبدين وبيتلع أي شيء يلقيه الناس في جوفه، وحتى ولو كان قمامة!

وتضحك ضحكاً مفتعلاً بدورها مستفزة إياه، فيتلع إهائته ويرد هادئاً

- إذن هنياً لفرس النهر البدين المقزز أن أفلح في جلب غزال رقيق رشيق مثلك لفراشه!

فتضحك ضحكة مشمئزة أما ما يسمونه بالضحكة الصفراء، ثم تقول متحفزة
- ما جلب ذلك الغزال الرشيق إلى فراشك إلا غباؤها وكبرياؤها وضيق أفقها، ولقد دفعت ثمن ذلك باهظاً... باهظاً للغاية، دم ودموع وندم وشهور بلا نوم ولا زاد، لكن كل هذا سيتوقف اليوم، سيتوقف مهما كان الثمن ومهما كانت التضحيات، إلي بشرطك أيها الشهواني التعس!

فيقول "فيليب" في الحال وكأن لم يسمع شيئاً، يقول متذللاً متوسلاً مستجدياً
- أعدك يا عزيزتي "سوار" أن لن تخلعي قطعة واحدة من ملابسك، كل ما أطلبه منك أن تحضري سيخ المدفأة الذي كنا نركي به نار عشقنا في ليالي الشتاء الدافئة، أحضريه واقحميه في مؤخرتي! لا تفعلي شيئاً سوى هذا، ولا أظنك ستجدين صعوبة في ذلك، فقد فعلت هذا الأمر مراراً من قبل، أريدك أن تقحميه فلا يظهر

منه شيئاً، ومهما صرخت أو تألمت أو استغثت، لا تأخذني بي رحمة، بعد ذلك، أنت حرة طليقة، توبي أو لا تتوبي، فلتترهيني إن شئت، ستكون هذه بمثابة ختم الحب الجميلة لعلاقة عشقنا!

فتهز رأسها مشمئزة بالطبع، وتقول وهي تكاد تفتك به غيظاً

- ختم الحب! سيخ في مؤخرتك هو ختم حبك! كان حري بي أن أشبهك بالماشية لا بفرس النهر، فالماشية يختمون مؤخراتها بالأختام الحامية ليميزوها، على أية حال! انكفى على بطنك لأنم مهمتي الأخيرة التعسة معك، عسى السيخ يخترق أمعاءك ويصيبك بنزيف داخلي يهلكك!

فيقول لا يزال مستجدياً ذليلاً

- أنا أعرف أنك محترفة وأن يدك رقيقة ولن تجرحيني أبداً، هيا أحضري السيخ بسرعة ونفذي شرطي... معذرة! نفسي رجائي الأخير، وأعدك أنه بعد دقائق معدودات من الآن ستكونين أطهر من القديسات، وأصدق توبة

فتنظر إليه شزراً وتقززاً، ومن نظرة عينها يبدو أن العرض مقبول ويمكنها تمريره، لذا لا تضع "سوار" ثانية واحدة وتحضر سيخ المدفأة، وتقف على الفراش بحيث "فيليب" بين قدميها، عار كما ولدته أمه ومنكفى على بطنه، وتكاد تتقيأ تقززاً إلا أنها تتمالك نفسها، وتمسك بالسيخ وتمده وتهم بالتنفيذ، إلا أنها تراجع في آخر لحظة، وكأن أحداً أمسك يدها، ثم تهز رأسها وكأنها تطرد التردد منه، وتعود

لتحمس نفسها أنها ما يفصلها عن إنهاء هذا الفصل الأسود النجس من حياتها، إلا أن تأتي هذا الفعل النجس، وتعود لتبدو حاسمة وعازمة مجدداً، وتمد السيخ، ثم مجدداً تتراجع في آخر لحظة، وعلى هذا الحال تكرر "سوار" الكرة أكثر من مرة، ولا تقدر على الإتيان بهذا الفعل، بينما الخنزير المستلقي بين قدميها يقول متحمساً

- هل عرفت الآن لم اخترتك يا عزيزتي "سوار" لتنفذي لي هذه الرغبة الأخيرة؟
برغم أنك تعلمين أنني باستطاعتي أن أستدعي ألف فتاة عذراء لتنفذه لي، أو ألف فتى حتى، لأنك ببساطة تجيدين عنصر- التشويق يا عزيزتي، هيا اشرعي الآن، فالمبالغة من أي شيء تفقده لذته

ومجدداً تتلقى "سوار" كلامه بغيض ومقت شديدين، لكن وكأن نظرة عينيها تشي- بأنها لا حيلة أمامها للتخلص من هذا الحيوان القذر، إلا أن تنفذ طلبه، لذا بلا إطالة تفكير تشرع مرة أخيرة في الأمر وتمد السيخ، لكن هذه المرة وكأن أحداً ضرب يدها حتى وقع السيخ منه على ظهر البائس "فيليب"، فيقول نشواناً متلذذاً

- آه! لم يكن هذا طلبي يا عزيزتي "سوار"، لكن لا بأس بالضرب كمقدمة، هيا احلمي السيخ ولا تضربيني به أخرى، إن كنت ولا بد ضاربتي بشيء، فأنت تعلمين مكان السوط جيداً!

فتقول "سوار" متحفزة متحدية وهي تنزل من على الفراش

- لا مقدمة ولا خاتمة أيها الحقير، لن أشتري توبتي وخلاصي من الله بمثل هذا الفعل الشاذ القذر، اقحم السيخ إن شئت أنت في مؤخرتك، سأنصرف الآن ولن تراني مجدداً أبداً، ولتفعل ما شئت ولتخبر من شئت بعلاقتنا البائسة المنصرمة، فقد أخبرت "سراج" زوجي بها بالفعل، أي نعم لم يسامحني كلياً بعد، لكنني واثقة أنه سيجد لي مكاناً في قلبه الواسع الرحيم في يوم ما، وحتى إن لم يسامحني، أفضل الموت حرقاً كما ساحرات "سيليم" عن أن يمسنني جسدك القبيح مرة أخرى، الوداع أيها المازوخي البدين البغيض

ويلتفت "فيليب" ويقول سريعاً وكأنه يحاول اللحاق بها

- قد يغفر لك خيانتك له، لكنه لن يغفر لك أبداً محاولتك قتل زوجته الثانية "زينب"!

فتلفت له وتقول في الحال حانقة وكأنها تعلم أنها كان ليساومها بهذه الورقة عاجلاً أم آجلاً

- أنا لم أحاول قتل "زينب" أيها المغفل! لكن هذا ما ضللتك وأغرتك به جاسوستك الوفية وخادمتي الخائنة "زبيدة"، كنت أعرف منذ أول يوم أحضرتها لخدمتي أنها ما هي إلا رسول غدر آخر من رسلك، وبصاص آخر حقير وضع ليتابع لك مل كلامي وأفعالي يوماً بعد يوم، خشية أن أكون أخونك مع رجل آخر مثلاً، أو أخونك مع زوجي ربها!

فيضحك "فيليب" مبهوراً بعض الشيء، لكن يقول واثقاً ماكرّاً لا يزال

- دعينا لا نتطرق لتوافه الأمور عزيزتي "سوار"، خيانة "زبيدة" لك كخادمة ووفاءها لي كجاسوسة لا شأن له بحديثنا، لكن السائق... معذرة! أعني القاتل الأجير الذي استأجرته ليدسس "زينب" وأولادها بعد خروجهم من منزلك هو شأننا الأهم، وما كان من "زبيدة" إلا أنها أخبرتني بموعد تنفيذك لجريمتك الشنعاء، وبنوبة انهيارك العصبي وندمك الصادق لدى بوابة الفيلا إذ سمعت أصوات صراخ وعويل الجيران والمارة بعد وقوع الحادث الأليم، لطالما أحببت هذا فيك يا "سوار"، أنك لا يزال لديك أطلال قلب تسكن بين جوارحك، بينما أنا فقد انتقل قلبي لمؤخرتي على الأرجح!

ويفجر في نوبة ضحك مستهتر استفزازي أخرى، لكنها تقطعها عليه واثقة قوية، وتقول له والشرر يكاد يتطاير من عينيها غيظاً وحنقاً

- علام تساومني أيها الأحمق وأنت أول العالمين أن "زينب" وأولادها لم يمسسهم أي سوء؟! وأن ما وقع أمام منزلي ليس سوى طيش شاب إنجليزي سكران آخر، دهس بسيارته "البويك" الفارهة حصان عربة الحنطور الذي كان ينتظر "زينب" وأبناءها، وأصاب السائق المسكين بكسر في ساقه، ثم فر هارباً بسيارته كعادة أي إنجليزي جبان، وأن هذا الصراخ والعويل من الجيران والمارة ما كان إلا لهول المشهد وفظاعة منظر الدماء، لمن لا تزال لديهم قلوب، لكن كيف لك أن تفهم ذلك

أو تتعاطف معه أو حتى تشعر به! إن كان قلبك الذي في مؤخرتك - كما قلت للتو - لا يستحبه ولا يحركه إلا سيخ المدفأة يقحم فيها!

فيبدو "فيليب" حيراناً مبهوراً، ويصمت قليلاً يتفكر في وجهة ما قالت، وفي كم الصدق والتحدي الذي لا يمكن أن يتحدث بهما أي مجرم أو متهم حتى، ثم يسألها متأثراً مرتبكاً

- إذن لم بكيت وانهرت لدى باب فيلتك عندما سمعت صوت الحادث؟! أليس لأنك أنت مدبرته؟ لقد أكدت لي "زبيدة" مراراً أنك ما دعوت "زينب" وأولادها إلى منزلك إلا من كيد ونية مبيتة بالشر، وأكدت لي أيضاً أنها سمعتك مراراً تتحدثين في الهاتف بصوت خافت مع رجل اسمه "عشان"، وأخبرته أن يحضر- لمنزلك في نفس اليوم الذي استقبلت فيه "زينب"، الساعة الـ ٣ عصراً تحديداً حسبما سمعتك "زبيدة"، ألم يكن هذا... ألم يكن رجلاً تتآمرين معه على شيء؟!

فتضحك "سوار" بشدة وبثقة، وقد انتزعت صولجان كرة الهيمنة والسيطرة على الموقف، وتقول بالطبع هازئة بلهجة ظافرة قوية

- كم أحمد ربي أنه وهبني هذا العقل الذكي المدبر، ما خططت له حدث بالتفصيل الرتيب، أتحدث بصوت خافت في الهاتف، ولا أرفع صوتي إلا عندما أنطق باسم الرجل، الرجل الذي تظنه قاتلي الأجير أيها السمين الأخرق! وهكذا وبالطبع

ستنقل لك السافلة الغبية "زبيدة" ما رأيته وسمعتة بالضبط، وها قد فعلت، ولم

تنتبه أنها هي بنفسها التي فتحت له الباب!

فيسألها مشدوهاً وقد افتضح ارتباكها

- فتحت له الباب! كيف ومتى؟!

فتمضي واثقة هادئة

- يمكنني أن أتلاعب الآن وأنت في أضعف لحظاتك، عار لا يستر عورتك إلا منشقة "فوطه" وجه، خائف مرتبك كطفل أضاع ثمن رطل الحليب الذي بعثته أمه ليشتريه، وأغريك وأسول لك وأخدعك بأنني تمكنت من استقطاب جاسوستك "زبيدة"، واستميتها وأغويتها بالمال لتعمل كجاسوسة مزدوجة لي عليك، لكن "سوار عبد القادر" هانم لا تقبل أن تنسب عاهرة خائنة مثل "زبيدة" لنفسها، سأريحك لأنني لا أريد الإطالة معك في هذا الحديث العقيم السقيم أكثر من ذلك، ما كان "عثمان" إلا صبي الجزار الذي أتعامل معه في "القاهرة"، ولأنني اعتدت دائماً أنني لا أجد عروق لحم باردة جيدة طازجة في "بورسعيد" ولا "بورفؤاد" كلها، فقد اعتدت أيضاً أن أبعث لأجلها خصيصاً من جزاري في "القاهرة"، المعلم "سباع" في "درب الجمايز" في حي "السيدة زينب"، على أن تكلف تكاليف رحلة الصبي "عثمان" كل مرة بالطبع، ولأنها غبية ضالة مضلة، فقد عرفها الصبي "عثمان" بنفسها وهي تقوده إلى المطبخ باللحم، لكنها لم تنتبه ولم

تسمع، لأن نية الشر والخيانة سد وحجاب يعني صاحبه على الدوام من التوصل للحقيقة، وقد فكرت مراراً أن أعد لك شطيرة من عرق اللحم البارد اللذيذ الذي أبرع في إعداده، لكن كل مرة كنت أفكر في ذلك، كانت تراودني فكرة واحدة بعينها تهلكني ضحكاً

- وما هي تلك الفكرة؟

فتجيبه "سوار" وهي تضحك غائظة إياه

- أنني أفضل أن أدرس روث الماشية بيدي في حلقك حتى تختنق به عن أن أعد لك طعاماً طيباً تهنأ وتتلذذ به!

فيصمت "فيليب" مجدداً حيراناً مشوشاً، ثم يسألها متصنعاً التماسك والسيطرة لا يزال

- إذن لم بكيت وانهرت لدى باب الفيلا عندما سمعت صوت الحادث؟

فتصمت "سوار" وتتجلى في وجهها علامات الندم، ثم تقول متحسرة

- بكيت لأنني أدركت يقيناً بعد زيارة "زينب" أنني لا أستحق لقب أم كما لا تستحق أنت لقب "سيد"، ولا حتى أستحق أن أنتمي لجنس النساء أو جنس البشر إن شئت، بكيت لأنني أمرت عاهرتك الخائنة "زبيدة" أن تترك "مراد" الطفل الرضيع ابن "زينب" الأصغريكي حتى تنفطر عيناه وقلبه سواء، أمرتها أن تتركه

ملوثاً بغائطه ولا تغير له حفاضه، حتى أكيد "زينب" وأغيطها وأشاهد ملامح نفورها وتقززها عندما تحمله وتشم رائحة غائطه الكريهة البشعة فيسألها "فيليب" مستحسناً متلذذاً متحمساً للفكرة الشيطانية

- وماذا فعلت عندما حملته؟

فتجيب "سوار" باكية مخذولة محسورة

- حملته ونظرت في وجهه طويلاً بغرام لا توجد لدى أمثالي الكلمات لوصفه، وكأنها تحمل الرب أو الملائكة بين ذراعيها، استغرقت دقيقة أو بضع دقائق تملي عينيها وتتغزل وتذوب عشقاً في ملامحه وكأنه عائد من سفر بعيد، ثم انهالت عليه بألف قبلة وكأنه معطر بالمسك والياسمين، ثم شكرتني على العشاء بلطف ورقة صادقين وكأنها تغرز خنجراً ثلماً مسموماً في صدري ببطء شديد، حينها أدركت أنني قد بلغت حدي ونفذ مدادي من الآثام والخطايا، أو وكأنها غرفة مشؤومة في قاع الجحيم، لم يعد فيها مكان لإثم واحد آخر، وأنني حتى لو أردت أن أرتكب أي خطيئة أو معصية، لما استطعت، ولو حتى كذبة أخرى أجامل بها ابنتي بأنني أحبها أكثر من شيء آخر في العالم، وحينها أدركت أيضاً أنني استحققت عن جدارة كل هذا الجحيم الذي جلبته على نفسي

فيهز رأسه ويقول مستنكراً

- بربك يا عزيزتي، ليس لدرجة الجحيم! لا تغالي في تقمص روح القديسات أكثر من ذلك، أذكر أنك كنت تتمتعين أحياناً بصحبتني، وكنت تضحكين وتمزحين كمراهقة طائشة

فتصرخ محتدة وعينيها حمراوين تلقيان بالشرر

- ليس هذا الجحيم الذي أعنيه أيها البائس الغبي! بل الجحيم الذي تجلبه معها كلما زارتني، الجحيم الذي جعلني أدرك وأؤمن أن عقاب وعذاب العصاة والزناة يجب أن يقع في الدنيا قبل الآخرة كما يقول الوعاظ ورجال الدين

فيسألها "فيليب" متحيراً مشوشاً

- لقد تهت منك! أي جحيم وعقاب وعذاب هذا الذي تعنين؟ ومن تلك التي تزورك؟

فتصمت ويملاً عينها خوف ورهبة لم أرهما من قبل في عيني بشر، ثم تقول فزعة جزعة

- سمعت مراراً عن ملك الموت، وملك البوق، وملك الروح الأمين، لكنني لم أسمع يوماً بملك الزناة، كيف لها أن تكون ملكاً وهي تدعوني إلى استباحة الرذيلة؟ تدعوني إلى إتيان الشهوة؟ تدعوني إلى الانضمام لفريقها من العصاة والزناة وإلا ستفتك بي وتذيقني الويل والهلاك

فيضحك "فيليب" بقوة ضحكة سخرية واستهزاء ويقول هازئاً

- لقد جنت المرأة! تزعم أنه شيطانة قوادة تدعوها للعمل معها كعاهرة باخورها السفلي!

فتضحك هي ساخرة حزينة بدورها، وتقول هازئة والمرار يحتل ملامحها ولهجتها

- عندما سألتها لم تأخذيني أنا فقط بذنبي وشهوتي وتطلبي أن أنضم لكيتبتك من جنود الشياطين وتركين أمثال "فيليب"؟! الذين لم يفهم ممارسة الزنا السوي مع النساء، ولم يشبع شبقهم وشهوتهم المسعورين، فانقلبوا شواذاً لوطين يمارسون الرذيلة مع الرجال والأطفال والكلاب الضالة حتى، أتعرف بم أجابتي؟

فيتلعب ريقه بصعوبة وقد تملك الخوف من نفسه رغماً عنه ويرد ساؤلها

- بم أجابتك؟

فتضحك "سوار" شامطة فرحة وتحجبه

- ربتت على كتفي وطمأنتني ووعدتني أنه بناء على رغبتني ونزولاً على طلبي، وكعربون صداقة وحسن نية لي، فزيارتها القادمة... ستكون لك!

وهنا تغلق "سوار" باب الشاليه راحلة وهي تضحك ضحكة الطير المذبوح، وبالطبع "فيليب" يصرخ مستنجداً مستغيثاً وهو يحاول اللحاق بها لدى الباب ويتدثر بالملاءة

- انتظري يا "سوار"! انتظري يا حبيبتى! من هي؟ وما اسمها؟ ومتى ستأتيني؟
أقسم لك يا "سوار" إنني سأعيد لك سمعتك الطيبة وستحلف بها "بورسعيد"
كلها، وسأعينك حتى مديراً للعلاقات العامة في الهيئة، ثماني علي ما شئت، لكن
أرجوك يا "سوار"... أرجوك اصرفها عني ولا تجعلها تؤذيني، أرجوك يا
"سوار"... "سوار"!

تنظر إليه "رانيا" متحيرة مشوشة، وتسأله بإصرار وهي جزعة قلقة
- لا انت حكيتلي حاجة إمبراح ولا عاوز تحكي لي حاجة النهاردة، انت إيه حكايك
يا جدع انت! ماتقلقنيش أكثر ما أنا قلقانة
ولا تلقى رداً وكأنها لم تقل شيئاً، ولا يزال "وليد" محملاً محمداً في البحر البعيد،
الذي على مرأى منه عبر نافذة غرفة الجلوس التي يتناول إفطاره فيها، يحدق فيه
و كأنه يراقبه، أو وكأنه وجل منه مرتاب، ملامح الإشفاق واليأس التي تحتل وجهه
تمزق فؤاد "رانيا"، فتقول له مشفقة عليه صادقة اللفظة
- انت مابتكلش ليه يا حبيب...
ثم تتلفت حولها حذرة أن يكون أحد في الجوار، أو ربما تكون كبيرة البصاين
مدبرة المنزل "سماح" في جولة جاسوسية أخرى لصالح السيدة "خديجة"، وإذ لا
تجد أحداً تقول له هامة

- مش ده البيض الأومليت الي انت بتحبه وكنت بتاكله مننا وإحنا عيال، ده انت ملمستوش حتى يا "وليد"! لا هو ولا أي حاجة تانية على السفرة، ده أنا عاملالك الفول بالطماطم بإيدي، أنا الي مابغسلش كوباية، وقفت حضر تلك الفطار ده كله، وبعد التعب والمجهود د كله يا سي "وليد" ماستحقش حتى تدوق أكلي وتجاملني فيه!

فينظر لها "وليد" بوجه ذابل شاحب قتل إجهاداً وتفكيراً، وعينين حمراوين لم تريا النوم الهنيء العميق منذ شهور ربما، ثم يقول بعد تنهيدة طويلة بلهجة مهزومة

- في أصعب لحظات الألم والتعب الي عشتها في حياتي، سواء في التمرين أو في البطولات، وحتى في اللحظات الي ناس كتير جداً كانوا يقولوا "وليد" وقع ومش هيقوم تاني، حتى أهلي أحياناً! كنت بلاقي دائماً قوة غريبة مش عارف جاتلي منين، بتخليني أقوم وأقف تاني، و"ألعق جروحي" زي ما يقولوا، وأبدأ من جديد، ودايماً كان فيه إرادة وعزيمة جبارة برضة مش عارف جاية منين، كانت دايماً ليها الكلمة الأخيرة، الواد الياباني "ماسيهارا" مرة اداني ضربة "ساكن كاجي تسوكي"... أو الي انتوا بتسموها "خطافية"، لبست في دقني، تقريباً كدة أغمى عليا، وخلاص كان الحكم قدامه ثانية ويطلب "هانتيه"... قصدي الحكم النهائي وينهي المباراة، والله العظيم يا "رانيا" كأن حد قومني، وقمت ملبسه واحدة "توبي ماواشي جيري"... قصدي ضربة دائرية برجلي في وشه، هو المرة دي الي أغمى

عليه، القصد! كل مرة كنت باقع، كنت باقوم، حتى ولو بعد فترة، ولو ماقمتش لوحدي، كان ربنا داياً بيعتلي حد يقومني، كل مرة لو عزيمتي خلصت، كنت فجأة ألاقي كل عزم الدنيا اتجمع في جسمي وقلبي وعقلي، وألاقي إرادة وحاس يخلوا كل جسمي يشعل نار، المرة دي، لا لاقى عزيمة ولا عزيمة ولا إرادة، ولا عارف أقوم لما وقعت، ولا لاقى حد يقومني، عرفتني ليه بقى مادقتش الفول بالطماطم بتاعك!

وتتبه "رانيا" لنفسها وهي فاتحة فمها ربها دهشة واستغراباً، أو ربها عجباً وإعجاباً بهذا القدر من الصدق في التعبير عن الذات، ربما لم تسمع أحداً يتحدث عن مشاعره المتخبطة وتشوشه وعزيمته وهزيمته بهذه البلاغة وذلك التواصل مع عقله وقلبه من قبل، وكأن لسان حالها يقول "حتى وأنت مهزوم... أو تظن أنك مهزوم يا "وليد"، قادر على أن تبدو قوياً متماسكاً عزيزاً"، ويتبه هو لها أنها لم ترد على أيّاً مما قال، وقبل أن ينظر في عينيها تشيح بوجهها بعيداً وكأنها تنظر في غير اهتمام لأي شيء آخر، حتى لا يفتضح الهوى في عينيها أكثر من فضحيته، فيسألها "وليد" أخرى هذه المرة وهو المتعجب

- ماقلتيش حاجة يعني!

فتنظر إليها مدعية لا تزال التماسك وعدم الانغماس فيه وترفع كتفيها في حيرة ثم تحييه بصوت يرتعش رغباً عنها بما يخفيه نفسها

- بص! أنا ممكن أقولك ماتخافش أنا جنبك وعمري ماهسيبك تواجه الموضوع ده

لوحذك، بس بصراحة، هابقى بالكذب على نفسي!

فيسألها مستغرباً

- تكدي على نفسك! ليه؟

فتنظر في عينيه لشوان، ثم تشيح بها سريعاً مجدداً ثم تقول وهي تقلب فيما تبقى في

طبق إفطارها

- لأن أنا مستمتعة جداً بإحساسي إنك أقوى راجل في العالم

فيضحك دهشة، ثم طرباً بتلك المجاملة رائعة التوقيت، ثم يقول مرتبكاً كطفل

خجول

- أقوى راجل في العالم حته واحدة! وإيه بقى يا ستي اللي مخليكي حاسة إني أقوى

رجل في العالم؟

فتجيب في الحال وكأن عقلها الباطن أعد الإجابة منذ الأزل

- لا بطولاتك ولا ميدالياتك ولا مصطلحات الكاراتيه العجيبة اللي انت عمال

تقول من الصبح دي، ولا حتى حربك المصيرية مع "سوار" اللي عاوزة شجاعة

وعزم الجبال، انت أقوى راجل في العالم لأنك أضعف رجل في العالم!

فيتبسم "وليد" لا يزال معجباً ومنسجماً بالموقف برمته، ثم يسألها مزهواً زهواً حميداً

- تيجي إزاي دي؟!

فتجيبه في الحال مجدداً

- انت أقوى راجل في العالم في عيني ببساطة... لأنك شجاع جداً وقوي جداً وصادق جداً في الحديث عن ضعفك وخوفك وإحساسك بالهزيمة واليأس، وده اللي مخليني واثقة تماماً ومتأكدة جداً زي ما أنا شايفاك كدة، إن أياً كان التحدي اللي مستنيك والمعركة الجاية اللي انت مقبل عليها، فما هي إلا لعب عيال وحاجة تافهة، قدام واحد بالقلب السليم الجميل ده، والعقل القوي المنظم اللي عارف ينظم أفكاره حتى في أسوأ وأصعب الأوقات... بس كدة!

فيضحك "وليد" ضحكة فرحة طفولية لا يخاف إبداءها، وكأن يعلمها ويعلمها أنه فرح مسرور بما قالت، وأن ما قالته ربا بث الروح في روحه، ثم يسألها متحمساً بشحنة الطاقة الإيجابية التي تلقاها منها لتوه

- كنت بتسألني عن إيه بقى يا ستي؟

فتجيبه متحمسة لحماسته

- كنت بأسألك عن "سوار"، انت جيت إمبراح الساعة ١١ وماعرفتش أنكلم معاك ١٠ كلمات على بعض، ونمت حتى من غير عشا، ودلوقتي مش عاوز تفتطر، كل وانت بتحكي بالتفصيل الممل جداً عن كل اللي شفته وعرفته إمبراح

فيقول "وليد" لا يزال مقبلاً متحمساً وهو يقرب طبق الفول وقد انفتحت شهيته

- بس كدة! بقى أجهل بنت في "بور سعيد" محضري الفطار بإيديها، وعاملالي أحلى طبق فول بالطماطم في خط القناة، وعمالة تحايلني عشان أكل، وأقدر أرفضها طلب! بصي بقى يا ستي...

ويبدأ "وليد" في الحكى وهو يلتهم الإفطار التهاماً، و"رانيا" جالسة أمامه مشدودة منجذبة بكل ما فيها لما يحكيه وما تسمعه، تفتح فمها تارة مندهشة، وتارة تضحك بقوة، وتارة تضع يدها على فمها خجلة، وظلا على هذا الحال قرابة الساعة، هو يحكي ويأكل ويتلذذ، وهي تسمع وملامح الاستمتاع والتفاعل والانجذاب تجعلها أكثر طفولية منه، وبعدما يفرغ من الحكى والأكل سواء، يتراجع في مقعده ويقول بعد تنهيدة شبع راضية طويلة

- الحمد لله! أما حته فطورة يا بت يا "روني"، شوية فول يدرسوا في معاهد الطهو العالمية، تسلم إيديكي وعينيكي فتقول "رانيا" مستغربة مستنكرة

- فطورة إيه وفول إيه يا جدع انت! هي الحكاية خلصت على كدة خلاص؟! فيhez رأسه بالإيجاب بملامح متعجبة مستنكرة مثلها، فتردف سائلة وقد ازدادت دهشتها

- يعني "سوار" الإنسانية طلعت غير "سوار" الجنية؟

فيهز رأسه بالإيجاب مجدداً، ويقول متخماً مازحاً وكأنه لا يبالي بالأمر برمته

- "سوار" الجنية ماطلعش اسمها "سوار" أصلاً

فتقول متعجبة

- كمان! أmaal انت قلتي إنها طلعتك قبل كدة وقالت لك إن هي "سوار"!

فيقول مازحاً ساخراً

- لأ ما هي طلعت متحلة شخصيتها

- متحلة شخصيتها!

- أيوة... انتحال شخصية عفاريتي!

وينفجر ضاحكاً على مزحته السمجة، وهي تنظر إليه مغتاظة ثم تقول وهي تهز

رأسها متعجبة

- سبحان الله! اللي يشوفك دلوقتي مايشوفكش من ساعة، أنا باتكلم بجدي يا

"وليد"، بطل تهريج!

فينظر إليها بعين الرضا ويقول متراوحاً ما بين المحبة والامتنان

- ربنا يريح قلبك زي ما ما ريحتي قلبي، ويسعدك ويشرح صدرك زي ما شرحتي
صدري كدة

ومجدداً تكاد تنزلق لهاوية العشق وتبادلته محبته بمحبة وثناء بثناء، لكن سرعان ما
تندارك وتقول متصنعة القوة والرصانة

- طيب يا سي "وليد" متشكرين على الدعوتين الحلوين دول، إيه بجد بقى حكاية
إن الجنية دي منتحلة شخصية "سوار" الإنسية، وليه انتحلتها أصلاً؟ وهي مين
واسمها إيه وإيه حكايتها؟ هو مش اللي اسمه "عامر" ده قالك برضة؟

- أيوة قالي طبعاً، وهو أنا كنت أسببه من غير مايقولي على كل حاجة! بصي بقى يا
ستي، أولاً صلي بينا على حضرة النبي

- عليه الصلاة والسلام

- زيدي النبي صلاة!

فتقول ضاحكة نافذة الصبر

- أستغفر الله العظيم... عليه الصلاة والسلام! مابيهزروش في الحاجات دي على
فكرة!

فيقول "وليد" مشفقاً وجلاً

- لما تسمعي الحكاية هاتعرفي أنا ليه باصلي على النبي كثير، واستعيذي بالله من الشيطان كماإن

فقول "رانيا" فرحة عابثة كالأطفال وقد اتسعت عيناها بالتشوق واللهفة

- الله! أنا باحب الحكايات الرعب أوي

فيقول "وليد" بلهجة جادة آمرة

- يلا استعيذي! قولي "رب أعوذ بك من همزات الشياطين، وأعوذ بك رب أن يحضرون"

فتكرر الدعاء مطيعة في الحال، حتى يبدأ "وليد" الحكيم قائلاً

- أولاً ماتقدريش تقولي إن "سوار" الجنية جنية فعلاً

فتسأله "رانيا" مستغربة

- تيجي إزاي دي! يعني هي جنية واللا مش جنية؟!

- هو اللي أنا افترضته إن سكان البحر كلهم بما فيهم "كحلة بنت برقان"... قصدي "سوار"، كلهم من الجن، مع إن "عامر" ماصر حليش بذلك بشكل مباشر

- الله اسمها حلو وغامض أوي... "كحلة"! بس إزاي برضة "عامر" ماصر حلكش بشكل مباشر إن سكان البحر من الجن؟!

- أيوة يا بنتي، ما أنا زي ما حكيتلك، كل ما كنت أسأله بشكل مباشر وصريح "إنتوا من الجن يا "عامر"؟"، يرد بشكل مراوغ، مرة يقولي "انت مش شايف إحنا بنعمل إيه! مافيش بشر يقدر على الي إحنا بنعمله ده"، لكن ماقلهاش صراحة كدة "إحنا من الجن"، مع أنا بارجح ده جداً

- تفاصيل تفاصيل! خش في المفيد، ماها "كحلة بنت برقان" بقى؟ إيه حكايته؟
- "كحلة" يا ستي كانت واحدة منهم وعاشة معاهم زي الفل، وكانت شابة يهودية جميلة جداً

- يهودية! هما الجن فيهم يهود؟!

- ما أنا سألت "عامر" نفس السؤال برضة، قالي إنهم زينا بالضبط وعندهم حرية العقيدة وعندهم كل الديانات، المهم! قالي إن "كحلة" دي كانت طيبة ولطيفة جداً وكل الناس كانت بتحلف بأخلاقها، وكانت متجوزة راجل منهم اسمه "ميمون السحابي"، وبرضة كان شاب وسيم وطيب جداً وأخلاقه كويسة، ولما سألته "ميمون" ده كان بيشتغل إيه، قالي إنه كان من خدام الريح

- خدام الريح! إيه خدام الريح دول كمان؟!

- لما سألته قعد يراوغ برضة وماجاوبش، المهم! "كحلة" و"ميمون" وعيالهم الاتنين كانوا عايشين في سعادة واستقرار زي بقية سكان البحر، لحد في يوم من

الأيام ابثدت "كحلة" تلاحظ إنه ابتدا يتأخر في شغله ومايرجعش لأيام أحياناً، المهم هي ماشكتش في حاجة في الأول، لحد ما في يوم لقت زمايله راجعين من غيره، ولما سألتهم "ميمون" مارجعش معاهم ليه وليه هو بقى بيتأخر لأيام في الفترة الأخيرة، اتهربوا منها ومادروش يردوا، فزاد شكها، المهم لقيته راجعلها بعدهم بيومين بحالهم، ماعتبتوش ولا لامته ولا كأن حاجة حصلت، المهم الرحلة الجاية قررت تتبعه في شغله بعد ما استأذنت من "عامر" طبعاً، وبعد ما حكته على شكوكها ومخاوفها

- ليه! هو "عامر" ده زي الرئيس بتاعهم كدة؟

- ما أنا سألته نفس السؤال بالضبط، رد وقالي حرفياً "حاجة زي كدة"، المهم! تتبعته "كحلة" لقيته ببساطة بيقابل واحدة ست تانية، بيقابلها على الشط اللي قدام الكباين الشرقية مباشرة

- ست مين دي؟!

- ست إنسية، من البشر

- إيه! إيه يا عم جو فيلم "الإنس والجن" ده!

- ما هو ده برضة اللي قلته لـ "عامر"، قالي إن الحب ما بين الإنس والجن ورد عيه الذكر في الأثر كثير جداً، وإن فيه علماء دين كمان أفتوا إن الجن ممكن يحبوا الإنس عادي، ويتجوزوهم كمان، المهم! قعدت "كحلة" تمشي- ورا "ميمون" وتتبعه في

رحلاته عشان تشوف الموضوع ده أخرته إيه، ممكن يبقى نزوة وتعدي، لحد اليوم اللي سمعته يقول للست الي كان بيقابلها دي إنه مش قادر يبعد عنها ولازم يتجوزها

- يا نهار أبيض! لدرجة يتجوزها!

- أيوة! المهم رجعت قبله، واستنته لحد ما رجع وواجهته باللي عرفته وشافته، وبدل ما يتكسف "ميمون" على دمه ويعتذر لها ويطلب السماح، لأ ده ثار وغضب وكسر البيت على دماغها وضربها علقه موت، وهددها إنها لو فتحت معاه الموضوع ده تاني أو حاولت تتدخل فيه بأي شكل، هياخد عيالهم الاتنين ويخفيهم في مملكة أخرى من ممالك الجن عمرها ماها تعرف توصلها

- طب هما ما عندهومش قانون يحمي الزوجة؟ ما عندهومش أقسام شرطة؟ ما عندهومش نيابة؟ ما عندهومش محاكم؟ أي حد تروح "كحلة" تشتكيه الظلم والجبروت الي "ميمون" عمله فيها؟

- ما هو ده بالضبط الي سألته لـ "عامر"، قالي عندهم أقسام ومحاكم ونيابات وقانون وسجن وكل حاجة، لكن في ممالك أخرى، القبيلة بتاعتهم كانت ماشية كدة بحاجة تقدري تقولي شبه الأحكام العرفية، يعني زعيم القبيلة هو القاضي والحكم والحاكم وهو الي يفصل في كل شيء

- الي هو "عامر"؟

- بالضبط، فطبعاً سألت "عامر" عمل إيه لما جت "كحلة" اشتكت له من اللي عمله "ميمون" فيها، قالي إنها ماراحتش اشتكت له أصلاً، وإنه ماعرفش أي حاجة عن موضوع خيانتته وضربه ليها وتهديداته إلا بعد فوات الأوان، وإنه كان من ضمن تهديداته ليها إنها لو راحت اشتكت لـ "عامر" أو لو حككت الي حصل ده لأي حد، هانفذ كل تهديداته

- طب عمل إيه المنيل على عينه "ميمون" ده بعد ما عمل فيها كدة... يا عيني يا "كحلة"! حتى ستات الجن مظاليم كدة وحقهم ضايع!

فيضحك "وليد" بشدة ويستأنف قائلاً

- في يوم راح "ميمون" على معاده مع الست الإنسية الي كان بيحبها عشان يتجوزها خلاص، لقاها ماجاتش المعاد، مع إنها عمرها ما خلفت معاد، طبعاً "ميمون" كان زي المجنون، فاتجراً وراحلها بيتها، مع إن قانون سكان البحر يمنع عليهم تماماً دخول البيوت إلا بإذن أصحابها، ومادام البشر- مش شايفينهم ومستحيل ينفع سكان البحر يستأذنوا منهم بأي حال من الأحوال، فتبقى القاعدة مطلقة وهي إن ممنوع على سكان البحر دخول بيوت البشر نهائياً

- طب حصل إيه لما "ميمون" راح بيت حبيبته الإنسية ده من غير إذن؟ اتحرق؟

فيضحك "وليد" بشدة مجدداً ويحجب ساخراً

- انتي فيلم "الإنس والجن" مسيطر على دماغك تماماً، وعلى دماغي أنا كمان! لأن ده السؤال الي سألته لـ "عامر"، فرد ببساطة وقال "المؤمن عمره مايتحرق، حتى لو عصي وأذنب"، المهم! لما راح "ميمون" البيت لقي الي عمره ما كان يتصوره ولا يخطر له على بال

فتسأله "رانيا" كطفلة شديدة اللهفة والتشوق

- الله! دي الحكاية احلوت أوي، لقي إيه؟

فيهز "وليد" رأسه ساخراً ثم يجيبها بلهجة سينمائية ترضي تشوقها ولهفتها

- لقي الست الي كان بيعحبها دي...

- معلش... أسفة للمقاطعة... هي اسمها إيه الست الإنسية دي؟

- ما أنا سألت "عامر" كذا مرة مرضيش يقولي، وقال إنه ممنوع عليه كليا البوح بأي سر من أسرار البشر حتى أسماءهم، ولما سألته ليه قالي "الي ستره ربه مايفضحوش عبده"، المهم... الله يسامحك نسييتني كنت باقول إيه!

فتقول "رانيا" لا تزال عابثة متلهفة

- كنت بتقول لما دخل "ميمون" البيت لقي الي عمره ما كان يتصوره

- أيوة! لقي عيلة الست الإنسية دي متجمعين بالكامل في صالة البيت ومعاهم

شيخ

- شيخ! شيخ إيه؟ شيخ جامع؟ إمام يعني؟

- أيوة شيخ، بس مش شيخ جامع، شيخ من بتوع الناس الملبوسين بالجن، أو بالبلدي شيخ من الشيوخ الي بيطلعوا العفاريات، أتاري عيلة الست دي كانت متابعين تصرفاتها طول الفترة الي كانت بتقابل فيها "ميمون"، ولما لقوها بتقف على البحر لساعات تكلم نفسها، أو بتكلم حبيبها "ميمون" الي هما مش شايفينه، طبعاً قالوا إنها اتجننت من الحزن على جوزها الضابط الي استشهد في حرب "القرم" من أقل من سنة، طبعاً أنا استنتجت من كدة إن الحكاية دي برمتها حصلت تقريباً سنة ١٨٥٦، ١٨٥٧... في الحدود دي يعني

- يا نهار أبيض! ١٨٥٦! ده الموضوع قديم أوي على كدة، بس إيه حرب "القرم" دي يا "وليد"؟ عمري ما سمعت عنها

- طبعاً! عشان عمالة تدحي في كيميا وأحياء، هاتعرفها منين! حرب "القرم" يا ستي دارت ما بين الإمبراطورية الروسية والدولة العثمانية ما بين سنة ١٨٥٣ و١٨٥٦

فتسأله "رانيا" مستغربة فضولية

- طب وإيه دخل "مصر" فيها؟

- "مصر" و"تونس" و"فرنسا" و"إنجلترا" قرروا يساعدوا الدولة العثمانية عشان جيشها كان منهك وضعيف، وفعلاً نجحوا في هزيمة الروس في النهاية

- وطب ليه الروس...

- عشان كانوا طمعانين يضموا "شبه جزيرة القرم" للإمبراطورية الروسية،
"رانيا"! مش وقته، هابقى أحكيلك قصة وأسباب حرب "القرم" بالتفصيل
بعدين، ركزي!

- آه صحيح! لا مؤاخذه! طب أهل الست حبيبة "ميمون" دول ماعرضوهاش ليه
على طبيب نفسي بدل التخاريف... قصدي موضوع الشيخ ده؟
- ما هو ده السؤال اللي سألته لـ "عامر" برضة، يخرب بيت توارد الخواطر، ما تيجي
انتي تكلمي الحكاية لاحسن بقي وجعني من الكلام!

فتقول "رانيا" متدللة مازحة

- مش وقت غلاسة خالص، كمل حالا! مش انت اللي لسة قايلي من شوية ركزي!
فيضحك "وليد" سعيداً فخوراً بنفسه وبأسلوبه الفريد في سرد الحكايات، ثم
يمضي منسجماً

- لما سألت "عامر" قالي إن أهل الست حبيبة "ميمون" دي كانوا هياخدوها
"القاهرة" خلاص عشان يعرضوها على طبيب نفسي، لكن في اللحظة الأخيرة
أخوها اقترح إنهم يجييوها الأول شيخ من اللي بيطلعوا العفاريت كإجراء يائس
آخر، وأهوه الشيخ وصل لحاجة بركة، ماوصلش هما في كل الأحوال كانوا

هايعرضوها على طبيب نفسي، المهم! جابوا الشيخ، بالصدفة في نفس اليوم الي قرر "ميمون" إنه يكسر كل القواعد والمحظورات ويروح بيت حبيته الإنسانية، ومن كتر حبه فيها قرر حتى يحضر الجلسة الي عاملها الشيخ، وفي الجلسة دي حصل الي مكانش حد أبداً يتخيله... حتى "ميمون" نفسه!

- الله الله! حصل إيه؟ حصل إيه؟

- الشيخ بطريقة أبو بأخرى حس بوجود "ميمون" وحضوره الجلسة

فتصرخ "رانيا" على رغمها من فرط المفاجأة والتشويق

- يا نهار أسود!

- وابتدى الشيخ يوجه كلامه لـ "ميمون" بشكل مباشر، ولأن "ميمون" أعماه

الحب ونسأه كل المحرمات والمحظورات بين عالم البشر- وعالم الجن، وقع في

المحظور وابتدى يرد على الشيخ بتحدي وبغضب حتى، ومش كدة بس، ده ابتدى

يكسر المكان، ويقولهم بأعلى صوته بصوت خفيف يلقي الرعب في القلوب "فلانة

دي بتاعتي، فلانة دي ملكي، ماחדش يقدر ياخذها مني"

- يا نهار أسود! حرام عليك يا "وليد" قلبي هايقف... كفاية يا "وليد"!

- ولما الشيخ ابتدا يقرأ آيات من القرآن ويقول "فلانة مش ملكك ولا ملك حد، فлана ملك الي خلقها بس"، فرد "ميمون" - أستغفر الله العظيم - بتحدي وصرخ زي المجنون بصوته الجهوري "الي خلقها نفسه مايقدرش يمنعني إن أخذها"

فتقول "رانيا" وقد انقلبت لهفتها جزعاً وتشوقها فزعاً

- يا نهار أسود! أستغفر الله العظيم! سلام قولاً من رب رحيم

- ولما الشيخ ابتدى يلعنه ويقرأ عليه آيات القرآن بصوت أعلى وبتحدي أكبر، زاد عناد "ميمون" وابتدى يشد حبيته قال عشان عاوز ياخذها معاه، مرة يشدها من رجليها وهو يقول بأعلى صوته "تعالى! مش هاسيبك"، وأهلها يصرخوا ويشدوا فيها بكل قوتهم وهما ميتين من الرعب، وياخدوها منه بالعافية، ٦ بني آدمين يشدوا قدام جني - أو أياً كان نوعه - واحد بس، وفجأة يلاقوها اتسحبت من بين أيديهم تاني لحد نص البيت تقريباً، أثاره المرة دي يشدها من أيديها، يقوموا يحروا عليها ويلحقوها في آخر لحظة ويقعدوا يشدوا فيها، والشيخ معاهم، فضلوا على الحال ده يبجي نص ساعة، هو يشدها وهما يجيبوها من إيديه في آخر لحظة، تخيلي نفسك بقى لو انتي في موقفهم، بتشدي شخص وحاجة خفية بتشده من الناحية الثانية!

- يا نهار أسود! ده أنا كنت أموت، مع إن أنا قلبي جامد وناشفة وما بخافش بسهولة زي ما انت أكيد عارف، بس مش للدرجة دي، المهم حصل إيه في النهاية بعد المجزرة دي؟

فيأخذ "وليد" نفساً عميقاً كأنه تعب من الحكي، ثم يرتشف جرعة من الشاي، ثم يستأنف

- في الآخر تعب "ميمون" وزهق زي أي معتدي بيحاول ياخذ حاجة مش حقه، وساب بحبيته وهرب، وأول ما رجع القرية أو المملكة أو أياً كانت الحطة الي سكان البحر عايشين فيها، طبعاً كان تائر وغضبان زي التور الهايج، وكسر باب البيت على "كحلة"، واتهمها بإن هي الي فضحت سره وعلاقته بحبيته الإنسية عند "عامر"، وإن "عامر" بدوره هو الي فضح سره عند الشيخ، وأعلن عن حضوره الجلسة فتسأله "رانيا" مندهشة مستغربة

- إيه ده! وده حصل فعلاً؟ قصدي ده ينفع يعني؟

- حصل، وينفع، و"عامر" فعلاً هو الي بلغ الشيخ بحضور "ميمون" الجلسة، لأنه كان عارف بعلاقة "ميمون" بحبيته الإنسية من أول يوم
- إيه ده! و"عامر" عرف إزاي؟

- إذا كان إحنا البشر بنراقب بعض وبنخبص وبنفتن على بعض طول الوقت، الجن والعفاريت مش هايعرفوا يعملوا كدة!

- طب وبلغ الشيخ إزاي؟

فيصمت "وليد" للحظات ويرتشف رشفة أخرى من الشاي، ويقول مغلظاً صوته محققاً بعينه وكأنه يتعمد إخافة "رانيا"

- بلغه زي ما انتي بتسمعي حاجات حد يبيلغها لك برضة في ودنك طول الوقت وانتي مش عارف مين اللي بيقولها لك، زي مثلاً لما تلاقي حد بيقولك في ودنك اليمين وانتي لسة مخلصه صلاة، ماتروحيش عيد ميلاد صاحبك "هبة" يوم الثلاث الجاي، لأن هي بتناقفك وتغير منك ولا عمرها حبتك، ولا هي صاحبك ولا حاجة، ولأن هي عارفاكي فقط لأنك انتي كريمة وبنت ناس، ودائماً إنتي اللي بتصرفي عليها في كل الخروجات، ده غير عزومات الديك الرومي والرز بالصنير والسّمك القاروس والوقار والدنيس وإشي وإشي... اللي عمرها ما كانت تحلم تدوقهم إلا في الفيلا الفخمة الجميلة دي، اللي هي عايشة في شقة أصغر من ربع مساحة أصغر أوضة فيها، وعاملة فيها بنت وزير وأبوها أصلاً مسجون ٣ سنين في قضية إيصالات أمانة عشان كان عامل شركة وهمية مع ناس ونصب عليهم

فتفتح "رانيا" فمها مشدوهة وتقول مصدومة

- إيه! إيه! دي قالتلي إن أبوها مستشار في وزارة العدل في "الكويت"!

فيهز "وليد" كتفه في غير اهتمام ويقول واثقاً

- وأنا مالي! أنا أصلاً ماعرفش مين "هبة" ولا عمري شفتها، ولا انتي عمرك كلمتيني عنها، أنا باقولك الي اتقالي، واللي اتقالك قبلي على ما يبدو!

فتصمت "رانيا" غارقة لا تزال في دهشتها، وكلما همت بقول شيء تغلبها حيرتها وارتابك عقلها، فيقطع "وليد" ذلك التخطيط ويقول عملياً

- عشان أريحك من الألف سؤال الي بيدوروا في راسك دلوقتي، لما سألتهم إنتوا بتشوفوا الغيب، رد رد مقتضب جداً وغامض وهو حذر جداً وقالي "في حدود! ماتحتلفش كثير عن حدود البشر-"، فسألته "انتوا بتنصحونا بالخير وتجنبونا الأذى؟"، رد وقالي "زي ما فيه مننا الي بيحضوكم على الشر- ويوقعوكم في الأذى"، وأخيراً سألته "طيب انتوا عايشين معانا ووسطنا؟"، فرد وقالي "زي ما انتوا عايشين معانا ووسطنا"، نرجع لموضوعنا بقى يا ستي؟!

فتنظر له "رانيا" بملامح ربما جمحت بفعل جرعة زائدة من الخوارق واللامعقول في جلسة واحدة، لذا يمضي "وليد" عملياً واثقاً لا ينتظر منها رداً، وهو المحنك في جميع فنون الدهشة والتعجب والصدمة والخوف وعجز العقل حتى ويقول

- المهم بعد ما دخل "ميمون" على "كحلة" واتهمها بأنه هي الي فضحت سره عند "عامر"، و"عامر" هو الي أعلن وجوده عند الشيخ، طبعاً كسر- البيت على جماغ "كحلة" وضربها علقه موت بجد ألعن من العلقة الأولانية، ونفذ تهديده وأخذ

عيالهم الاتنين وهرب من البيت، وساب "كحلة" بين الحياة والموت، المهم فاقت "كحلة" وقعدت تستغيث بآخر أنفاس باقية في جسمها، الجيران سمعوها وأنقذوها في آخر لحظة، وأول ما فاقت "كحلة" وشمّت نفسها طلعت تجري برة البيت زي المجنونة، وقعدت تجري بين الناس وهي بتصرخ وبتنادي على عيالها، وكل ما تسأل حد على عيالها يحط وشه في الأرض وكأنه عارف خبر وحش أو حزين وخايف يقولهولها، لحد ما وصلت لحدود مملكتهم، اللي هي شط البحر، وبالتحديد الشط المواجه للكباين الشرقية، أيوة! هو اللي كان بيقايل عليه "ميمون" حبيته الإنسانية، ولقت عيالها الاتنين للأسف... مدبوحين! وكأن "ميمون" بيلغها رسالة انتقامية أخيرة إن الشاطيء ده زي ما شهد أسعد أيام حياته، فلازم يشهد أتعس وأسود أيام حياتها، عقاباً ليها على تدميرها لقصة حبه، أو وكأنه بيقوله زي ما حرمتيني من أحلى حاجة كنت باحبها في حياتي، لازم أحرملك من أكثر حاجة بتحبيها في حياتك... حتى لو كان عياله!

فترفع "رانيا" رأسها بملامح ما بين الصدمة والحزن، ويهز "وليد" رأسه بأنه يعلم ما بداخلها وأنه يشعر بمثله وربما أدهى وأمر، ثم يمضي بلهجة غلبها الحزن

- المهم رocht بيتها وهي شايلة عيالها الاتنين كل واحد على إيد، ومانزلتش دمعة واحدة ولا صرخت ولا لطمت ولا صوتت ولا أي حاجة، وراحت نيمتهم على سرايرهم وقعدت على الأرض ما بين السريرين، ومسكت كتاب الحكايات

وقعدت تحكيهم حكاية زي ما كانت بتعمل كل ليلة قبل ما يناموا، لحد ما وصل "عامر" وقعد جنبها على الأرض، وقعدوا يبصوا لبعض كثير، وكأنه بيتوسل إليها إنه ياخذ العيلين عشان يدفنهم، فردت "كحلة" قالتله جملة واحدة بنفس الملامح الجامدة اللي مخبية وراها نار وحرقة تحرق الأرض ومن عليها، قالتله "لو ماجبتليش مكان "ميمون" في أقل من أسبوع، هاحرق قلب كل أم في المملكة على عيالها، زي ما قلبي محروق، وهاطلع عيالي من قبورهم وأنيمهم على سرايرهم... في حضن أمهم!"

- و"عامر" عمل إيه؟

- بعد ما شاف نظرة الألم والحزن الرهيبة في عيني "كحلة"، أدرك "عامر" يقيناً إن "كحلة" هاتعمل أكثر من اللي هددت بيه ألف مرة لو مانفذش اللي طلبته منه، مع إنه كان عارف وموقن برضة إن معنى إنه يبلغها بالمكان اللي "ميمون" هربان فيه، فده يعني حتماً إنها هاتنتقم منه انتقام مايعرفش بشر ولا جن ولا شجر ولا حجر يوصفه ولا يكتب عنه، بس "عامر" كان أمام الخيار الصعب، ما بين حياة أطفال المملكة وحياة "ميمون"، اللي هو في نظرهم بقى كافر وقاتل وخاين، والأدهى من كدة إن "كحلة" اشترطت شرط كان مستحيل "عامر" يقبله بصفته زعيم القبيلة

- اشترطت إيه؟

- اشترطت إنها لازم تجر راس "ميمون" في كل أنحاء المملكة ما بين الناس والخلايق، ليصير عبرة لكل راجل يخون ويتجبر ويطنى ويكفر بربه وبنعمته عليه فتسأله "رانيا" متلهفة وقد استفحل فضولها واستعر تشوقها

- وجابلها مكان "ميمون" بعد الشرط المنيل ده؟!

فيجيها "وليد" في الحال وهو يعرف بأن أعصابها لم تعد تحتل الإفراط في التشويق - في نفس الليلة! بس قعد يتحايل عليها ويتوسل إليها إنها ماتنفذش شرطها بتاع جر راس "ميمون" في المملكة، ووعدا إنه هايقبض عليه ويعدمه في محاكمة علنية أمام كل أفراد المملكة، الصغير منهم قبل الكبير، ليكون عبرة لمن لا يعتبر، ولما رفضت "كحلة" بشدة وقالتله إن النار اللي قايدة في صدرها مش هاتنطفي وحرقة وغل قلبها مش هايبردوا، إلا لما تغرق أيديها بدم "ميمون"، اضطر "عامر" إنه يخلي رجالاته وحرس المملكة يكتفوها ويحسبوها في بيتها لحد ما يروح يقبض على "ميمون"

فتسأله "رانيا" مستنكرة

- وليه "عامر" عمل كدة؟

- ما أنا سألته نفس السؤال، رد وقال لي إنهم أحرص على الدم من البشر، وإنه بيرفض تماماً انتشار ثقافة الانتقام والعنف في المملكة، وطبعاً لأنه كان متأكد مليون في المية

إنه "كحلة" هاتنتقم انتقام دموي جداً من "ميمون"، وبرغم إن "عامر" كان شافيف إن لها مطلق الحق في ذلك، لكنه كان واثق إن ده هايتحول لمثال ومنهج وعُرف ممكن أي حد من سكان المملكة يتبعه بعد كدة، وخصوصاً إن سكان البحر على حد وصف "عامر" "طبعهم غير طبعنا"

- طبعهم غير طبعنا إزاي يعني؟

- لما سألته السؤال ده بالحرف، كالمعتاد رد رد مبهم وغامض وقلبي إنهم لما حد فيهم بيقدر ينتهج العنف ويمارس الشر، مافيش حد في البشر يقدر يضاهيه ولا ينافسه، من أول "قاييل" اللي قتل أخوه "هابيل"، لـ "كاليجولا" و"أتيلاهوني" و"دراكيولا" و"أيفان البشع"، لأشر إنسان سيظهر إلى يوم القيامة، ولما طلبت منه إنه يفسر أكثر، قلبي إنهم أكثر ذكاء من الشر، أضعف من البشر لكن أخبث وأمكر، بالضبط زي الماء لما بيتسلل في مسام الحجر الصلب الجامد لحد ما يفلقه، يعني الجن أو الشيطان أو أياً كان مش بالضرورة يمارس العنف أو الشر- بنفسه، ده ممكن يوحى... أو بمعنى أدق "يوسوس" للبشر والجن سواء بممارسته نيابة عنه، حاجة كدة كأنه عامله توكيل، وأديكي بتشوفي حواليك كل يوم نتائج الوسوسة دي إيه، وكم جرائم العنف والقتل الفظيعة اللي إحنا عايشينها، ومش العنف بس، والسرقة والاغتصاب والنصب والمخدرات... إلخ

- طب ده كدة مايقاش جن بقى، ده يبقى شيطان والعياذ بالله؟

- ماهو ده الي قلهوله بالضبط، قتلته إن "إبليس" كان من الجن، ولما ربنا أمره بالسجود لسيدنا "آدم" رفض واستكبر، بنص الآية القرآنية {وإذ قلنا للملائكة اسجدوا لآدم فسجدوا إلا إبليس كان من الجن ففسق عن أمر ربه}، وكانت قناعته وأسبابه إنه أفضل من الإنسان وقال {أنا خير منه خلقتني من نار وخلقته من طين}، فطبعاً كان عقابه الطرد من الجنة ومن رحمة الله {قال فاخرج منها إنك رجيم، وإن عليك لعنتي إلى يوم الدين}، ولذلك قرر "إبليس" عليه لعنة الله الانتقام هو وذريته من جنس البشر كلهم {قال فبعزتك لأغوينهم أجمعين}، وقال في آية أخرى {قال فبما أغويتني لأقعدن لهم صراطك المستقيم، ثم لأتبعنهم من بين أيديهم ومن خلفهم وعن أيأانهم وعن شمائلهم ولا تجد أكثرهم شاكرين}، وقال في آية تالته فيها تحدي سافر والعياذ بالله لربنا سبحانه وتعالى {قال رأيتك هذا الذي كرمت علي لئن أخرتن إلى يوم القيامة لأحتنكن ذريته إلا قليلاً}

- معلش يا "وليد" انت عارفني قشطة في العربي! يعني إيه "لأحتنكن ذريته"؟

- تفسير الآية بكل بساطة يا "رانيا"، إن "إبليس" عليه لعنة الله يتحدي ربنا صراحة ويقول شايف الإنسان الي انت كرمته وفضلته عليا ده وأمرني بالسجود ليه، أنا بقى هاستولي عليه وعلى ذريته وهاستميلهم وأغويهم وأضلهم عن الطريق المستقيم، لحد ما استأصلهم وأدمر أكبر قدر منهم ومن ذريتهم

- طب "عامر" رد عليك قالك إيه بعد الكلام الثقيل ده؟

- بصلي بإعجاب، زي بالضبط لما الأستاذ يبص بإعجاب لتلميذه الي مذاكر كويس، ورد وقال "طب لما انت عارف كل حاجة بتسأل ليه!"

وتصمت "رانيا" قليلاً وكأنها تجمع أجزاء اللغز في رأسها، ثم تقول فجأة متحمسة

- يعني دلوقتي أفهم من كدة إن "عامر" منع "كحلة" إنها تاخذ تارها بإيديها من "ميمون" وتقتله أولاً عشان مبدأ العنف والتار والدم بالدم مايقاش عُرف ومنهج في مملكة سكان البحر، زي ما هو عُرف عندنا في الصعيد كدة، وثانياً لأن الرغبة في الانتقام في حد ذاتها هاتجعلها أشبه بشخصية "إبليس" وحقده ورغبته في الانتقام، وتكبره عن إطاعة الأمر بالرغم من اقتناعه به، مش الموضوع أقرب لكدة برضة؟

فينظر إليها "وليد" بإعجاب بل ويصفق لها، ويقول مازحاً مادحاً

- آمال لو بتدرسي فلسفة زيي كنت عملتي إيه!

فتضربه في كتفه شربة ودودة وتقول لائمة متدللة

- أنا باتكلم جد جداً على فكرة، وكمان الموضوع مش محتاج فلسفة عشان تحلله، هل كل حكماء الدنيا كانوا درسوا فلسفة عشان يعلمونا الحكمة؟

فيقول لا يزال مازحها بلطف

- وده يجعلك حكيمة بالضرورة! لأن الحكماء أصلاً هما الي صنعوا علم الفلسفة، وأديكي أهوه بتصنعي فلسفة بحكمتك، حكمتك يا رب!

فتضربه أخرى في كتفه بقوة أكبر ودلال ألطف

- كل ما هاتريق كل ما هاضربك، زي ما كنت باروقك وإحنا عيال لحد ما تروح
تشتكي لما متك!

فيمسح على كتفه وكأنه يتألم ثم يقول ساخراً

- ده أنا لو باتضرب كدة في ماتشات الكاراتيه كان زماي بطل العالم من زمان!

فتهم بضربه أخرى فيرفع يده متوسلاً، ويقول متطلفاً

- "ياسومي ياسوي!"

- وإيه "ياسومي" دي كمان؟!

- يعني استراحة في الكاراتيه، هدنة بعني، نتكلم بجد بقى، التحليل الجميل اللي
انتي لسة قايلاه يا "رانيا" والله هو اللي قاهولي "عامر" بالضبط، إن الحق والتكبر
والرغبة العمياء في الانتقام هما اللي حولوا "كحلة" من مجني عليها لجانية، من
ضحية لمعتدية، من جنية طيبة، لشيطنانة منبوذة، تقريباً زي "إبليس"

- ليه؟ هي عملت إيه بعد كدة؟

- بعد ما "عامر" راح قبض على "ميمون" بنفسه وحاكمه في محاكمة علنية فعلاً زي
ما وعد "كحلة"، وحكم المحلفين والمستشارين على "ميمون" بالإعدام قبل
"عامر" نفسه، نفذ عليه حكم الإعدام وشنقه قدام المملكة كلها في نفس اليوم اللي

صدر فيه الحكم، لكن الغريب إن "كحلة" ما حضرتش تنفيذ حكم، ولما راحلها "عامر" البيت بعد تنفيذ الحكم يفرحها، ويقولها إنه خد لها بتارها من "ميمون" وشفى غليلها، مالفهاش في البيت أصلاً!

- ليه؟ راحت فين؟

- الحقد والغل والرغبة في الانتقام كانوا عموا قلبها، وحست "كحلة" إن حكم الإعدام ده كان رحمة لـ "ميمون" وظلم ليها، هو بأي حال من الأحوال مات وارتاح، وهي هاتعيش بقية حياتها تتكوي بنار ألمها وحزنها وحرقة قلبها على عيالها، لذلك قررت "كحلة" إنها مافيش سبيل لأن النار اللي مشعللة في صدرها دي تنطفي وقلبها يرضى ويرتاح، إلا إنها تنتقم بطريقتها وتنفذ تهديدها، فأكراه؟

- اللي هو؟

- إنها تحرق قلب أمهات المملكة كلهم على عيالهم!

- يا نهار أسود! إوعى تقولي إنها قتلتهم!

فيهز "وليد" رأسه متحسراً ويقول

- ياريت! "كحلة" استغلت انشغال الناس بحضور تنفيذ حكم الإعدام في "ميمون"، اللي معظمهم طبعاً كانوا سايين عيالهم في البيوت، عشان مش معقولة

هايخدوهم معاهم يشوفوا راجل بيتشوق، وقامت عدت على بيوت المملكة بيت بيت، وخطفتها ييجي ١٠٠... قولي ٢٠٠ عيل، واختفت من المملكة!

- إيه!

وكعادتها منذ أول الحوار، تسمه بإنصات ولهفة وتشوق، ثم تفزع، ثم تصدم، ثم تصمت، ثم تستعيد رشدها، فتسمع بإنصات ولهفة، ثم تفزع، ثم تصدم... لكن هذه المرة طال صمتها، ربما لم تتخيل أن الضحية قد تتحول لجانية آثمة في لمح البصر، لمجرد أنها غلبت صوت الحقد والغضب والرغبة في الانتقام، على صوت العقل والحلم والتأني، ولم تتخيل أن أما احترق قلبها لزوال عيالها، تقبل أن تحرق قلوب مئات الأمهات بزوال عيالهن، كمن مات له عزيز فتمنى أن يموت لكل الناس عزيز، أو كمن فشل في أمر فتمنى أن يفشل كل الناس في كل أمورهم، نظرية الضرر بالمثل لا تطفئ ناراً، ولا تشفي غليلاً، ولا تريح قلباً، بل العكس تماماً، فهي تضرم نار الحسد والحقد والغل في قلب متمنيها، وكأنك تعالج التهاباً من حرق أصابك، لا بمرهم مرطب أو مضاد حيوي، بل بإحراق كل الناس حتى يتألموا مثلك، ذلك لا يعالج جرحك بالمرة، بل يزيده تقيحاً والتهاباً، وربما يؤدي لتدهوره وتفاقمه حتى يكون السبب في هلاكك، ما علينا! نظر "وليد" لوجه "رانيا" المصدومة معجباً، بقلب الأم المغلف بالرحمة والشفقة بين جوانحها، لم يُخرج من

غلافه أو يستخدم بعد، لكنه تمنى بشدة في تلك اللحظة أن يكون هو من يخرج
ويصقله كما اللؤلؤ من محاره، ثم مضي- في الحكي متجاوزاً صدمتها ومحاولاً
الالتفاف عليها بمزيد من الإثارة في الحكي والتشويق في الأداء

- بدون تطويل وباختصار بعد "كحلة" ما خطفت معظم أطفال المملكة، وطبعاً
بصفتها عفرينة أو جنية أو أياً كانت، اختفت في مكان لا يعلمه إلا الله ليومنا هذا
فتقول "رانيا" لم تتجاوز صدمتها الأولى بعد

- ليومنا هذا!

فيهز "وليد" رأسه بالإيجاب ويقول مؤكداً

- ليومنا هذا، والي استغربت له جداً إن لما سألت "عامر" وقتله انت أكيد غضبت
جداً، وقلبت الدنيا على "كحلة" وكنت عاوز تفتك بيها وتنتقم منها أشد انتقام ليلي
عملته، رد وقالي "أكيد غضبت، بس مش أد حزني وحسرتي على "كحلة"، قتلته
"لدرجة دي كنت بتعزها؟"، فرد وقالي "كنت باعزها زي أي حد من أبناء
المملكة، حزني عليها مالوش أي علاقة بمعزتي ليها"، فقلته "أمال إيه الي حزنتك
عليها؟"، سكت شوية وقال وحسرة الدنيا في صوته وفي ملامحه "حزنت لأن
الملعون سبقني ليها"

فتسأله "رانيا" وقد استعادت فضولها المفقود

- الملعون مين؟ إوعى تقول!

فيهز "وليد" رأسه بالإيجاب ويقول حذراً

- هو بعينه... "إبليس"!

فتضع يدها على فمها دهشة وجلة، وعيناها تفضح حماسها وانسجامها بتصاعد الأحداث، وبالطبع يستغل "وليد" ذلك ويمضي حكاءً بارعاً

- لما سألت "عامر" "إبليس" سبقه لـ "كحلة" إمتى وإزاي؟، فرد وقال "مش شرط يبقى "إبليس" بنفسه، ممكن يبقى حد من ذريته، عياله يعني"، فطبعاً سألته "هو ليه عيال كمان!"، فرد وقال ""هفاف"، "داسم"، "مطرش"، "دهار"، "لاقيس"، "مقلاص"... أقول تاني واللا كفاية؟، فطبعاً أنا لما سمعت الأسماء دي كنت شوية وهاعملها على روحي

فتقول "رانيا" وقد برزت مقلتها من الخوف

- حقك! تقريباً أنا عملتها على روحي، استنى ثواني أقوم أحش الحمام!

وتهم بالتوجه للحمام وفجأة تتوقف، ثم تعود أدراجها وتجلس على مقعدها، فيسألها "وليد" مستغرباً

- إيه! ماروحتيش الحمام ليه؟!

فتقول محرجة مرتبكة

- ده تلاقيه الي بيسموه "التبول العصبي"، الي هو لما تسمع أو تشوف حاجة تخوفك، أو تتعرض لموقف مخيف أو لأي صدمة عامة، إفراز الأدرينالين بيزيد في جسمك، فتحس فجأة إنك عاوز تحش الحمام، لكن أنا خلاص، بقيت كويسة، أبقى أخش بعد ما تخلص الحكاية

فينظر إليها "وليد" مغلقاً عينه كأماره للتشكيك، ومتبسماً ابتسامة مأكرة، ثم ينفجر في الضحك فجأة ويقول ساخراً

- إنتي خايفة تحشي الحمام لوحذك!

فتنظر له "رانيا" شديدة الخجل والارتباك، وقبل أن them بالدفاع عن نفسها، تجد نفسها تنفجر ضحكاً شأن "وليد"، ثم تقول مازحة بدورها

- حتى لو عوزت أخش الحمام، هأخش مش هاعرف أعمل حاجة بعد الزفت الي انت بتحكيه ده!

فيزداد ضحكه حتى يحمر وجهه وتنحبس أنفاسه، ويصيح ساخراً وهو يغالب ضحكه

- يا "سماح"! تعالي خشي الحمام مع ستك "رانيا" لاحسن خايفة من العفريت!
ويضحك ويضحك حتى ينقطع صوته، ويخبط المائدة بيديه في هستيريا الضحك القلبي التي أصابته، والعجيب أنها أصابت "رانيا" بدورها، ربما كانت "رانيا"

تضحك ضحكاً عصبياً، لكن "وليد" كان يضحك كما لم يضحك في حياته، وبعد دقائق طوال من الضحك، بالكاد يستطيع استرداد أنفاسه ويقول بوجه شديد الاحمرار أجهدته الضحك

- هاتمتيني يخرب بيتك! أنا ماضحكتش كدة من سنة! اللهم اجعله خير، آمال عمالة تقوليلى إحكي، أنا قلبي جامد، وانتي أجبن من العيال الصغيرين! فتقول "رانيا" مازحة ضاحكة

- زيط زيط! أنا لو منك أقعد أزيط عليك للصبح!

فيقول "وليد" وقد فرغ مخزونه من الضحك المكبوت، وكأنه يسترضيها - لا لأ خلاص والله، بس الإفيه حكم، وانتي عارفة الإفيه لما بيعحكم، لازم نقفشه! ده انتي ياما عملتي عليا حفلات قدام مخاليق ربنا كلهم، إوعي تكوني زعلتي! فتقول "رانيا" واثقة معتزة، ضعيفة بالهوى

- لو أي حد في الدنيا هزر معايا الهزار ده غيرك آكله بسناني، والله لو بابا وماما حتى، لكن انت لو قعدت تتريق عليا قدام "بورسعيد" كلها عمري ماهزل منك، لا هاعرف ولا هاقدر

وتلمع عيناها للحظات فاضحة ما في قلبيهما، ويدركان أن لا مجال لهذا الآن، إذ تنظر "رانيا" للساعة صدفة فتضرب على صدرها وتقول وقد صعقتها المفاجأة

- يا نهار أبيض! الساعة ١٢، بقالنا ساعتين بنحكي!
فيقول "وليد" متفاجئاً مثلها
- ياه! ساعتين! إنتي وراكي حاجة؟ وراكي درس؟
- أيوة طبعاً! عندي درس فرنساوي الساعة واحدة، يعني قدامك بالكثير ربع ساعة تلم فيها بقية الحكاية الغبرة دي، عشان ألحق ألبس وأجهز نفسي- وأروح الدرس، ده في "بورفؤاد"، يعني لسة هاركب المعدية
- هي فين طنط "خديجة"؟ أنا مش شايفها من الصبح
- نزلت بدري عشان الاجتماع السنوي لجمعية الصيد الجائر، وهاتطلع منها على الكوافير
- و"محمد" فين؟ أنا ماشفتوش من ساعة ما وصلت من السفر إمبارح؟
- "محمد" سافر "القاهرة" من الفجر مع البت "ولاء" السنكوحة بتاعته
- سافر "القاهرة"! ليه؟
- قال عشان يشوفوا فيلم "وحدي بالمنزل" في سينما التحرير، بيقولوا فيلم مسخرة ومكسر الدنيا، بس انت بتسأل ليه على الناس دي كلها؟

- عشان حد فيهم يوصلك بدل ما تركبي تاكسي-، والله لو باعرف أسوق كنت وصلتك بعربية باباكي، الله يسامحك يا ماما! ياما اتحايلت عليها عشان تعلمني السواعة، وهي تقولي لما تكمل ١٨ سنة، وأديني أهوه كملتها، لما أشوف...

فتصرخ فيه "رانيا"

- يا ابني باقولك باقيلي ربع ساعة وأقوم ألبس! وانت عمال تقولي سواعة وماما و١٨ سنة! يا سيدي هابقي آخذ العربية وأركب بيها المعدية، ماتخافش! هي نص ساعة بعون الله وأبقى في الدرس، يللا كمل الحكاية بقي، مافيش وقت!

فيستجمع "وليد" نفسه ويستأنف الحكوي وقد تسارعت وتيرة كلامه

- لما سألت "عامر" "إيليس" أو ذريته عليهم لعنة الله سبقوك لـ "كحلة" إزاي، قالي "ببساطة زي ما بيعملوا مع البشر-، ييجوله وهو في أضعف حالاته، وهو وحيد، وهو حزين، وهو بيتألم، وهو غاضب، وهو يائس، بس إنتوا البشر- آخر الشيطان معاكم إنه يوسوس لكم ويغويكم ويوعدكم زي ما قال ربنا في القرآن {يعدهم ويمنيهم وما يعدهم الشيطان إلا غرورا}، وفيه اللي بيستجيب وفيه اللي مايستجيبش، لكن إحنا لينا حصة تانية خالص؟

فتسأله "رانيا" شديدة التشوق والفضول

- حصة إيه؟

- رد "عامر" قالي "لأن الشيطان في الأصل كان جن وغوى، فالشيطان والجن من أصل واحد ومن جنس واحد وهو النار، وتباعاً غوايته أسهل، على عكس الإنسان، مهما بلغ شره وتجبره وتكبره، مستحيل تقدر تحوله لشيطان مخلوق من نار، لكن تقدر بالغواية والضلال تجعله من شياطين الإنس، ويبقى زي سفير أو مندوب ليك في عالم البشر، أما الجن، عشان يبقى شيطان وليه قدرات وخواص الشيطان، لازم يكفر بملته ودينه أياً كان، مسلم، مسيحي، يهودي، ويعتني حاجة اسمها "المواثيق الإبليسية"، وقبل ما تسألني، سألته طبعاً إيه المواثيق الإبليسية دي، قالي إنها عبارة عن مجموعة قواعد ونصوص والعياذ بالله أشبه بالنصوص الموجودة في الكتب السماوية، القرآن، الإنجيل، التوراة، قواد ونصوص وضعها "إبليس" عليه لعنة الله، لو قال الجني من دول إنه نبذ دينه وآمن بيها، يكتسب في الحال الهيئة والقدرات الشيطانية

- طب الهيئة الشيطانية وعرفناها، بيتقى لونه أحمر وشكله قبيح ومخيف، وبيطلع له قرون سودا كبيرة زي اللي بنشوفها في الأفلام، لكن إيه القدرات الشيطانية دي بقى؟

- القدرات الشيطانية يا ستي على حد وصف "عامر"، ببساطة هي الحياة الأبدية، بحيث إن صاحبها مايموتش لحد يوم القيامة، والقدرة على السفر عبر المكان والزمان

- طب السفر عبر المكان وعرفناه، إزاي عبر الزمان بقي؟

- "عامر" قالي إن "مردة الموائيق الإبلسية" يختلفوا عن ذرية "إبليس" في قدرتهم على خرق الثوابت الفيزيائية والعلمية الي كلنا عارفينها، واللي بيتقيد بيها "إبليس" نفسه، وده مكمّن خطورتهم، إنهم ليه قدرات تتجاوز قدرات "إبليس" نفسه، وإنهم لا يتقيدون بأي من قواعد الزمان والمكان الي البشر والجن أنفسهم بيتقيدوا بيها، ولما قتلته اضرب لي مثل، قالي يعني زي ما قدرت "كحلة" تتجسد في هيئة وجسد "سوار" وتغوي مئات الرجال عبر العصور، حتى قبل ميلاد "سوار" نفسها، طبعاً أنا كنت هاتجنن من الي بيقوله، ولسة هاسأله تيجي إزاي دي، قالي الجملة الي كررها كتير في حديثنا "ده متهاك من العلم"

وتصمت "رانيا" مجدداً تحاول جمع أجزاء اللغز، ثم تقول فطنة بصيغة الاقتراح

- طبعاً بعد ما "كحلة" اعتنقت الموائيق الإبلسية، بقت ليها قدرات خارقة عن أبناء جنسها، مكنتها من خطف أكثر من طفل زي ما انت بتقول في وقت واحد، وده مستحيل على أي إنسان أو جان مها كانت قدراته، ومكنتها برضة من إخفائهم في مكان "عامر" نفسه بقدراته دي كلها ماعرفش يوصله، صح؟

فيقول "وليد" متهللاً

- الله يرضى عليكى، وفرتى عليا كلام كثير، بس المهم إن جريمة "كحلة" مهما بدت وبانت ليها إنها كاملة ومحكمة وما فيهاش أي ثغرة، لكن في أي جريمة أرضية أو سفلية لازم تظهر ثغرة، مهما طال الزمن على الجريمة

- طب وإيه الثغرة اللي ظهرت؟ وظهرت إمتى؟

فيأخذ "وليد" نفساً عميقاً ويقول مبتسماً وكأنه له دور هام في ذلك

- فاكدة يا ستي الليلة الغبرة اللي أنا شفت فيها "كحلة" لأول مرة؟ الليلة المشؤومة اللي كانت مليانة عواصف وزوابع دي

فترد "رانيا" في الحال

- آه طبعاً فاكراها، ودي حاجة تتنسي! مش ليلة لما شفت البنت الصغيرة بتستنجد بيك على الشط، وجت "سوار"... قصدي "كحلة" وخذتها وغطست بيها في البحر؟

- الله ينور عليكى! فاكدة البنت دي قالتلي إيه وهي بتستنجد بيا؟ قالتلي كلمتين مافيش غيرهم قبل ما تغطس بيها "كحلة" في البحر، فاكراهم؟

فتحك رأسها تحاول تذكرهم، ثم تقول مستغربة

- انت أصلاً ماقلتليش الكلمتين دول!

- فعلاً! معلش نسيت، البنت الصغيرة قالتلي يا ستي "الجزيرة الثانية يا "وليد"...
الجزيرة الثانية!"

- الجزيرة الثانية! إيه الجزيرة الثانية دي؟

- الجزيرة الثانية يا ستي هي المكان اللي "سوار"... قصدي "كحلة" مخبية فيه
الـ ٢٠٠ عيل اللي هي خطفتهم من حوالي ١٣٠ سنة من مملكتها، مملكة سكان البحر
يوم إعدام جوزها "ميمون"، ولحد اليوم اللي البنت دي ظهرتلي فيه، مكانش أي
حد يعرف لـ "كحلة" طريق جُرة زي ما يقولوا، واللي قالته البنت ده هو كان الثغرة
اللي فضحت الجريمة كلها، وفضحت مكان "كحلة" اللي داخوا عليه وماعرفوش
يوصلوله

- فعلاً! سبحان الله! ويضع سره في أضعف خلقه، "كحلة" بجبروتها وقوتها
وقدراتها دي كلها فضحتها عيلة صغيرة من اللي هي خاطفاهم، طب وليه "عامر"
وسكان المملكة مارحوش قطعوا "كحلة" ١٠٠ حته وخذوا عيالهم؟
فيضحك "وليد" ويقول ساخراً

- يا ريت الحياة كانت بالسهولة دي! "عامر" كانت ممشي رجالتة والمخبرين بتوعه
في كل مكان يجمعوا معلومات على أمل يوصلوا لحاجة، لحد في مطلع القرن
العشرين ما بين سنة ١٩٠٠ تقريباً لحد ١٩٢٤ تحديداً، بدأت جرائم اختطاف
الأطفال تنتشر بشكل ملحوظ في "بورسعيد"، وبالتحديد في امتداد الشاطئ

المواجهه للكباين الشرقية، فطبعاً ده أثار الشك في نفس "عامر" ورجالته ومخبرينه جداً، لأن لو تفتكري هدف "كحلة" في البداية إنها تحرق قلب الأمهات على عيالها زي ما قلبها هي تحرق على عيالها اللي اتقتلوا

- سؤال معلش مالوش دخل بالموضوع! انت عمال تقول من سنة ١٩٠٠ ومن أيام حرب "القرم سنة ١٨٥٦، هو "عامر" ده عنده كام سنة على كدة؟
فيقول "وليد" بنفاد صبر

- ده وقت أسئلة! مش انتي عمالة تلطمي من الصبح إن وقتك ضيق!

فتقول "رانيا" بتوسل الأطفال

- معلش والله آخر سؤال!

- أنا خدت بالي برضة إنهم أعمارهم معدية حبتين، فسألته ببساطة إيه متوسط أعمار سكان مملكة البحر، رد وقال إن حسابات متوسط أعمارهم غير حساباتنا بالمرة، وحكالي إنه مرة كان بيمر على منطقة القبور في المملكة، لقي واحدة ست عجوزة بتبكي بحرقة أوي، فصعبت عليه وراح يواسيها، وقالها الكلام المعتاد اللي بيقلوه في المواقف دي، شدي حيلك وربنا يصبرك والكلام الجميل ده، المهم سألها قبر مين اللي هي بتزوره وتبكي عليه ده، قالتله إنه قبر ابنها اللي مات في عز شبابه، فسألها على سبيل الفضول زيك كدة كان عمره كام سنة لما مات، انفجرت في البكاء وبصعوبة ردت عليه وقالتله "يا عين أمه اتخطف! كان عنده ٣٥٠ سنة بس!"

وبالطبع تنفجر "رانيا" في ضحك قلبي طويل، وتسأله ما بين دهشتها وضحكها
- ٣٥٠ سنة! انت أكيد بتهزر! انت لقيتني خايفة من الحكاية قلت تقلبها نكت
وتهريج، صح؟

فيقول "وليد" ضاحكاً بدوره

- والمصحف ما باهزر ولا باهرج، ده أنا حتى لما ضحكت وافتكرت "عامر"
بيهرج، لقيته انزعج أوي وزعل وقفش وقلي "الموت مافيهوش هزار على فكرة يا
أستاذ "وليد"! " طبعاً اعتذرت له فوراً، وفهمت من كدة بدون ما أزود ولا كلمة
إن ده متوسط الأعمار عندهم!

فتقول "رانيا" عابثة وهي تكظم ضحكها

- الي هو ٣٥٠ سنة؟!

فيقول "وليد" بلهجة جادة مفتعلة

- شوفي انتي بقى! لما الشاب الي اتخطف في عز شبابه عنده ٣٥٠ سنة، يبقى أكيد
المراهق بيلعبه في ٢٠٠ سنة، والعيل الي أمه بتفطمه عنده ٧٠ ... ٨٠، يا دوب!
ويضحكان بقوة ضحكاً عبثياً، ثم تنظر "رانيا" للساعة فتتذكر موعد الدرس،
فتستعجله

- يا نهار أسود! الساعة بقت ١٢ وربع! قدامك ربع ساعة بالكثير تلم فيها بقية الحكاية، وبعد كدة إبقى إحكيلك بالتفصيل، قولي دلوقتي عناوين عريضة فيقول "وليد" مستعجلاً بدوره

- هي الربع ساعة كفاية جداً إني أحكيلك باقي الحكاية بالتفصيل، بصي يا ستي! لما لقوا العيال بتتخطف، ابتدى "عامر" ورجالته يشمشوا ويبحثوا في الموضوع بقوة، لحد ما وصلوا إن "كحلة" عاملة حاجة كدة زي اللي يقولوا عليه "تشكيل عصابي"، وتخصه خطف الأطفال، تروح للأمهات الحزاني المساكين اللي عيالهم ماتوا، وتقعد تغويهم وتغريهم، بأن العيل اللي هاخطفوه هايبقى مكان عيالهم، وإنها هاتوديمهم يعيشوا معاهم في مكان بعيد معزول مايعرفوش الجن الأزرق

- الستات دول من الإنس واللا الجن؟

- الاتنين! المهم إن "عامر" ورجالته اكتشفوا إن فيه رجالة كتير بقوا بيختفوا برضة، فعرفوا إن الموضوع مش موضوع خطف عيال بس، فابتدوا يتقصوا ويبحثوا، ورصدوا كام واحدة ست كانوا شاكين فيهم إنهم تبع "كحلة"، المهم لقوا الستات دول بيعغوا الرجالة ويستدرجهم، ويدخلوا معاهم في علاقات، وفجأة الراجل من دول يختفي، واستبعدوا تماماً احتمالية إنهم يكونوا بيقتلهم، لأن الشرطة مالمقتش ولا جثة ولا أثر لأي راجل من اللي اختفوا، فأتأكد "عامر" إن

الرجالة دول هي كمان بتختطفهم عصابة "كحلة"، اللي اتسع نشاطها لخطف الأطفال والرجالة، بس طبعاً السؤال الحتمي فرض نفسه

- اللي هو؟

- "كحلة" بتعمل إيه بالرجالة اللي بتختطفهم، وبتودهم فين؟ هل بتعذبهم وبعد كدة بتقتلهم، وبكدة تبقى بنتقم في شخصهم من كل راجل خاين شهواني بتاع ستات زي جوزها "ميمون"، بس برضة كان أي حد لقى ولو جثة واحدة لأي راجل من اللي اختفوا، والسؤال الأخطر والأهم إيه علاقة ده كله بـ "سوار"؟ إيه علاقة "كحلة" بـ "سوار"؟ هل هي كانت من الستات اللي "كحلة" حاولت تجندهم؟ وهل نجحت؟

- كنت لسة هاسألك والله السؤال ده بالضبط

- بدون تطويل ولا تشويق علشان ماعندناش وقت، "كحلة" رصدت "سوار" بعد ما عرفت إنها ست لعبية وبتجون جوزها مع "فيليب"، وابتدت محاولات طويلة ومستميتة لتجنيد "سوار" وضمها لكتيبة "كحلة" اللي بتكبر وبتوسع يوم بعد يوم، من جنودها من شياطين الإنس والجن، أو اللي ربنا وصفهم في القرآن الكريم {وجنود إبليس أجمعون}

- وعرفت تجندها؟

- الي نسيت أقول هولاك إن الشرط الأساسي للانضمام لكتيبة جنود "إبليس"، أو لعصابة "كحلة" بمعنى آخر هو نفس الشرط الي انضمت بيه "كحلة" نفسها لجنود "إبليس"، الي هو نبذ دينك أيما كان والكفر بيه، والتعهد لـ "إبليس" على الالتزام بالمواثيق الإبليسية، وأنت تعبد "إبليس" والعياذ بالله، وتتعهد بالطاعة الكاملة العمياء لكل أوامره ونواهيه عليك، حتى لو أمرك إنك ترمي نفسك في النار، ده باعتبار إنه في إيده يدخلك الجنة مثلاً! في مقابل إنه يوهبك الحياة الأبدية، وإنه يمنحك أي نعيم في الدنيا تتمناه، مال، جمال، شباب، صحة، ستات، رجالة!

فتسأله "رانيا" متلهفة مشفقة، وكأن تتعاطف مع "سوار" بطريقة غير مفهومة

- يعني عرفت تجندها؟ أرجوك قولي لأ!

فيضحك "وليد" ويقول

- الغريب إن أنا كمان كنت متعاطف مع "سوار"، وكنت خايف جداً إن "كحلة" تكون وصلت لها ونجحت في تجنيدها، وخصوصاً إن أنا شفتها وشفت حياتها وشخصيتها وكلامها بدل المرة عشرة، فيه ناس كدة يا "رانيا"، على أد ما يغلطوا ويرتكبوا ذنوب ومعاصي، على أد ما تحسي- إن معدنهم طيب وضمايرهم حية وقلوبهم نضيفة، وتحسي إن رضا ربنا مستخبي في وجوههم ومستني الي يطلععه، المهم رداً على سؤالك، بعد ما استماتت "كحلة" عشان توصل لـ "سوار"، وخصوصاً بعد ما تابت وقررت تنهي علاقتها بـ "فيليب"، وصلت "كحلة"

لدرجة إنها بقت تهددها، إنها هاتوريها الويل والعذاب والهلاك لو "سوار" ما وافقتش تنضم إليها، لكن ربنا سبحانه وتعالى أعلم بخائنة الأعين وما تخفي الصدور، وعارف إن قلب "سوار" طاهر وسليم، بالرغم من أعمالها وذنوبها، وعارف إن الشيطان أول ناس بيخوفهم هما جنود وأولياءه زي ما ربنا قال {إنما ذلکم الشیطان یخوف أولیاءه فلا تخافوهم وخافون إن كنتم مؤمنين} صدق الله العظيم، لذلك رحمها من العذاب والمعاناة دي كلها، وخطفها من إيد "كحلة" في اللحظة الأخيرة بعد ما كادت "سوار" تضعف وتستسلم ليها، ومرضت "سوار" فجأة بوباء السل، الي كان علاجه صعب ويا ما حصد أرواح في الفترة دي، وفي ظرف أسبوعين كانت "سوار" في جوار ربها، بعد ما تابت توبة جميلة، وجابت "سراج" جوزها وطلبت منه يغفر لها ويسامحها على كل الي إساءة أساءتها في حق اسمه وسمعته، وطبعاً "سراج" سامحها في الحال على أد ما كان يبحبها، كل ده قبل ما تموت "سوار" بساعات معدودة

وينظر "وليد" لـ "رانيا" ليري دمة أو أكثر تتراقص على أعتاب جفنيها، وأنفاً محمراً يرشح وكأنها تبكي عزيزاً أو قريباً، فيقول لها مشفقاً رحيماً

- أنا برضة دمعت عليها، دموع فرح مش حزن، حسيت إن قصة حزينه اتكتبلها نهاية سعيدة، ما هو الموت يا "رانيا" على عكس ما معظم الناس فاهمين مش نهاية حزينه بالضرورة، أيوة الفراق مؤلم وأيوة الموت محزن وله هيبة وجلال، لكن أنا من

الناس القليلين الي واثقين ومؤمنين إن الموت ما هو إلا بوابة لعالم جميل وراه، عالم مليء بالخير والطمأنينة والدفء والراحة، ربنا ييختارله الناس الي عارف إن بقاءهم في الدنيا ها يضرهم وها يؤذيهم بالضرورة، وفي رأيي إن هما دول أكبر ناس محظوظين

- وإيه الي مخليك أوي كدة يا "وليد"؟

فيصمت "وليد" ويتفكر في السؤال للحظات ثم يجيبها بحكمة تجاوزت سنة بأعوام بل عقود

- أنا ممكن أجييلك ١٠٠ آية من القرآن، أو حتى ١٠٠ حديث صحيح يأكدوا وجهة نظري، لكن أنا مش هاعمل شيخ ولا واعظ ولا فليسوف، أنا هاقولك ببساطة يا "رانيا" الي باحس بيه كل يوم ربنا بيمده في عمري، ومش كل يوم بس، لأ وكل ساعة ولا كل دقيقة، باحس فجأة إن عقلي كله فضي وبقى فارغ ومافضلش فيه إلا فكرة واحدة بس، إن الحياة مش المسلمات، إن أنا عايش فقط لأن ربنا أمره إن أنا أعاش، ولو عايز ينهي حياتي في ثانية هاينهيها، من غير مرض ولا حادث ولا حتى كحة، وأنا في عزين شبابي، وأظنك بتسمعي كل يوم عن الشباب الي بيموتوا فجأة بدون لا مرض ولا الهوا، هو ده الي خلاني أحاول أنظر للموت نظرة مختلفة، نظرة إن الموت ده مستحيل... مستحيل يكون النهاية، مش معقولة كل الناس الطيبة الصالحة، والشهداء الي بيموتوا حوالينا كل يوم دول، حياتهم بتنتهي

بالبساطة دي من غير ما يكون ليها امتداد، امتداد جميل كريم مافيهوش لا خوف ولا حزن ولا تعب ولا مرض ولا أي حاجة وحشة، مكان فيه كل حاجة بنحبها أو كنا بنحبها، حتى اللعبة الي كنا بنحبها أوي وإحنا عيال وضاعت منا وحزننا عليها جداً، ومع صعوبة تقبل واستيعاب فكرة إنك ممكن تموت في أي لحظة وإن الحياة مش من المسلمات، ومع المجهود الي بتاخده على ما تبدأ تتقبلها وتؤمن بيها، لكن أول ما تؤمن بيها بجدة، وتؤمن إن الساعة الي انت عايشها دلوقتي ممكن تكون ساعتك الأخيرة في الدنيا، وإن حتى لو حياتك انتهت في الساعة دي هاتنتقل لمكان أجمل وأفضل، لما عرفت أو من بالفكرة دي، فعلاً عرفت أعيش مرتاح ومطمئن، وأكثر حاجة ريحتني وطمنتني في الفكرة دي إني مش غافل عن الموت، وإني مستعدله في أي وقت، عشان كدة باحب أذكر الله طول الوقت، مش عشان خايف من الموت، عشان الي بيحب حد بيتلكك عشان يجيب سيرته طول الوقت، وعشان ربنا هو الي مخلصني واثق وموقن والله مليون في الـ ١٠٠ إن ما بعد الموت أحلى بكثير من الي قبله

ويلتفت "وليد" ليجد "رانيا" تنظر له نظرة إعجاب وهانة، وما أنا يلتفت تشيح بوجهها بعيداً حتى لا يفضح الهوى سرها، ثم تسأله مرتبكة بلهجة عملية مفتعلة

- طيب وبعد كدة... عملت إيه!

فيسألها "وليد" ضاحكاً ماكرًا

- هي مين دي الي عملت إيه؟!

فتقول وقد ازداد ارتباكها وتلعثمها

- "سوار"... قصدي "كحلة"... قصدي "كحلة" الي هي عاملة فيها "سوار"!

فيضحك "وليد" بقوة ثم يجيبها واثقاً مزهواً بنفسه

- طبعاً "كحلة" كانت هاتوت من الغيظ لما "سوار" فلتت من أيديها إلى رحمة ربها،

وكان هي الوحيدة الي حسستها أدأيه هي قليلة وحقيرة وكيدها ضعيف، وعديمة

التأثير على أي حد قلبه سليم وضميره حي، وطبعاً بالغل والحقد الي مالين قلبها

أصبح كل همها الانتقام من "سوار"

- تنتقم منها إزاي؟! دي ماتت!

- بالضبط، لكن الشيطان على أد ما هو ضعيف، على أد ما هو صبور، مهما هزمته

وطردته بيعرف يلاقى طريقه ليك مرة ورا مرة، وللأسف الظروف كانت في

صالحها

- إزاي!

- "سوار" الله يرحمها لما أصابها وباء السل أهلها سفروها "مصر" فوراً وحطوها في

مستشفى حميات العباسية، الي ماتت فيها بعد أسبوعين زي ما قتللك، ومع انتشار

الجهل والأمية في الفترة دي بصورة كبيرة، كلفت "كحلة" واحدة من جنودها من

شياطين الإنس، أو بمعنى آخر عاهرة من عاهراتها إنها تطلع إشاعة قذرة بغرض إنها تنتشر في "بورسعيد" كلها، إن "سوار" قتلها عشيقها ورمى جثتها في البحر، وإنها روحها هي التي بتطلع تنتقم من الرجالة وتخطفهم وتقتلتهم وترميهم في البحر، وطبعاً الإشاعة دي كانت مناسبة جداً لظاهرة اختفاء الرجالة المنتشرة في الفترة دي، واللي "كحلة" وعصابتها طبعاً هما اللي وراها، واللي خدم "كحلة" أكثر كان رجوع "فيليب" لبلده "فرنسا" بفضيحة بعد موت "سوار" بأيام، بعد ما قفشوه مع عامل شحن في الميناء

- قفشوه مع عامل! يا نهار أسود! هي بقت كدة! ده بقى رسمي!

- أيوة رسمي يا هانم، وخصوصاً إنه بعد ما رجع "فرنسا" بكام شهر لقوه مشنوق في فيلته في "بوردو" في جنوب "فرنسا"، وقبضوا على عشيقه اللي اعترف وقال إنه كان معاه فعلاً وقت ما مات، لكن مش هو اللي شنقه

- أمال مين اللي شنقه؟

- هو "فيليب" اللي شتق نفسه، ما هو كان "مازوخي" بعيد عنك!

- إيه "مازوخي" دي؟!

فيجيبيها "وليد" متخرجاً

- المازوخي هو الشخص اللي بيعذب نفسه، بالشتق، بالضرب، بالحرق!

فتقول "رانيا" مصدومة مشمئزة

- يا ساتر يا رب! أعوذ بالله! وليه يعذب نفسه بالحاجات الرهيبة دي؟!

ويصمت "وليد" وقد اشتد احمرار وجهه بالخنجل والإحراج مجدداً، فتنهره "رانيا"

- ما تقول يا ابني! لا حياء في العلم، وكمان أنا علمي علوم، يعني بادرس حاجات منيلة بنيلة في الأحياء أصلاً!

فيجيب "وليد" بعد تردد بصوت متحشرج بالخرج والخنجل وقد نأى بوجهه عنها

- يبحب يعذب نفسه عشان... عشان... عشان يحس بالمتعة الجنسية، خلاص!
ارتحتي! والله ما هاجوب على ولا سؤال ثاني بعد كدة!

فتبدو "رانيا" مندهشة بملامح متقرزة وتقول مستغربة

- طب العلاقات الحرام والزنا على قذارتهم وفهمناهم، لكن واحد يستمتع جنسياً بالشنق والحرق والضرب! إيه القرف ده! ما علينا، كمل يا ابني، ده أنا هانشوف أيام سودا!

فيضحك "وليد" على رغمه، ثم يقول

- ما هو انتي لو دارسة تاريخ كنتي عرفتني إن "سدوم وعمورة" الي هما قوم "لوط" كانوا بيعملوا ألعن من كدة، لحد ما ربنا خسف بيهم الأرض، ما علينا! المهم طبعاً بعد ما الإشاعة انتشرت في "بورسعيد" إن روح "سوار" هي الي

بتخطف الرجالة والعيال وتخفيهم، بقي بعد كل ما أي عيل أو راجل يختفي يبقى روح "سوار" هي الي خطفته وخفته، ومش كدة بس، بقي أي مصيبة تحصل في أي حته في "بور سعيد" تبقى "سوار" هي الي مسؤولة عنها، عربية اتسرقت، تبقى روح "سوار" هي الي سرقتها عشان تبيعها خردة! نصاب نصب على حد، يبقى روح "سوار" هي زعيمة العصابة الي مشغلة النصاب، أوزي ما يقولوا الجهل أرض خصبة لانتشار الشائعات والخرفات، ومن هنا ارتبط اسم الملعونة "كحلة" بالمرحومة "سوار" المسكينة، من بعد موتها سنة ١٩٢٤ ليومنا هذا

فتهز "رانيا" رأسها وقد أرضي فضولها وزالت حيرتها، ثم تستدرك وكأنه تذكرت سؤالاً أخيراً بالغ الأهمية تسأله بنفس فضولها القديم - طب وانت إيه دخلك بكل الهم ده؟ بـ "سوار" و "كحلة" و "عامر" ومملكة سكان البحر؟

فيصمت "وليد" قليلاً ويحجب وقد علت وجهه بعض ملامح القلق القديم

- لما سألت "عامر" ليه أنا بالذات الي أشوف كل الي شفته ده، رد به كلمات مافيش غيرهم "كل ميسر لما خلق له"، ولما طلبت منه يفسر- أكثر، قالي برضة باختصار وبشكل مبهم إن ربنا بيختار كل واحد من خلقه لدور معين هو الأهم في حياته، وأنا ربنا اختارني للدور ده من يوم أن أمر بخلق في رحم أمي، وسخر

سكان البحر لمساعدتي، وعشان كدة سكان البحر مراقبني وعارفني من وأنا طفل بالعب على الشط في المصيف، وعشان كدة قدموا ليا كل مساعدة ربنا قدرهم عليها

فتبدو "رانيا" مشوشة متحيرة، فتسأل به بالبحاح

- إيه هو الدور برضة اللي "عامر" بيقول إن ربنا اختارك مخصوص عشانه؟

فيصمت "وليد" مجدداً ويحيب مشفقاً وكأن الرد قد أثقله مسبقاً

- إن أنا أظهر الحقيقة وأردل "سوار" اسمها وسمعتها

- يا نهار أبيض! طب والحقيقة دي هاتظهرها إزاي، هاتروح لـ "كحلة" بكل بساطة وتقولها سلمى نفسك واعترفي بكل مصاييك وجرائمك، عشان تبرأي اسم "سوار وتردي لها سمعتها بعد حوالي ٧٠ سنة من موتها؟!

- بالضبط هو ده الدور اللي أنا مكلف بيه، وإوعي تسأليني هاقدر عمل كدة إزاي! لما سألت "عامر" قالي كل شيء بميعاد، بس الموضوع له دخل كبير بنفسي- وقوتي وقدراتي

- قوتك وقدراتك! هاتلاعبهم كاراتيه يعني واللا إيه!

- والنبى يا "رانيا" مش وقت تهريج! يللا روجي الحقي الدرس بتاعك، الساعة ١٢ ونص إلا ٥، يا دوب تلحقي تغيري هدومك

- طيب أنا آسفة والله، طيب بس... هاتروحلها فين؟ وإمتى؟

فيرد منفعلًا بصبر نافذ وتوتر متزايد

- هارو حلها الجزيرة الثانية الي البنت قالتلي عليها يا "رانيا"، مع المد الجاي، الي هو اليومين دول، في شهر مارس وإبريل، الي هو الشهر الي إحنا فيه، في أي يوم يبلغوني فيه بالمعاد

فتصمت "رانيا" وكأن الاسم ذكرها بشيء، ثم تقول فجأة مندهشة

- تكونش... مش معقولة تبقى الجزيرة الثانية بتاعتنا!

- الجزيرة الثانية الي كنا بنروح لها عوم وإحنا عيال، مش ممكن! أنا جت في بالي برضة بس قلت مش معقول تكون هي، الموضوع مستحيل يكون بالبساطة والسهولة دي... مستحيل!

الجزيرة الثانية

رفع "وليد" فنجان الشاي ليتناول رشفة أخرى، بينما لا يزال جالساً إلى مائدة الإفطار، و"سماح...مديرة المنزل" كما يحب أن يلقبها أهل المنزل ترفع أطباق الإفطار من على المائدة، فيفاجأ "وليد" أن الشاي قد نفذ من فنجانه، فيهم بصب المزيد من الشاي الموجود بالبراد، فيجد الشاي قد نفذ فيه بدوره، فهو محب للشاي بشدة، وقد تناول أكثر من ٣ أقداح بينما يتناول إفطاره، بحليب وبدون، فتلاحظ "سماح" أن الشاي قد نفذ من البرد وأن "وليد" متحرج من أن يسأله أن تعد له المزيد من الشاي، فتعاجله "سماح" بذوق ولطف وتقول

- حالاً ها عمل لحضرتك شاي ثاني يا كابتن "وليد"، بس الشاي الكثير مضر

فيقول "وليد" خجولاً حياءً

- معلش هو آخر فنجان، أصل أنا باحب الشاي جداً، مع إن الكابتن "غريب" مدربي كل شوية يديني كلمتين في عضمي بسبب الموضوع ده، قال عشان الشاي بيسهر، مع إني باشربه وأنا م زي الدهل!

فتضحك "سماح" بقوة، وتقول ببساطة وطيب نية بلسان المعجبات

- أنا شفت الماتش الأخير بتاع حضرتك في بطولة البحر المتوسط يا كابتن "وليد"، أنا وعم "رزق" بواب الفيلا وكذا حد من اللي شغالين الشارع، "عطا" المكوجي

على الواد "حجاج" اللي بيمسح العرييات، على عمك "يونان" بتاع كشك السجائر، كنا بنشوف الماتش في الأوضة بتاعة عم "رزق" اللي على يمين البوابة، وكنا كلنا بنشجعك ونزق ونصرخ ونهيص كل ما تضرب الواد الأسباني، لحد ما ست "خديجة" جت وقامت...

- هزقتكم كلكم!

وتلتفت "سماح" فزعة مخضوضة لتجد "رانيا" تقف مشبكة يديها أمام صدرها، متعالية متكبرة متحفزة، ترفع حاجباً وتخفض الآخر، وتنظر لـ "سماح" بعين النساء إن جاز الوصف، النساء الشرسات العدوانيات المستعدات للانقضاض والفتك بكل من يتربص برجهن، لذا تقول "سماح" مرتبكة ليس لأي شيء إلا للهجة شديدة العدوانية التي قالت بها "رانيا" جملتها الأخيرة

- "رانيا"... قصدي أنسة "رانيا"! أنا كنت لسة باحكي للكابتن...

وبمزيد من العدوانية والتحفز

- كابتن! إنتي شايفاه لابس شورت وحاطط صفارة في بقه واللا إيه! اسمه أستاذ "وليد"!

وبمزيد من الارتباك والرهبة ترد "سماح"

- آسفة! قصدي أستاذ "وليد"، أصل هو كابتن وبطل "مصر كلها، كنت باقوله...

- ولا تقولي له ولا يقولك! إحنا مستعجلين، "وليد" جاي معايا يوصلني الدرس،
يللا روعي المطبخ شوفي كان وراكي إيه تهب... قصدي تعمله!

فتقول "سماح" وقد انكسرت نفسها بالمعنى الحرفي للكلمة، بلهجة حزينة مهزومة

- اللي تشوفيه حضرتك

فيه "وليد" وقد احمر وجهه غضباً، وأخذته الحمية تعاطفاً من المسكينة "سماح"
التي كانت تحدّثه بكل براءة وحسن نية، وينظر إلى "رانيا" نظرة نارية ويقول شديد
التحفز

- استني يا "سماح"! كملي اللي كنتي بتحكيه!

فتتخرج "سماح" وتقول "رانيا" في محاولة يائسة للحفاظ على كبريائها الكاذب

- بس إحنا مستعجلين يا "وليد"! ولازم...

فيقول "وليد" وقد علا صوته واشتد انفعاله بلهجة متحدية

- والله العظيم ما هاتحرك من الكرسي اللي أنا قاعد عليه إلا أما "سماح" تكمل
الحكاية، أصل أنا راجل مغرور ونرجسي وباحب أسمع حكايات من المعجبين
بتوعي عن بطولاتي! كملي يا "سماح" وإلا الآنسة "رانيا" هاتروح الدرس
لو حدها!

وهنا تدرك "سماح" بالطبع أن الموقف سيستحيل أزمة في الحال إن لم تكمل ما كانت تحكيه، في عجالة ورشاقة شديتين، وتنظر إلى "رانيا" بتردد وكأنها تطلب الإذن منها، لتجد "رانيا" لا تزال معقودة اليدين، لكن ملاحظها قد اختلفت كلياً، لتصير أكثر وداعة وانصياعاً وتسليماً، وتهز "رانيا" رأسها بالإيجاب على استحياء أن لا مانع من إكمال حكايتها وتقول بأطلاها كبرياتها، أو بالأحرى أطلال كبرها

- كملي الحكاية في دقيقة يا "سماح"، عشان أنا متأخرة جداً على الدرس... بعد إذنك!

وفي الحال تقول "سماح" متحمسة فرحة، ليس لأي شيء إلا لأن "وليد" نصرها وأعزها واستعاد لها كرامتها، تقول بحديث شديد التسارع - وأقل من دقيقة كمان! المهم يا أستاذ "وليد"...

فيقاطعها "وليد" مجدداً بلهجة متحدية، أو أسميها ذكورية، أو إن شئت رجولية - أنا باحب لقب كابتن أوي يا "سماح"، وماحدث في "مصر" كلها بيناديني يقولي يا "أستاذ" دي، في أي حنة باروحها ماينادونيش إلا بـ "كابتن"، حتى وزير الشباب نفسه مايقوليش إلا يا "كابتن"، وطول ما أنا قاعد مش عاوزك تنادينني إلا بيه!

وتنظر "سماح" لـ "رانيا" مجدداً وكأنها تطلب الإذن منها مجدداً، لتجدها مستسلمة
وتقول لها وقد انخفض صوتها ورق أداؤها

- اخلصي!

فتمضي "سماح" بنفس اللهجة المتسارعة المتحمسة

- شفنا البطولة كلها يا كابتن "وليد" في الأوضة بتاعة عمك "رزق"...

- عمه "رزق"!

فيقول "وليد" لا يزال متحفزاً متحدياً وموجهاً كلامه لـ "رانيا"

- أي حد كبير وفي سن أبويا يبقى عمي وسيدي وتاج راسي! وكمان عمي "رزق"
كنا بيشيلني على كتفه وأنا لسة باعمل على روحي، هاه! كنتوا بتشوفوا البطولة في
أوضة عمي... "رزق"! كملي يا "سماح"

فتكمل "سماح" مخرجة شديدة الخجل

- كنا بنشوف حضرتك يا كابتن "وليد"، وكنا بنشجعك والله العظيم كأنك ابننا أو
أخونا، ويوم ما فزت بالبطولة ست "خديجة" نفسها جابلتنا إزازتين شربات
مانجة، وجبنا بسبوسة وعملنا ليلة، وعزمننا ست "خديجة" وجت كلت معانا
بسبوسة وشربت معانا شربات

فتقول "رانيا" مندهشة بلهجة مستنكرة بمسحة تكبر بائسة

- ماما كلت معاكم بسبوسة وشربت معاكم شربات!

فترد "سماح" متحدية بدورها

- وأنا هأكذب في حاجة زي دي برضة، حتى أسألها يا آنسة "رانيا"!

فيقول "وليد" ممتناً لطيفاً دمتاً

- والله العظيم يا "سماح" أنا يقالي شرف الدنيا إني أنا أخوكم وابنكم،
وماتخيليش فرحتيني أدي إيه باللي إنتي حكيتيه ده، كلكم فعلاً ناس طيبين
وبتعاملوني كأني واحد منكم، ربنا يديم الود والمعروف يا ستي!

فتقول "سماح" منطلقة شديدة الحمس والسعادة

- وربنا وحده اللي يعلم إحنا بنحبك وبنحترمك وبنفتخر بيك أد إيه يا كابتن
"وليد"، على أد ما انت بطل مصر وأفريقيا والبحر المتوسط، على أد ما انت شاب
متواضع وطيب وأدب وأخلاق الدنيا فيك، تسلم تربية والدتك الست "بهية"
الكمال السكرة، والدكتور "محمد" والدك الراحل المحترم المهذب، وربنا يفرحهم
بيك دايماً يا رب

فتقول "رانيا" متهكمة

- خلصتي وصلة المجاملات يا ست "سماح"؟! بعد إذنك أروح الدرس بقي!

فتقول "سماح" شديدة الإحراج والخجل

- أنا آسفة إنني عطلت حضرتك يا آنسة "رانيا"، بس الأستاذ... قصدي الكابتن...

أنا رايحة المطبخ أبدأ في تحضير الغدا، زمان ست "خديجة" على وصول

وتهرع "سماح" راكضة إلى المطبخ وكأنها تفر من الطاعون، لتقول "رانيا" بعدما

تتأكد أن "سماح" توارت عن الأنظار، بما تبقى من كبريائها الكذاب المهدر

- استريحت كدة يا عم المتواضع!

فيقول "وليد" وقد استعاد هدوئه بلهجة لطيفة رفيقة

- الرسول عليه الصلاة والسلام...

- عليه الصلاة والسلام

- الرسول عليه الصلاة والسلام قال "لا يدخل الجنة من كان في قلبه مثقال ذرة من

كبر"، واخدة بالك انتي... مثقال ذرة! يعني وزن الذرة، وزن الذرة كام يا آنسة

"رانيا" يا بتاعة علمي علوم؟!

فتبدو "رانيا" مرتبكة لا تجد ما تقوله، ليعاجلها "وليد" حكيماً

- يعني لو انتي مش مستغنية عن دخول الجنة عشان عاوزة تعملي هانم على البنت

الغلبانة اللي شغالة عندكم، أنا بقى مش مستغني! وكمان إيه اللي غير لهجتك معها

أوي كدة؟! مش دي "سماح" حبيبتك اللي كانت بتدلحك وتقولك يا "رونا" وانت

- ساعة بس! ده أنا أستناك يا باشا ٣ سنين، وأنا أطول! إحنا خدامين استبن عربية
سعادتك يا هانم!

فتضحك "رانيا" ضحكة لن يعرف وصفها إلا أهل الهوى، لأنهم هو الوحيدون في
الأرض الذي يضحكونها، ثم يسألها "وليد" وهي تجره من يده إلى باب الفيلا
- طب بس إيه الي خلاكي تغيري رأيك وتقرري تاخديني معاكي الدرس فجأة
كدة؟! كدة؟!

فتقول "رانيا" بلهجة متعجلة

- أولاً أنت كدة كدة ما عندكش مذاكرة وواخد أجازة أسبوع لأنك خلصت
المناهج قبل ما تيجي يا موسى يا دحاح! وثانياً لأن أنا عندي أسئلة كتيرة لسة عاوزه
أسألك عن الموضوع بتاعنا، وثالثاً تمشية في جو "بورفؤاد" في أبريل هاتنسبك
الدنيا وما فيها، وهاتخلي نفسيتك في السما

فيقول "وليد" مستبشراً وقد أصابت وترأ في نفسه

- الله! "بورفؤاد"! واحشني أوي "بورفؤاد"، تلاقيها فعلاً في الجو ده جنة، أما
حتة فكرة يا "رونا"، ماجتش إزاي في دماغ دي، طب بس طنط "خديجة" هاتقلق
لما تيجي وماتلاقينيش

- دي طنط هي الي قايلالي وموصياني إني أقنعك وأخذك معايا تشم هوا في "بورفؤاد"، عشان هي عارفة إن نفسيتك مش متظبطة، وكمان أنا جايالك مفاجأة فيقول "وليد" متحمساً كالأطفال

- الله! أنا باحب المفاجآت أوي، جبتيلي مفاجأة إيه؟

- بعنت عم "رزق" يحبلك آخر عدد من مجلة "عالم الرياضة" بتاعة كمال الأجسام الي انت بتحبها، عشان تبقى تتسلى فيها وأنا في الدرس فيقول "وليد" متهللاً فرحاً

- الله! يا بنت اللذينة يا "رانيا"! أما حتة مفاجأة، ده أنا كدة أستناكي سنة، ده أنا هامسك "عالم الرياضة" أفلي أبوها

- بس ما بعد ما تجاوبلي على كل الأسئلة الي عاوزة أعرفها وإحنا في السكة، ده أنا عندي أسئلة أد الي سألتها لك مرتين

- أكيد طبعاً هاجاوبك على كل الي عاوزاه، بس بشرط واحد!

- يادي الشروط! اشرط يا سيدي

- تسوقي بالراحة

- بيخاف عليا يا ناس! ماتقلقش يا سيدي، كدة كدة هتزرع في المعدية مش أقل من ربع ساعة، لافيه جري ولا مشيء حتى!

تسأله "رانيا" ملحة فضولية تأبى أن تقتنع

- طب أنا برضة مش قادرة أفهم ليه بعد ما عرف "عامر" والناس الي شغالين معاه إن "سوار"... قصدي "كحلة" بتخطف العيال والرجالة وتوديم الجزيرة الثانية، ليه ماراحوش وهدوا الجزيرة على دماغها وخدوا العيال والرجالة المخطوفين؟

فيرد "وليد" بصبر جميل

- والله أنا سألته نفس السؤال بالضبط، قتلته إشمعنى أنا الي مفروض أخلص العيال والرجالة المخطوفين دول من قبضة "كحلة"؟ ليه إنتوا مملكة سكان البحر بكل قوتكم وعددكم وعتادكم، وكل حيلكم الساحرة الإعجازية الي أنا شفتها بعيني مش قادرين تواجهوا "كحلة"، هل الأمر له علاقة بكوني أنا إنسي وانتوا جن أو أياً كنتم، تنفس الصعداء زي ما بيقولوا وقالوا "بالضبط!"، فطبعاً سألته إيه يعني الي أنا أقدر أعمله في مواجهة "كحلة" وانتوا ماتقدروش تعملوه، رد في الحال وقالوا "كثير... كثير جداً!"، قتلته "معلش! هاتلي مثل واحد من الحاجات الكثير جداً دي"، فسكت "عامر" شوية وقالوا بعد تفكير "مش انت والدتك بتحبك وبتشوف الدنيا من عينيك"، قتلته "أكيد"، فرد وقالوا "مش ساعات فيه طلبات بتحس إنها صعبة ومبالغ فيها بتبقى محتاجها من والدتك، فبتسوق عليها "مي" أختك عشان تمهدلك الطريق وتحن قلبها، علشان هي بنوتة صغيرة ودلوعة، على

أد ما انت عارف إن والدتك ممكن تكون بتحبك أكثر منها"، فطبعاً أنا سخنت وقلتله إن والدتي بتحبنا أنا و"مي" زي بعض بالضبط وما بتحبش حد فينا أكثر من الثاني، فقلالي بكل هدوء وقلالي "مش موضوعنا، بتعمل كدة واللا ما بتعملش؟"، فسكتت شوية وقلتله "بصراحة الكذب خيبة، باعمل كدة، باعمل كدة كثير كمان"، فرد وقلالي بعد ما سمع الإجابة اللي كان مستنيها "هو ده بالضبط دورك، إحنا هانسوقك على "كحلة"

فتسأله "رانيا" متعجبة هازئة

- تكونش بتحبك واللا إيه؟!

فيصمت "وليد" لا يجيب في الحال مدافعاً عن نفسه أو زاجراً تلك الفكرة من رأسها، فتتأمل إليه "رانيا" بعينين مشدوهتين غاضبتين سواء، وتسأله مستنكرة بلهجة حادة

- بتحبك! يا نهار أسود! هي عاملة كل الكوارث دي وعاملة تتنططك في كل حنة، حتى في أحلامك عشان بتحبك! أمال لو بتكرهك كانت عملت إيه؟!

فيجيب "وليد" محرجاً مرتبكاً وكأنه يدفع عن نفسه تهمة خيانة زوجية

- هي مش بتحبني بتحبني يعني... تقدرني تقولي معجبة بيا... مشدودالي!

فتقول "رانيا" هازئة متحفزة

- معجبة! يا صلاة النبي يا صلاة النبي! طب ماتنسايش تبقى تمضيها
الأوتوجراف!

فيضحك "وليد" ضحكة تافهة وقد أرضي غروره، ثم يقول مترفقاً بها مسترضياً
إياها

- أولاً الي زي "كحلة" دي مابتعرفش تحب بالمفهوم بتاعنا، حبها باختصار كدة
حب شهواني، خالي من أي مشاعر لطف ومودة ورحمة ودفع وتفاهم، تحب
الراجل من دول عشان أتفه الأسباب وأسفلها، وسامته، رجولته، شعر صدره،
صوته الخشن، جسمه طبعاً، على أد حبها للرجالة الضخام، لكن بتحب أوي
الرجالة الي عضلاتهم بانية، ويا سلام لو عندهم عضلات بطن، تبقى هاتموت
عليهم!

فتقول "رانيا" لا لم تتخل عن سخريتها المرة

- وطبعاً سعادتك عندك عضلات بطن من وانت بترضع عشان أم الكاراتيه الي
خارب دماغ البنات... قصدي خارب دماغ الناس بيه ده!

فيقول "وليد" محتفظاً بهدوئه وورصانته

- طب وده ذنبي! أنا لازم أحافظ على جسمي وعلى وزني عشان الوزن الي بالعب
فيه، لو تخنت عنه جرام يستبعدوني من أي بطولة باشتراك فيها، وطبعاً العضلات
دي من التمرينات الي قايم نايم فيها، أكيد مش باعملها عشان البنات... قصدي

الناس تقعد تتغزل فيها، ولو كنت باعمل جسمي ده عشان كدة ماكتش خدت بطولة مركز شباب "هنس" وحياتك، بالضبط زي انتي لما تلاقي شاب سافل بيعاكسك في الشارع لمجرد إنك جميلة حبتين!

فتقول في الحال متكبرة مزهوة

- جميلة حبتين! ده أنا مافيش شاب ولا راجل في "بورسعيد" إلا وبيتمنى أقوله حتى صباح الخير! لولاش أنا بس الي اتنيلت حبيتك من وأنا عيلة واتحجرت بدري بدري!

فيقول ممتناً لا يزال يسترضيها بلهجة لا تخلو من غزل

- جميلة ٦ حبوب يا ستي... ١٠ حبوب، حلو كدة! نكمل كلام جد بقى عشان قربنا نوصل "بورفؤاد"، وعلى فكرة دي تاني مرة تعترفي بي بحبك وكدة هاتباني مدلوقة، وأنا مابحش الست المدلوقة!

ثم يضحك بقوة غائظها مداعبها، وتضربه هي في كتفه كذا ضربة بقبضتيها الرقيقتين، فيستنجد

- خلاص! حرمت حرمت! باحب الست المدلوقة... والمصحف باحبها!

فتكف عن الضرب وللحظات وجيزة يتبادلان نظرات ليست ملكهما ولا منهما، بل ملك سيديها... قليبها، ثم يمضي "وليد" وهو بذلك كتفه وكأنه الضربات آلمته،

فتربت هي على كتفه خشية أن تكون قد آلمته بالفعل، فيضحك ويمزح كراسه بالنفي أنه يمزح معها ثم يمضي حاكياً

- "عامر" قالي بشكل ضمنني ومبهم زي ما قلتلك إن الموضوع ليه دخل كبير بقدراتي الجسدية والنفسية، فسألته إزاي، قالي إن إحنا البشر بطبيعة الحال ربنا خلقنا أقوى منهم، وإن إحنا الجنس الأسمى والأعلى والأرقى، وعشان كدة جعلنا خلفاء في الأرض، وجعل أنبياء ورسله من البشر، ولذلك بطبيعة الحال لو هما عاوزين يهزموا "كحلة" لازم يجييوها حد من جنس أقوى وأسمى من جنسها، اللي هو الجنس البشري، وخصوصاً بعد القوة الرهيبة اللي اكتسبتها، والقدرات العجيبة اللي بقت فيها بعد ما تحالفت مع "إبليس" واعتنقت الموثائق الإبليسية، مابقاش فيه أي حد من جنسها مهما كانت قوته يقدر عليها، وكثير حاولوا لما كانت بتنزل على الأرض وتسبب الجزيرة، وطبعاً كان مصيرهم الهلاك ونكلت بيهم أسوأ تنكيل، ومن هنا عرف "عامر" وتأكد إن مافيش أي سبيل أو إمكانية لهزيمة "كحلة" والقضاء عليها، إلا بواحد زيي، من البشر، وربنا مديله شوية صحة، وكم إن فيه حاجة أهم من كدة

- إيه هي؟

- إن هما عارفين إن أنا عمري ما كنت ضعيف قدام شهوتي ولا عمرها اتحكمت فيا، وده عامل مهم جداً في مواجهة "كحلة"، لأن شهوتها بتجعلها أضعف

بالضرورة، وبتتخلى عن جزء كبير من قدراتها وقوتها، أما أنا فقوتي مكنمها الأهم
مش جسمي، لأ عقلي ونفسي، طول ما أنا مسيطر على شهوتي ومتحكم في غرائزي،
هاتبقى مواجهة "كحلة" مهمة سهلة نسبياً بالنسبة لي

فتقول "رانيا" متوجسة متشككة بعدما شق عليها الاقتناع والتسليم

- طب وانت إيه الي ضمنك وإيه الي خلي "عامر" متأكد أوي كدة إن "كحلة"
هاتستلم وتخضعلك أول ما تشوفك؟ دي أكيد مجهزالك بدل الحيلة ألف حيلة،
شغل عفاريت بقي!

فيصمت "وليد" يبدو وجلاً متشككاً بدوره، ثم يقول مهموماً بعد يزفر نفساً حاراً
طويلاً

- ما هو أنا برضة سألت "عامر" حاجة زي كدة، قالي بصر-احة إن كل دي
احتمالات ونظريات افتراضية، بس نسبة نجاحها كبيرة

فتصيح "رانيا" جزعة منزعة

- يا نهار أسود! افتراضية بس نسبة نجاحها عالية! ليه هو انت هاتعمل عملية
المرارة، إيه الجنان ده! لا يا "وليد"! والله العظيم أنا مستحيل أخليك تعرض نفسك
لحاجة زي دي فيها خطر على حياتك لو هاموت نفسي- عليك، والله أفضحك
وأصل بطنط "بهية" أقولها واللي يحصل يحصل!

فيضحك "وليد" ضحكة مهمومة ثم يقول هازئاً

- وانتي فكرك إني جيت "بورسعيد" من غير ما أقولها كل الي قلتها كدة!
وعملتلي أنيل من الي انتي بتعمليه ١٠٠ مرة، بس سكتت وسلمت لما قلتها حاجة
واحدة بس، "وعامر" أكدي الحاجة دي ألف في المية

- هي تسلم وتسكت أنا لأ!... إيه الحاجة دي؟ وإزاي "عامر" أكدهالك؟

فينظر "وليد" في عينيها في محاولة يائسة أخيرة أن يقنعها وهو يقول بكل ذرة صدق
في كيانه

- إن "كحلة" عمرها ماهشيني ولا هاتستلم إلا إذا واجهتها، وحتى لو أنا قدرت
عليها وعلى عايلها، ماضمنش الي معايا هايقدروا عليها واللا لأ، مراتي، أمي،
أختي، ماضمنش ولا دي من بعدي هايعملوا إيه معاها، فيه أسطورة يابانية قديمة
بتقول إن أبناءك بيورثوا كل شورك، ويورثوا بالضرورة شياطينك الي انت
ماقدرتش تهزمهم في حياتك، "وكحلة" دي شيطاني، وهواجها مها كلف الأمر

- حتى لو كلفك حياتك؟

- إنتي ليه مش قادرة تفهمي إن أنا مش هايبقالي أي حياة لو فشلت في مواجهتها،
حتى لو عشت، هاعيش طول عمري حاسس إن أنا إنسان جبان، وأي مشكلة
هاتواجهني مها كانت تافهة أو صغيرة هاهرب منها، لأن الي بيهرب من مواجهة
مشكلة، بيهرب من مواجهة ألف مشكلة، والأهم من كل ده إن هي قالتها لي

صريحة "أنا مش هاسيبك يا "وليد"، تفتكري واحد زيي طول بعرض وعضلات وعامل فيها راجل، لما واحدة تهدده أياً كانت وأياً كان جنسها، إنها مش هاتسييه ولا هاترحمه، المفروض يعمل إيه؟ يسيبها تفرض قوتها وجبروتها وهيمنتها عليه، واللا يواجهها وإنشالله يتقطع ١٠٠ حته، تعرفي أنا هاواجهها ليه، عشان أنا فعلاً متغاض منها وأنا اللي نفسي أقطعها ألف حته، حكماً أنا موتي وسمي وأكثر حاجة بتغيظني في حياتي إن حد يحاول يفرض عليا هيمنتته وسيطرته وقوته ويجسسنني إني عاجز وضعيف وعديم الحيلة، ساعتها باقني عامل زي المجنون، زي التور الهايح اللي ممكن يفرتك أي حد وأي حاجة تقف في وشه، وأكثر من ده كله، إحساسي بالعجز والجبن والخوف نفسه هو أكثر حاجة غايظاني، والله العظيم والله العظيم والله العظيم يا "كحلة" انتي ولا أياً كان اسم أمك، لاقفلك وأواجهك ولو جتيلي ألف راجل من رجالتك لاخل الرطل منهم بمليم، وهاطلع شيطاني عليكي وعليهم، ونشوف مين اللي هايحرق الثاني الأول، ما هم زي ما بيقولوا "اتقي شر الحليم إذا غضب"، وأنا حليم جداً بشهادة أي حد يعرفني، وعشان كدة غضبي هايبقى عنيف جداً، وقاسي جداً، وخصوصاً مع عاهرة زي "كحلة"، ويا ريت عاهرة إنسية، دي عاهرة جنية من جنود "إبليس"، و"إبليس" ديتة سهلة ومعروفة، آية الكرسي والمعوذتين بيحرقوه، وأنا هاحرق أبوهم كلهم إن شاء الله

وبالطبع أنا في غنى عن أصف لكم كيف كان حال "وليد" وهو ينطق بتلك الكلمات الأخيرة، والشر الذي كاد يتطاير من كلامه، وتسارع الأنفاس الانفعالي،

واحمرار الوجه، وغلظة اللهجة، واحمرار العينين بالغيظ والغضب، بما جعل "رانيا" لا تخاف منه، فلا حبيب يخاف من حبيبه حتى ولو تحول لوحش كاسر، بل أشفقت عليه وتعاطفت معه بشدة حتى دمعت عيناها، وأخذت تربت على يده بقوة وكأنها أمه تطمئنه وتسريه بأنها إلى جواره ولن تتخلى عنه أبداً، ولو اجتمع عليه شياطين الأرض إنساً وجناً، وهو لا يزال منفِعلاً محتقناً متسارع الأنفاس، ففكرت أن تهدى من ثورته وتذهب عنه تحفزه وبعض غضبه، بسؤاله سؤال يبدو مرحاً فكاهياً ويخفف عنه بعض ما هو فيه، فقالت مفتعة السخرية والمزاح

- إلا صحيح يا "ويلا" هما سكان البحر كانوا فعلاً يبطلعوا للناس في الكباين الشرقية يخوفوهم؟ وزى ما كانوا بيخوفونا بيهم وإحنا عيال؟
فيضحك "وليد" ويهز رأسه بالإيجاب، وكأنه ألقت طوق النجاة لتخرجه من خوفه وغضبه وارتبأكه، وهو ما كاد يجده حتى تعلق به بكل ما فيه، لذا يجيب بصوت متهدج ببقايا الانفعال مفتعلاً المزاج المزاحي بدوره

- تخيلي! لما فعلاً إدارة المصيف قرروا يردموا الجزء الشرقي من الشط عشان يبنوا عليه الكباين الشرقية، خدوا جزء كبير من أرض مملكة سكان البحر، وطبعاً ده زعلهم وأغضبهم جداً، واعتبروه نوع من أنواع الاحتلال، ولذلك قرروا مقاومة الاحتلال، وعملوا انتفاضة زي الفلسطينيين مع الصهاينة، وقرروا إنهم يقاوموا

بكل الوسائل المتاحة عندهم، وهي ببساطة إنهم يجننهم، يروشوهم، أي حد يأجر كابينة على الله يخلوه يسيبها في أقل من ٤٨ ساعة

فتضحك "رانيا" بشدة فرحاً لتبدل الأجواء أكثر من أي شيء آخر، وتسأله متحمسة

- الله! يجننهم ويروشوهم إزاي؟!

فيقول "وليد" ضاحكاً فرحاً بدوره لتناسيه ما يهيمه ولو للحظات يخطفها من الوقت

- ما انتي عارفة شغل العفاريت بقى، أصوات بالليل والدنيا ضلمة في الكوريدور اللي بين الكبابين، مع صوت البحر والضلمة ولا أتخن فيلم رعب

وتنفجر "رانيا" ضحكاً، ويادها "وليد" ضحكها ويمضي مستمعاً بالأحداث بينما يسردها

- ويا ريت أصوات عادية، دي أصوات كدة زي أصوات الزومبي لما بيطلعوا من القبور، خيالات تعدي من قدام الناس بالليل، صوت خطوات طول الليل رايحة جاية في الكوريدور، دربكة في المطبخ، دربكة وأصوات في الكبابين اللي مفروض إنها مقفولة وماחדش لسة أجرها، طبعاً الانتفاضة دي جابت مفعول السحر،

وبعون الله الكباين الشرقية اتقفلت بعد ما افتتحها مدير أمن "بورسعيد" بأقل من ٦ أشهر

وتسأله "رانيا" وهي تغالب ضحكها

- طب واستفادوا إيه المؤذنين دول؟ هما كدة كدة ما بيعيشوش على البر والأرض زي ما انت قلتلي، كانوا سابوا الناس تصيف وتبسط!

- ما أنا قلت لـ "عامر" كدة برضة، قتلته ذنبهم إيه الناس الغلابة اللي بيستنوا أسبوع المصيف على أحر من الجمر من السنة للسنة، عشان ياخدوا عيالهم وعائلاتهم ويفسحوهم وينسوا شوية مشاكل الدنيا ومتطلبات الحياة اللي مبهداهم طول السنة، رد بصراحة رد أفحميني

- رد قالك إيه؟

- قالي "وليه انتوا البشر بتقاوموا أي محتل بيحتل أراضيكم؟ حتى ولو احتل أرض في الصحرا مش عايشة فيها خنفسة حتى، بتموتوا نفسكم وبترووا الأرض بدمكم لحد ما تستردوها، زي ما عملتوا في "سينا" بالضبط، اتهمزمتوا واستشهد منك شباب زي الورد، بس قمتوا ووقفتموا وقاومتوا، لحد ما اديتوا الصهانية علقه عمرهم، ورويتوا "سينا" بدمهم زي ما رووها بدمكم، وزي اللي بيعمله الفلسطينين دلوقتي في الصهانية في "رام الله" و"القدس" و"غزة" والضفة الغربية، بيستشهد منهم كل يوم شباب وبنات زي الورد، بس منغصين على

الصهاينة حياتهم، ومخلينهم عايشين في خوف ورعب وقلق يجعل الحياة في "الأرض الموعودة" زي ما هما مسميينها مستحيلة وجحيم لا يطاق، الواحد بيدافع عن أرضه باستماتة بشكل غريزي، وكأن الانتفاء لأرضك غريزة أساسية ربنا خلقنا بيها، حتى الحيوانات بتبقى في أشرس حالاتها لما حيوان منهم يحاول يجور على أرض غيره، إزاي بقى تلو منّا إن إحنا بندافع عن أرضنا!"

فتصمت "رانيا" وتهز رأسها معجبة بوجهة المنطق، لكن "وليد" يمضي قائلاً

- وكمل "عامر" وقالي "الأهم من ده كله إن إحنا كنا بنحمي الناس باللي بنعمله ده"، فطبعاً سألته إزاي بتحموهم وانتوا بترعبوهم! قالي "لأن" كحلة" وعصابتها كانت أرض شاطئ الكباين الشرقية دي من أكثر مناطق نشاطهم على مدار أكثر من ٩٠ سنة، وياما خطفوا منها عيال ورجالة"، فسألته وقتله "هي" كحلة" عمرها خطفت حد من الناس اللي كانوا بيصيفوا في الكباين؟ زي المهندس "طارق أنور" ومراته وعياله اللي اختفوا في ظروف غامضة سنة ١٩٨١ زي ما كتبوا في الجرايد"، فرد وقالي ""كحلة" وعصابتها ياما خطفوا عيال ورجالة من المصيف ده، بس هما دايمًا كانوا بيلزقوها في الكباين الشرقية عشان العملية تبان ملمومة وتحت السيطرة، وماتبانس في الجرايد إن جرائم الخطف وسعت منهم وإن الفرّة صابت المصيف كله، وأي جريمة خطف كانوا بيخبوها ويطرخوا عليها وكأن النزير اللي جاي يصيف خد بعضه ورجع بلده عشان الخدمات في المصيف مش عاجباه"

فتقول "رانيا" في الحال متحمسة وكأن الكلام أصاب وتراً في ذاكرتها

- أيوة صحيح! ياما ناس كانت بتيجي تصيف وفجأة تختفي، ولما كنا بنسأل عنهم أنا و"محمد" عشان كنا بنلعب مع عيالهم، مرة يقولولنا دول مشيوا عشان مية الشرب مش حلوة، ومرة عشان يقولوا فيه عقارب وتعاين بتيجي من معسكر غفر السواحل

- الله ينور عليك! إنتي لسة فاكدة كويس أهوه، لما قرروا يقفلوا الكباين الشرقية، كأن "كحلة" عرفت إن المنطقة دي بقى مشمومة واتكشفت، وإن "عامر" ورجالته مراقبينها كويس، عشان كدة خافت تتردد عليها أكثر من كدة لاحسن يقفشوها أو يقفشوا حد من عصابتها، اللي فيها من شياطين الإنس والجن زي ما انتي عارفة، والجن ممكن يختفوا لكن البشر مفضوحين، وارتبط ابتعاد نشاطها عن المنطقة دي وعن المصيف كله بقفل الكباين الشرقية، ومن هنا أتت أسطورة الكباين الشرقية يا عزيزتي!

- ااااااه! قلتلي!

فيضحك "وليد" ويقول بلهجة الحكاء البارع ساخراً

- ويتصادف يا عزيزتي "رانيا" إن إحنا وصلنا "بورفؤاد" مع نهاية الحدودة، حلوة واللا ملتوتة؟

فترد ساخرة بحس دعابتها السريع

- حلوة منين بقى بالعفاريت والأشباح والخطف والمصابيب دي كلها!

وتنظر في الساعة فتصيح منزعة

- يا نهار أبيض! الساعة واحدة وه، زمان الدرس بدأ الله يسامحك، آدي الي بناخده

من حكايات العفاريت، أهى عفرتلي اليوم!

وتنطلق "رانيا" بالسيارة ما أن ترسو المعديّة وتبسط رصيفها على المرسى، وبالفعل

في أقل من ٥ دقائق تصل لوجهتها، حيث فيلا أنيقة على الطراز الفيكتوري كائنة في

شارع ساحر مليء بالأشجار، وترى "رانيا" رجلاً أنيقاً أصهب الشعر والشارب

يعبر بوابة الفيلا، فتقول متهللة

- الله أكبر! مسيو "عبد الغني" لسة واصل، وشك حلويا "لولو"، هاخلص

الدرس وأنزلك علطول، ساعة بالكثير أو أقل، مسيو "عبد الغني" زمته أستك

وبيكروتنا في ساعة إلا ربع كل مرة، قبل ما تخلص فرجة على المجلة هاكون

خلصت إن شاء الله، والكشك الي قدامك ده فيه "أم ربيع" بتعملنا أحلى شاي

ونسكافيه لو عوزت تشرب حاجة، معاك فلوس؟

فينظر لها "وليد" نظرة مستنكرة وقد أخذته العزة برجولته، فتقول ساخرة

- شيلني يا "حواش"!

فيضحك "وليد" على رغبته، وتهرع "رانيا" إلى داخل الفيلا، ويسمعهما تقول
لأستاذها مازحة

- إيه البدلة الكاروه الجامدة دي يا مسيو! دي من أيام لما دخل جيش الخلفا
"نورماندي"!

جلس "وليد" في السيارة يقلب في صفحات المجلة بشغف واستمتاع، برغم أنه
بطل في رياضة الكاراتيه إلا أنه يحب كمال الأجسام منذ نعومة أظفاره، ومنذ اشترى
أول عدد من مجلة "عالم الرياضة" وهو في الصف الأول الإعدادي، وكان على
غلافه صورة البطل المصري العالمي المحترف "محمد مكاوي"، بياوه العرض البني
الشهير الذي لم يغيره في كل البطولات العالمية التي اشترك بها، ومنذ تلك اللحظة
وقلبه معلق بريضة كمال الأجسام ومجلاتها، وهو يقلب في المجلة تذكر آخر يوم في
امتحانات الصف الأول الإعدادي مايو ١٩٨٣، وهو في طريق عودته للمنزل
ليفتك بنفسه لعباً ولهواً، إذ رأى ٣ أعداد قديمة من مجلة "عالم الرياضة" لدى بائع
المجلات القديمة الشهير على الرصيف المقابل لكلية الزراعة بميدان الجيزة، ولم
يكن مع "وليد" حتى مصاريف المواصلات، لكنه ما أن رأى المجلات الـ ٣ حتى
كاد يفقد عقله من فرط الفرح والحماسة، فأخذها سيراً على الأقدام إلى منزله في أول
الهرم، في منتصف الظهيرة وأوج الحر في أواخر شهر مايو، هو والمسكين زميله

وصديقه وجاره "محمد هليل"، الذي أخذ يلعن الحظ والظروف التي جعلته صديق "وليد"، ولما وصل "وليد" إلى المنزل بوجه محمر كأكبدا للإبل ورأس يكاد البخار يتصاعد منه، رآته أمه فضربت على صدرها من هول منظره، وما أن رآها "وليد" حتى خر جاثياً على ركبتيه، وأخذ يتوسل إليها طويلاً أن تمنحه ٣ جنيهات ليشتري الـ ٣ مجلات، ولم يكن الـ ٣ جنيهات بالمبلغ الزهيد في عام ١٩٨٤، وفتحت أمه تحقيقاً طويلاً معه لم يريد الـ ٣ جنيهات، وما أن رأت الشغف والفرح في وجهه وكأنه في طريقه للفردوس الأعلى، بالطبع ذاب قلبها في دقائق معدودات، وأعطته الـ ٣ جنيهات في الحال، وفوقها أجرة المواصلات ذهاباً وإياباً إلى ميدان الجيزة، فضحى "وليد" بنصف أجرة المواصلات لصديقه "هليل" الذي كان مفلساً مثله، تقديراً له على معاناته وصبره في رحلة العودة الأولى للمنزل، على أن يحتفظ بنصف أجرة المواصلات لأجل رحلة العودة الثانية للمنزل، وبالفعل ذهب "وليد" مجدداً إلى ميدان الجيزة سيراً على الأقدام، وقد اشتد الحر وارتفعت درجة الحرارة عما سبق، وقلبه هواء شديد التوق والقلق من أن يكون غيره قد سبقه إلى المجلات، بالرغم من أنه أكد على البائع على أنه "حجزها" وألا يبيعها لأي شخص مهما علا شأنه وعظم قدره، وبالفعل ما أن وصل "وليد" إلى بائع المجلات ووجد المجلات الثلاث حتى كاد يغشى عليه من فرط الفرح والسرور، واشترى المجلات فاحتضنها وأخذ يقبلها بعشق حتى ظن البائع أنه ربما سفيه أو ذو علة في عقله، فرق قلبه وخفض له من سعرها جنيهاً، ولم يأبه "وليد" لذلك كثيراً ولم يلاحظه حتى،

بل أخذ يقلب في المجلات وتاه بين صفحاتها، حتى فوجيء أنه قطع أكثر من ٣ أرباع المسافة من طريق العودة لمنزله، فقرر إكمال سيرا والاحتفاظ بالجنيه وربيع، فبالتأكيد ستفعله في وقت لاحق في لعب المساء، تذكر "وليد" كل هذا وابتسامة حنين لطيفة للماضي الجميل ترسم على وجهه، واستأنف "وليد" يقلب في صفحات المجلة، حتى شعر بحركة ما غير طبيعية في جواره، فتجاهلها وحاول الاندماج في تفقد المجلة مجدداً، لكن القلق كان قد تملك منه فأفسد عليه أي متعة كان يزاولها، فقرر "وليد" أن يقطع الشك باليقين ويقتل ارتياحه ونزل من السيارة كلياً، وتوجه إلى الدكة الخشبية القريبة التي أقامها مسؤول ذو عقل في الحي على الرصيف بين الأشجار، في موقع جميل ساحر كفيل بالقضاء على أي قلق أو توتر في نفس جالسها، وبالفعل شعر "وليد" في الحال ما أن جلس على الدكة بارتياح وطمأنينة نسبية، لكن من حيث لا يحتسب جاء رجل أربعيني وألقى عليه السلام وجلس إلى جواره، وبما عايشه وشاهده وشهده "وليد" في الفترة الماضية، فكل شيء وكل شخص أصبح مصدراً للريبة، لذا تعمد أن يرمق الرجل الجالس بجواره على الدكة بنظرات طويلة متطفلة مقتحمة بين الآن والآخر، لعله يتضايق أو يزعج أو يشعر بانتهاك الخصوصية فيقوم تاركاً الدكة، لكن هذا الرجل برغم أنه كان لا يفعل أي شيء، وبرغم أنه ولا بد لاحظ تلك النظرات الطويلة الاستفرازية التي حدجه بها "وليد"، لكنه لم يتحرك له ساكن، ولا حتى عينيه تحركت تجاه "وليد"، ولا حتى إيماءة ضيق أو انزعاج أو أي شيء في ملامحه، بل ظلت عيناه شاخصتين

على اللاشيء أمامه، بما جعل الشكوك تشتعل في صدر "وليد" ونفسه أكثر، لذا هب من جلوسه وتحرك ليقف أمامه الرجل، في وضعية متأهبة أشبه بوضعية جسده وهو يبدأ مباراة كاراتيه، أو ما نسميه "الوضعية القتالية"، بملامح شرسة شديدة التحفز، وقبضتين مغلولتين كحجرين، ويسأل الرجل بصوت متهدج بالتحفز

- أنا مش هارغي معاك كثير، انتي هاتقولي انت مين وجايلي ليه في ظرف ١٠ ثواني، وإلا هاكسر وشك وعضمك وأقسم بالله ما هاسيب منك فتفوتة تنفع للولعة!

فيضحك الرجل بقوة، ويرفع عينيه لتلتقي عيناها لأول مرة، ثم يقول واثقاً مستريحاً

- هو قالي إنك هاتعمل كدة بالضبط، وحذرنى إني أستفرك أو أوترك بأي شكل، لاحسن تعمل فيا اللي انت لسة قايله دلوقتي

فيقول "وليد" حاسماً حازماً بصيحة أشبه بصيحات "كاتات" الكاراتيه، وهو يقترب منه متحفزاً وكأنه على بعد لحظات من أن يقتلع مقلتيه من رأسه

- هو مين؟ انطق!

فيرجع الرجل في مقعده وقد جفل قليلاً، وترتسم على رغبته ملامح الخوف على وجهه، وقد أدرك يقيناً أن "وليد" لا هامش لديه لأي عبث أو تلاعب أو مساومة بالألفاظ، وأن الخطوة التالية منه ستكون قبضة في أم وجهه تبعجه كما مصد السيارة

في حادث سير، إن لم يسمع الإجابة التي ينتظرها وتريح قلبه وتطمئن نفسه، لذا قال مرتبكاً وقد سقطت عنه معظم ثقته

- "عامر"!

وما أن يسمع "وليد" هذا الاسم، حتى تنبسط قبضتاه، ويعود تدريجياً لوضعية الرجل الطبيعي في وقفته، وتنبسط ملامحه سواء يأخذ نفساً عميقاً بالارتياح، ثم يقول بلهجة لا تزال متشككة متحفزة

- "عامر" اللي باعتك؟

فيهز الرجل رأسه بالإيجاب، فيردف "وليد" بسؤال آخر كما المحقق يضيق الخناق على متشبه به

- باعتك ليه؟ ما أنا كنت لسة معاه إمبراح! وكمان أنا إيش ضمنني إنك جاي من طرف "عامر"؟

فيهز الرجل رأسه ويقول بلا تطويل بلهجة صادقة يحاول بها طمأنة "وليد"

- عندك حق، أعرفك بنفسي، أنا "شهود"، تقدر تعتبرني مساعد "عامر"، سكرتيه، مستشاره

فيقول "وليد" لا يزال متحفزاً حذراً

- إديني أمانة!

فيهز "شهود" رأسه صبوراً ثم يقول

- ولا أمانة ولا عمارة، هي رسالة باعتها لك "عامر" معايا، سمعتها هاكمل معاك بناءً على أوامر "عامر" شخصياً، ماسمعتهاش هاخذ بعضي- وأمشي-، ولا تعمل وشي عجيبة ولا رغيف!

فيصمت "وليد" وقد وقع الكلام في نفسه وقع السحر، فجأة ذهب عنه كل تحفزه وحذره وشكه، وكأنه علم يقيناً أن ما سيقوله هذا المدعو "شهود" هو الحق والصدق والحقيقة ولا شيء سواها، أو وكأنه علم يقيناً أن الصدق مهما كان عشوائياً واعتباطياً وغير منطقي يصيب نفوس الصادقين، وأن الكذب مهما كان منمقاً ومنسقاً ومنطقياً تضيق به النفوس وتزجره القلوب، لذا قال مسلماً مستسلماً هادئاً وديعاً

- إيه هي الرسالة؟

فيقول "شهود" بلهجة متأنية ليسمعه الرسالة كما حملها

- "عامر" بيقولك إن أعلى مد للبحر هايكون كمان ساعة، يعني الساعة ٢ تقريباً، في الوقت ده "كحلة" بتكون في أضعف حالاتها، وخصوصاً في النهار، ودي أحسن وأنسب فرصة ليك طول السنة عشان تروح لها، بعد كدة، كل دقيقة بتمر مش في صالحك، وفي صالحها، يعني ببساطة مع غروب الشمس وبعد انحسار المد هاترجع تاني تستعيد قوتها تدريجياً

فيصمت "وليد" يتفكر في الكلام ثم يسأله مرتباً

- طب أنا لو صدقت الرسالة مفروض أعمل إيه دلوقتي؟

فيجيب "شهود" قاطعاً حاسماً

- مفروض تيجي معايا حالاً

فيسأله "وليد" مرتباً

- آجي معاك فين؟

- تيجي معايا "المنفذ"

- "المنفذ"! إيه المنفذ ده؟

- المنفذ هو بوابتك الوحيدة للجزيرة الثانية

فيسأله "وليد" وقد استفحل ارتباكاه وتشوشه

- بس أنا أعرف إن الجزيرة الثانية في وسط البحر وإنها...

فيقاطعه "شهود" حاسماً واثقاً

- كل الكلام اللي قالت هولك "رانيا" ده غلط، الجزيرة الثانية عمرها ما كانت في

وسط البحر، ولا في وسط المية أصلاً، وكان لو كانت الجزيرة الثانية البحرية اللي

تقصدها "رانيا" ما كنا عرفنا نوصل لـ "كحلة" فيها من زمان، هي بعيدة عننا يعني!

- أَمال الجزيرة الثانية دي تبقى فين؟ وإزاي تبقى جزيرة وهي مش في وسط البحر؟
- الجزيرة الثانية في حيز غيبي مجهول، محاطة بالفناء والعدم من كل اتجاه، وسماؤها الظلام السرمدي، والحيز الغيبي ده خارج حدود عالمكم، وعالمنا حتى إحنا كمان
- إحنا مين وانتوا مين؟
- إنتوا البشر، وإحنا سكان الحيود
- سكان الحيود! ويطلعوا إيه سكان الحيود دول كمان؟! مش انتوا اسمكم "سكان البحر"!
- ماهم سكان البحر جزء من سكان الحيود، سكان الحيود اللي بيعيشوا على حواف عالمكم، إحنا سكان البحر بنعيش على حواف البحور والمحيطات، وسكان النار اللي بيعيشوا في الباطن على حواف الجحيم المستعر، وسكان النجوم اللي بيعيشوا في الفضاء على حواف الريح والركام
- فيصمت "وليد" وقد ازدادت حيرته وتشوشه ثم يسأله مرتبكاً
- طيب وفين الحيز الغيبي المجهول ده اللي فيه الجزيرة الثانية اللي فيها "كحلة"؟
- زي ما قتللك، مافيش سبيل للجزيرة الثانية إلا عبر المنفذ
- وبصبر نافذ يسأله "وليد" جزعاً
- طيب وفين المنفذ ده؟

فينظر "شهود" في عينه ويقول

- لو اخترت تصدق الرسالة وتسلم بيها وتستسلم ليها، هاتلاقي المنفذ قريب... قريب جداً، مفتوح وجاهز ومستنيك، أما لو اخترت تكذب الرسالة وغلبك الشك وهزمك اليأس، هاتضيع الفرصة وهاتتجنب عنك المنفذ ويوصد بألف قفل ومغلق، وعمرك ما هاتعرف توصله تاني ليوم القيامة، هاه! هاتختار تصدق واللا... فيجلس "وليد" إلى جوار "شهود"، أو بمعنى أدق يخر على الدكة الخشبية عاجزاً، كل ما فيه عاجز، عقله وقلبه وتفكيره ومنطقه، فهو الآن أمام الاختبار الحقيقي، هل يبارس ما وعظ به كل من عرفهم يوماً، من الصبر والقوة والجلد وملاحقة الأحلام، أم الخيار السهل هو الاستسلام بغرض السلامة، الانسحاب بغرض إراحة عقله وإراحة الآخرين، لكن هل سيراتح ويرتاحون فعلاً؟ أم سيكون الطريق السهل غالباً لا يؤدي إلى شيء ذي قيمة كما يقولون، جلس وفي عينيه نظرة أتعبتني عندما تخيلتها، وما أتعبني أن "وليد" وكأنه كان يعلم يقيناً أن ما هو مقبل عليه، بالرغم من صعوبته ورهبته وألمه واحتمال الضرر فيه، لكنه هو طريق النجاح، طريق القوة، فلا يمكن أن تؤدي مواجهة مخاوفك إلا لكل خير، أو كما قال أحد الحكماء "واجه مخاوفك كلما لاقتك، حتى تصبح تلك هوايتك المفضلة"، حبيبة عمره منذ نعومة أظافره على بعد أمتار منه، لكنه يعلم يقيناً أيضاً أنه لن يهنأ على لحظة واحدة معها فيما تبقى له من حياته، ما لم يواجه هذا الشر- المحقق المطبق، لكن... وأي بطل أو عظيم في التاريخ لم يخض الشر ويحاربه، فإما أن يقضي- نجبه

وتستفيد البشرية كلها من مواجهته للشر- والخوف والباطل، وتتغنى بطولاته وشجاعته في القصائد والأغاني والأناشيد، فكأنه لم يمت وعاش أبداً، وإما أن يجني ثمار شجاعته في حياة عينه، ويهنأ وينعم وعندما يموت، سيتغنون بطولاته وشجاعته ومآثره، فكأن لم يمت وعاش أبداً، وبينما "وليد" يصارع دوامات عقله، يفيقه صوت "شهود" وهو ينبهه

- هاه يا "وليد"! قلت إيه؟ مافيش وقت! كان نفسي يبقى فيه وقت ومهلة أطول من كدة عشان تقدر تاخذ قرارك براحتك لكن ده قدرك...

وكعادته منذ بدأ "وليد" تلك الرحلة، لا يهديه عقله ولا ترتاح نفسه لأي خيار سوى المواجهة، وكأنها فعلاً قد صارت هوايته المفضلة، ولا يمكن أن يتخيل أي خيار سواها، حتى وإن وصفه الناس بالحمق والطيش واتباع الهوى، حتى وإن تحدى كل قوانين المنطق وظروف الواقع وثوابته، أو وكأنه يسخر في قرارة نفسه "منذ متى صنعت قوانين المنطق وظروف الواقع عظيماً أو زعيماً أو أي إنسان أثر في حياة الآخرين!"، وتلك هي المحطة الأخيرة في رحلة مواجهة خوفه وقهر شياطينه، ولا سبيل، ولا احتمال، ولا مجال لأي خيار سوى إكمال الرحلة، لذا يقول بنفسه قوية على إجهادها، وبما تبقى في نفسه من عزيمة

- أنا وانت "وعامر" عارفين كويس أوي إن ماعنديش خيار إلا المواجهة، بتسألني في إيه! توكلنا على الله، فين المنفذ ده يا عم "شهود"؟

ويربت "شهود" على كتف "وليد" ويقول بلهجة إجلال وتبجيل

- أنا عارف إنك حاسس إن انت تعبان ومجهد، قلبك وعقلك وروحك تعبانين، بس والله العظيم انت مش متخيل كم القوة والشجاعة والعزم والعزيمة المستحبة في عقلك وقلبك ونفسك، واللي انت نفسك ماتعرفهاش، واللي هاتخلي المواجهة مع "كحلة" أسهل من أسهل مواجهة خضتها في حياتك، والا أقولك... أسهل من أسهل ماتش كاراتيه لعبته في حياتك، حلو التشبيه ده يا عم!

ويضحك "شهود" مطمئناً "وليد"، فيhez "وليد" رأسه بالإيجاب ويتسم ابتسامة يفترض أنها ابتسامة مجاملة، حتى يسأله له "شهود" بلهجة تشجيعية

- توكلنا على الله؟

فيأخذ "وليد" نفساً طويلاً ثم يقول "وليد" مسلماً مستسلماً

- توكلنا على الله

فيقول "شهود" حاسماً وهو يشد "وليد" من يده

- يللا بينا!

فيمضي "وليد" بضعة خطوات ثم يتوقف فجأة وكأنه تذكر شيئاً ويقول منزعاً

- طب و"رانيا"! دي قالتلي إن قدامها أقل من ساعة، ولو نزلت من الدرس ولقتني مش موجود...

فيقاطعه "شهود" واثقاً

- بإذن فاطر الأكوان خالق البشر- والجان "رانيا" هاتنزل من الدرس تلاقيك
مستنيها، وهاتلاقي على وشك ضحكة سعادة وبشرى وطمأنينة عمرها ما شافتها
في حياتها

فيتسم "وليد" مستبشراً ثم يسأله بلهجة متوسلة

- توعدي يا "شهود"؟

فيرد "شهود" في الحال واثقاً قاطعاً

- طبعاً أوعدك يا "وليد"، يللا بقى!

ثم يجذبه من يده مجدداً ويسير به بسرعة أقرب للهرولة حتى يسأله "وليد"

- طب بس إحنا رايجين فين؟

فيقول "شهود" بلهجة عملية مستعجلة

- المنفذ في مكان قريب أوي من هنا يا "وليد"، وعشان كدة إحنا أوحينا للست
"خديجة" إنها تخلي "رانيا" تحاول تقنعك إنها تاخذك معاها الدرس النهاردة في
"بورفؤاد"، ولو ماكانتش "رانيا" قدرت تقنعك كنا هانلاقي ١٠٠ وسيلة نخليك
تروح بيها "بورفؤاد"

فيقول "وليد" مندهشاً

- إنتوا الي... طب ليه "عامر" ماقاليش ليلة إمبراح على الموضوع ده؟! ده أنا
قعدت معاه أكثر من ٥ ساعات!

- لو كان "عامر" قالك إمبراح بالليل إنك هاتقابل "كحلة" بعد أقل من ٢٤
ساعة، كنت هاتسهر طول الليل قلقان ومتوتر وخايف وماكانش هايغمضلك
جفن، وإحنا كنا عاوزينك تنام كويس أوي عشان أعصابك تكون قوية وعقلك
يكون حاضر وتكون قوي ومتماسك بأكبر قدر ممكن

فيهز "وليد" رأسه وقد أفنعه المبرر ويسير مع "شهود" مستسلماً، ومع كل خطوة
يخطوها تشحذ همته ويشتعل عزمه وتنهض عزيمته، حتى يمد الخطى ويسرّعها
حتى يكاد يسبق "شهود"، الذي يتسم ابتسامة تشجيع مستبشرة، ويهز رأسه
لـ "وليد" مشجعاً بأن يسرع الخطى أكثر وأكثر، ويسرع الخطى سوياً حتى يغدو
سيرهما هرولة فركض فعدو، حتى يتوقف "شهود" فجأة أمام بيت قديم، عمارة
قزمة من ٣ طوابق، عمرها فيما يبدو لمن يراها لأول وهلة يتجاوز السبعين عاماً،
لكن صاحبها "رودولفو بينوتشي" والذي يوحى اسمه بأنه إيطالي الجنسية، أثر قتل
الفضول في نفس من يرى عمارته الأنيقة، وكتب اسمه متفاخراً على واجهتها على
لوح رخامي أبيض كهرماني، شأن معظم الخراجات أصحاب العمارات في مطلع
القرن العشرين، والذين كانوا يخلدون أسماءهم وتاريخ إنشاء العمارة على لوح
غالباً ما يكون رخامياً، وغالباً ما يوضع في واجهة العمارة، وكتب الحاجة

"رودولفو" تحت اسمه تاريخ بناء العمارة وهو ١٩٣٢، أي أن هذه العمارة عمرها تقريباً ٦٠ عام، على أية حال! توقف "وليد" وسأل "شهود" متعجباً

- إيه ده! إحنا وصلنا؟ المنفذ هنا؟

فيهز "شهود" واثقاً رأسه بالإيجاب، فيسأله "وليد" مستنكراً بعدما يلقي نظرة فاحصة للعمارة

- فين هنا؟ جوة العمارة؟ في شقة من شققها؟

فيرفع "شهود" كتفيه في إيلاء الجهل والحيرة الشهيرة، فيسأله "وليد" منزعجاً

- إيه ده! يعني إيه ماتعرفش!

فيقول "شهود" عديم الحيلة

- مين قال إن أنا ماعرفش!

فيقول "وليد" منفعلاً بقلقه وحيرته

- أmaal إيه! مش وقت لعب بالكلام وألغاز خالص يا "شهود"، أنا أعصابي

خلصانة خلقة، وانت عارف كدة كويس

فيقول "شهود" متعاطفاً صادقاً

- والله عارف، وقلبي معاك لأقصى درجة، بس فعلاً أنا مأمور من "عامر" إني أوصلك لحد بوابة العمارة فقط، وبعدها أسبيك تدخلها لوحدك، وحتى لو كان "عامر" نفسه هنا، برضة كان هاي عمل زيي بالضبط، كان هايوصلك لحد بوابة العمارة ويقف، من الآخر، آخربنا معاك يا "وليد" بوابة العمارة، الي وراها مانقدرش نخطيه ولا نعتبه حتى

يسأله "وليد" متحفزاً

- ليه ماتقدروش تخطوه؟ مابتكتشفوش على عفاريت! لما انتوا خايفين تخطوا بوابة العمارة، المفروض أنا أعمل إيه؟

فيقول "شهود" هادئاً بصبر جميل

- أولاً إحنا مش خايفين وانت عارف كدة كويس، بس لو خطينا بوابة العمارة دي هاتحصل كوارث!

فيصمت "وليد" وقد ازداد حيرة وتشوشاً، ثم يسأله مرتبكاً

- ياه! لدرجة كوارث!

فيجيبه "شهود" في الحال جزعاً

- أيوة كوارث! أمال إحنا مستنيينك بقالنا يبجي ١٠٠ سنة ليه! انت الوحيد يا "وليد" الي تقدر تعدي، وانت الوحيد الي تقدر تكمل، وانت الوحيد الي تقدر

تواجهه، وانت الوحيد الي تقدر تطفي النار، عمرك سمعت عن حد ييطفي النار بالنار!

فيصمت "وليد" يتفكر فيما سمع، ثم يسأل وكأنه متحرج من السؤال

- قصدك يعني عشان أنا مش من جنسكم الي هو مفروض مخلوق من نار، فأنا الوحيد الي أقدر أواجه واحدة زي "كحلة" لأن أنا بشر ومفروض إن أنا مخلوق من تراب؟

فيقول "شهود" متهللاً

- الله ينور عليك، ومش كدة بس يا "وليد"، هكرر لك نفس الكلام الي أنا واثق إن "عامر" قاهولك، يا "وليد" إحنا عارفين كويس جداً ومتابعينك من وانت طفل بتلعب على الشط، إن انت شاب مابتحركوش شهوته، شفنا بيعجي مليون راجل وشاب في سنك وأصغر وأكبر، كلهم يا إما شهوانيين، يا إما بيدعوا العفة وهما جواهرهم شياطين، انت الوحيد الي لاقيناك فعلاً قادر تتحكم في شهوتك وهوى نفسك وتسيطر عليهم، وده الي خلق في نفسك قوة ومناعة جبارة انت مش حاسس بيها، جواك زي ماكينة إلهية ربنا حاباك بيها إنك بتيجي عند الحرام وتفقد أي شهوة تجاهه أو ميل ليه، وده الي خلى واحدة زي "كحلة" تبقى هاتموت عليك، لأن انت بالنسبة لها حاجة كدة زي الفاكهة المحرمة، الي عارفة ومتأكدة إنها عمرها ما هاتقدر توصلها بأساليبها وبكيدها وبإغوائها الي جاب آلاف ربا ملايين

الرجال والشباب قبلك، باختصار... انت يا "وليد" الصعيد الطيب زي ما ربنا وصفه في القرآن الي هانقدر نردم بيه طاقة جهنم الي اسمها "كحلة"... للأبد

فيهز "وليد" رأسه مسلماً مستسلاً، ثم يتسم وقد شحذ كلام "شهود" همته وزكى عزيمته، وبدون كلمة واحدة أخرى يمضي تجاه بوابة العمارة، بخطى بطيئة لكن واثقة، غير مترددة ولا جبانة، وما هي إلا بضعة خطوات حتى عبر الممر المؤدي لبوابة العمارة ووصل لها، ونظر إلى "شهود" نظرة أخيرة، جامدة لا وصف لها، وكأنه يطلب مزيداً من المدد النفسي والدعم المعنوي، فهزله "شهود" رأسه أن امض في سبيلك، وكل ملاحه ثقة ويقين صادق في أن "وليد" سيجتاز هذا الاختبار كأسهل من أسهل اختبار اجتازه في حياته، وما أن التفت "وليد" ليقف في مواجهة البوابة، بلا أدنى تفكير ولا تردد فتحتها، ثم توقف للحظات... ثم دخل

أغلق "وليد" البوابة من ورائه ليرى أمامه ممراً آخر طويلاً في آخره باب، ولا شيء وراء البوابة سوى هذا، ممر وآخره باب، على عكس ما توقع "وليد" بالطبع، فقد ظن أن يكون وراء البوابة ما يفترض أن يوجد وراء أي بوابة لعمارة، سلام تؤدي إلى طوابق والطوابق بها شقق، لكن ممراً طويلاً أصفر الجدران فلا تميز هل هي مطلية بهذا اللون أم أنها اصفرت بفعل الزمن، ومتدل من أوسطه مصباح واحد

"لمبة" بالكاد يضيئه، ويتهي باب خشبي لا ملامح له ولا مطلي بأي لون، فقط لون الخشب، لم يرد "وليد" أن يضيع أي ثانية أخرى أولاً لأنه ملول بطبعه، وثانياً لإيمانه الشديد بالمثل القائل "وقوع البلا ولا انتظاره"، وثالثاً وهذا الأهم أنه لم يشعر بمثقال ذرة من خوف ولا رهبة ولا وجل في نفسه في تلك اللحظة، وكأنه خلق لها، بل شعر بشجاعة الدنيا تملأ قلبه، وثبات وحنكة وحكمة الأرض تحتاح عقله، إذن لم الانتظار! فلتقض "كحلة" أو "سوار" أو أياً كان اسمها ما هي قاضية، إنا نقضي هذه الحياة الدنيا، وسار بثبات وسرعة تجاه الباب فقطع الممر في دقيقة وبضع ثوان على الأكثر حتى وصل للباب، الذي ما أن وصل إليه "وليد" ضحك بشدة، ربما من منطلق المثل الشهير القائل "هم يضحك"، إلا أنه سبب ضحكه لم يكن لأنه مهموم أو حزين أو خائف بالمرة، بالعكس تماماً، كان مقبلاً متفائلاً متشوقاً للغاية لرؤية ما يجبهه هذا الباب، وفعلاً فتحه وعلى وجهه ابتسامة قوة وثقة وعزة، وكأنها رسمت على وجهه رغماً عنه لتلقي الرعب في قلوب أعدائه، ليجد الحاشية كلها بانتظاره! أجل، الحاشية كلها، ميدان كبير فيه بشر منتشر - لا آخر لهم على مد البصر ومداه، وينظرون إليه معاً وكأنهم كانوا كلهم ينتظرونه ويتوقعون مجيئه، نساء يحملن أطفالاً رضع، وأطفال وصبية وشباب ورجال وعجائز من الجنسين حتى، مجتمع كامل، يقفون في فريقين، أو بالأحرى فريقين كل فرق كالطود العظيم، وكأن نبي الله "موسى" قد بعث وشق البحر أخرى، لكن هذه المرة شق بحر البشر هذا، ووقف "وليد" للحظات يحاول استيعاب المشهد، بالطبع وقف

مترقباً حذراً متأهباً لأي حركة فجائية، أو بالأحرى اعتداء فجائي، لكن مرت ثوان استحوالت دقائق ولم يحدث شيء، أي شيء! هو يخلق في الناس وهم يخلقون فيه، إلى أن رأى لا بد من التحرك، حيث لا جدوى بالمرّة من هذه الوقفة العقيمة، وخاصة أنها تعيد القلق والريبة والتوجس إلى نفسه كلما مر الوقت، وبالطبع كما تتصورون لم يكن هناك أي مجال للتحرك إلا إلى أين؟ فتح الله عليكم، إلا عبر الممر البشري الذي ضرب بين الفريقين الهائلين من البشر المحملين بتحد وغباء، وكما تتصورون أيضاً كان المرور عبر هذا الممر البشري أصعب ألف مرة من عبور الممر الأول الذي أدى به إلى هذا المكان، وبالطبع أكثر إرهاباً وإخافة، وخاصة مع هذا الأسطول البشري من المحققين الحذرين المراقبين المترقبين، لذا خطا "وليد" أول خطوة وقلبه يتقاذف بين ضلوعه من الحذر والترقب، لكن لمفاجأته لو كان قد خطا في ممر حجري ربما لأتى بردة فعل أكثر من هؤلاء الأصنام في أجساد بشر، فزم "وليد" شفثته متعجباً مندهشاً، ثم خطا خطوة أخرى وهم ينظرون إليه كالبلهاء، لا يحركون ساكناً ولا ينطقون ساكتاً، وخطا ثم خطا ثم خطا، وهم كالجماد أو ربما أجمد لا يفعلون أي شيء إلا اتباعه بأنظارهم، أو كالبوم في جنح الليل على أغصانها تمارس هوايتها في الحملقة بأعينها الجامدة الواسعة، وهو يخطو ويخطو ومع كل خطوة يستعيد ثقته وشجاعته وثباته، حتى لمفاجأته وعجبه مجدداً وصل إلى نهاية الممر البشري، الذي ينفتح بنهايته على ميدان آخر، لكن هذا الميدان أبعد ما يكون ومختلف كل الاختلاف عن الميدان الأول، فها هي "كحلة" بعينها وبلا أي

مقدمات ولا تشويق تتوسط الميدان، وتتكىء على مقعد دائري واسع القطر ولا ظهر له والوسائد على حوافه، منجد بالحرير ومطرز بعناية بأشياء تلمع لم يميزها "وليد" أهى من الذهب أو الفضة أو الألماس، ولم يأبه لتمييزها، لا تميزه فراشاً أو مقعداً وثيراً أو ربها حتى عرشاً، أو ربها هو يفي بكل تلك الأغراض، لكن ما ميزه ولا حظه "وليد" وما يكن ليخطئه أن "كحلة" كانت تتكىء على كوعها الأيسر على ذلك المقعد العجيب، بها يعني أن ظهرها كان في مقابله، أو بمعنى أدق أنه لم يكن يرى منها سوى ظهرها العاري معظمه، ظهرها العاري الغض المرمرى النضر- الشاهق بياضه، من أسفل شعر أصهب ناري منسدل ينسكب على كتفها الأيسر- بعشوائية بدبعة، والثوب الأبيض اللامع الذي ترتديه يعانق جسدها بروعة من أسفل ظهرها العاري حتى كعبها اللؤلؤي، ليجسد ويحسم ويختفي بكل محاسنه، حتى الشق الخلفي الذي يتخلله وبالكاد يخطىء مؤخرتها ليكشف عن ساقين سمرائتين مشدودتين مثاليتين، وإذ يرى "وليد" كل هذا وكأي شخص في موقفه، يستحيل أن تثار له أي ثائرة، أو تستدعى له أي غيرزة في كل هذا الزخم، وفكر أن يهم بالكلام، لكن شيئاً ما أوقفه، ربما استشعر أن تلك لحظة إجابة لا سؤال، لذا وقف ثابتاً جامداً كالأصنام المحيطين به في أجساد بشرية، ربما كانت "كحلة" تختبر ثباته أو صبره في النهاية، وبعد مرور بضع دقائق غريبات الأطوار طويلات بالانتظار، أخيراً نطقت "كحلة" بصوت أنوثة مغو تقليدي لا يخلو من رقة أصيلة

- أخيراً جئت!

فيرتبك "وليد" أو بالأحرى "يتخضض" لأول وهلة إذ يسمع صوتها فجأة يهزم هذا السكون المخيف، لكن سرعان ما يستجمع نفسه ويهم بالإجابة ليجد صوته متحشراً ربما لقلة الكلام من فترة طويلة، أو ربما لرهبة الموقف، ويجب بأول ما يخطر على قلبه، وكأنه يدرك يقيناً أن قلبه لا عقله هو من يجب أن يحركه ويوجهه في هذا اللقاء، يقول جريئاً مستقوياً

- أجل جئت، جئت لأخبرك... مهلاً... أنت تتحدثين الفرنسية... وأنا أجيئك بها! لكن... كيف؟!

فتضحك بقوة، وتقول ساخرة

- ألا تعلم أن الفرنسية هي اللغة الرسمية للعشق والعشاق يا عزيزي "وليد"!

ولا يزال "وليد" مرتبكاً إذ يسألها مفتعلاً القوة والتماسك

- لكن كيف أتحدث بها بهذه الطلاقة؟ أتحدثها وكأنني ولدت في "ليون" أو "نيس"!

فتضحك "كحلة" أخرى وتقول لا تزال ساخرة

- وهذه إحدى مميزات دخول عالم العفاريات والأشباح يا عزيزي، يمنحك قدرات خارقة لم تكن لتحلم بها من قبل!

فيقول "وليد" بلهجة شبه متوسلة

- أرجوك أجيبيني بجدية!

فتجيبه وقد تخلت عن لهجتها الساخرة

- ألم تكن تفهم أحاديث "سوار" و"فيليب" جيداً وهي كلها بالفرنسية، ما الجديد إذن؟

- كنت أفهمها، لا أتحدثها!

- وما الفارق؟ الكلام هو صوت السماع

- ولم تتحدثينيها أنت ويمكنك الحديث بالعربية؟

فتصمت قليلاً ثم تجيب بلهجة متهكمة مليئة بالمرارة

- ألم يخبرك "عامر" أنني كنت أغار من "سوار" وأحاول تقليدها في كل شيء؟
حتى أنني سرقت اسمها وهويتها لأدنس اسمها بعد مماتها، وها أنا الآن أكمل حلقة
غيرتي العمياء منها وأحدثك بالفرنسية كما كانت تفعل!

فيقول "وليد" بصبر نافذ

- فرنسية أبو نرويجية أو حتى سواحيلية، لا يهم! لم ألححت كل هذا الإلحاح
وفعلت كل تلك الألاعيب لتستدرجيني إلى هنا؟ ماذا تريدان؟

فتنتصب "كحلة" من وضع الاتكاء إلى وضع الجلوس، فينسب هذا الغدير
الأصهب ويجري بين أخايد ظهرها الأملس المشدود، ويختال هذا الخصر-الفخور

المتسق على ردها كما ساعة الزمن، وتلفت له بوجهها وظهرها لا يزال في مقابلها في حركة "ريتا هيوارث" الإغوائية الشهيرة، وتقول له ساحرة رقيقة

- ماذا عساي أريد! أريدك يا "وليد"، أريد حبك

وإذ يرى "وليد" وجه "كحلة" الأصلي لأول مرة، يسكر بروعته ومثاليته، لكنه سرعان ما يجيب متظاهراً بالتماسك والقوة

- وهل يمكن للحب أن ينبت في مثل تلك التربة السام!

فتقوم من مجلسها وتلفت ببطء كلياً إليه، لتقف في مواجهته، سمراء ممشوقة شديدة الروعة، ثوبها من الأمام معتدل الغواية، يكشف عن بعض من بهاء صدرها، وعن عنق طويل ممتد كما سيمفونية خيالية ملحمية، والوجنتين أو بالأحرى الجنتين البارزتين، والعينين الغائرتين ككهوف الأتقياء، برموش كالخراب، والأنف الفينوسي، والشفنتين الفاحشتين، ينسقاها ما يسترو شديد البراعة، لم نعلم كم هو بارع حتى أرانا بعض ما غيب عنا، وقفت قبالتة وقالت عذبة

- إن أحببت حقاً يا "وليد" وعرفت أن حبيبك ما كان ليتبته إلى حبك بأي حال، ستضطر لأن تنبهه ولو بمطرقة ثقيلة على رأسه توقظ وعيه وتنشط أحاسيسه

فيقول "وليد" هازئاً

- مطرقة ثقيلة! لطالما كنت متأكداً أن ميولك دموية، حتى في الحب!

فتقول مدافعة

- ألا تبذلون الدم في سبيل الأرض والعرض والمال، لم لا يبذله العشاق في سبيل
حبهم!

فيقول متعالياً

- هذا إن كنت عاشقاً، أنت العاشقة، أنت التي تحارين وحدك في ساحة معركة
فارغة، لا عدو فيها إلا أطماعك وشهواتك، ولا سلاح إلا مكرك وكيدك وإيذاؤك
للجميع، ولا منتصر فيها في النهاية بأية حال

فتقول متذلة وهي تلتهمه بعينين عاشقتين

- لو أسرتك في حربي وعشت في بلاط هواي وجنة عشقي، لما برحتها ولو حررك
ألف جيش

فيقول محتدماً محتدماً

- لو أسرتني لأنهيته حياتي بيدي كما مرتزقة "الرونين" المارقون، وللقيت ربي كافراً
ضالاً، ولكانت الأبدية في أروقة الجحيم أحب إلي من أن أنعم في جناتك ولو
لساعة، وهذا ما خططت له بالضبط قبل أن آتي إلى هنا بكامل إرادتي

فتسأله جزعة منزعة

- إلام خططت؟ أن تنهي حياتك إن أسرتك؟

فيقول متحدياً

- بالضبط، لن تنعمي بي ولا بحبي، لا رغباً ولا قسراً، لا رعداً ولا قهراً، ليس وأنا حي على أي حال، إلا إن كنت بالطبع ممن يشتهون جثامين الموتى، ولن أتعجب إن كان هذا من ضمن أساليبك!

- لم تتعمد إفساد المشاعر الجميلة التي أكنها لك؟

فيضحك "وليد" ضحكة سخرية مرة ثم يقول

- أي مشاعر جميلة يا عزيزتي "كحلة"! أن توقظني ألف ليلة وليلة بكوابيس أبشع وأفظع من سكرات الموت؟ أن تظهر لي في هيئة الغيلان والجنيات الخبائث والمسوخ البشعة؟ أن ترهبيني وتهديني إن لم أكن لك فساغذب في سواء الجحيم، أهذا هو الجمال الذي تغرينني به؟ أهذا هو الجمال في عينيك؟ وأي مشاعر جميلة تلك التي تحدثنني عنها! أراهن بخروجي من فوهة الجحيم هذه أن ما تعنيه بالمشاعر الجميلة هو مضاجعتي فقط، ثم مضاجعتي أخرى، ثم مضاجعتي ألف مرة، حتى يمل شبقك من شهوتي، فتلقيني في نواصي الطرقات لا أصلح لفالح ولا مالح، أو كمثل هؤلاء الموتى في أجساد أصنام الذين يحيطونني من كل جانب، أراهن بعمرى أخرى أنك عرضت عليهم مثل ذلك العرض البائس و"المشاعر الجميلة"، وأراهن أن منهم من أكثر فحولة ورجولة مني مئات المرات، لكنك حلبت شهواتهم كالأبقار السمان، حتى صاروا عجافاً أمواتاً غير أحياء، كوني جريئة

نبيلة ولو لمرة وردي على سؤالي بصدق، أليس ذلك هو الحال؟ أليس ذلك هو شر
المثوى وبئس المآل؟

فتصمت "كحلة" للحظات وقد أصاب الكلام وتره المعني في نفسها، ثم تقول بما
بقي لها من كبرياء هزيل وكيد ضعيف

- إن كنت لتأتي شهوتك مع امرأة مثلي، فهذا هو أبلغ أمانيك، كما كان أبلغ أمانني
من قبلك، فأنا كالبحر، لا تعرفني حتى تخوضني، شكلي جميل جذاب من الخارج،
وفي باطني اللؤلؤ والمرجان وخيرات وحوريات حسان، أي خير ونعمة ونعيم تريد
أفضل من ذلك!

فيضحك "وليد" ضحكة ساخرة أخرى، ثم يقول وقد تعززت ثقته واستقوى
أداؤه

- لا عجب أن تشبهي نفسك بالبحر، فهو يتلع من البشر- أكثر ما يفضي- من
الأسماك، هلاكه محتوم ومن يتحدى أمواجه مهزوم مهزوم، ومجدداً... كيف
تساوميني بالشهوة وأنت أول العالمين أن الشهوة عمرها مهما طال دقائق قصار! أنا
واثق أنني إن مضاجعتك ربما تفوق متعتها ونشوتها مضاجعة نساء العالمين، لكن
وماذا بعد ذلك! ماذا بعد أن تزول حلاوة العلكة من فمي، ولا يبقى لي إلا قطعة
مطاط ألوكها، فلا أشبع ولا أقنع، أنت تذكريني بالضبط بعامود العلك الذي كنا
نشتره صغاراً، فيه حوالي دزينة علكات - دسته قطع لبنان - نأكل أول علكة

فنستهلك حلاوتها، فندس في فمنا الأخرى حتى نمص حلاوتها هي الأخرى، وهكذا وهكذا حتى نفاجأ أننا استهلكنا الـ ١٢ قطعة علك، وضاعت كل حلاوتها، ولم يبق في فمنا إلا قطعة علك كبيرة مطاطية مقززة، نلوكها لبضع دقائق ثم نملها ونبصقها متقززين، ونبحث عن حلوى أخرى تترك في أفواهنا ونفوسنا أثراً وحلاوة ونفعاً وهذا الأهم أفضل من حلاوة العلك الزائلة المفسدة، لا عجب أن البقال كان يدلل على العلك لنشتره منه ولو بثمن بخس!

فتصمت "كحلة" وتهز رأسها في حسرة، لكن وكأنها كانت تتوقع هذه النتيجة مسبقاً، ثم تقول

- كنت واثقة أن هذا سيكون موقفك، وأنت كذلك كنت واثقاً أن هذا سيكون موقفك، لم جئتني إذن؟

فيقول "وليد" في الحال بقوة وشجاعة

- جئتك لأمرين

- عجل بهما، فلا وقت لدي، إن كنت تتأبى على الشهوة وتترفع عنها فهناك الملايين من طلابها

- لا عجب! هذا متوقع، فمن السفهاء من يؤثرون أن يهدروا مصروفهم ويفسدوا أسنانهم... معذرة! يؤثرون أن يهدروا أموالهم ويفتكوا بصحتهم وحياتهم كلها على سلعتك الملوثة، عن أن ينفقوها ويبدلوها في أي شيء له قيمة و...

فتقاطعه محتدة منفعة، ليتغير وجهها في الحال إلى القبح من الجمال، وإلى البشاعة من الدلال

- قلت لك عجل! فقد نلت كفايتي من ثرثرتك وعظاتك، تلك فرصتك الأخيرة، وإلا لن تغادر هذه الجزيرة إلى يوم يبعثون، أو دعني أقتبس من كلماتك البليغة... لن تغادرها حياً على أية حال

فيقول "وليد" قوياً ثابتاً لم يهزه تهديدها ولم يحفله ولا يرهبه تقبح شكلها

- أولاً، أريد عهداً منك أن تكفي عن الناس... كل الناس، عن استدراجهم، عن إغوائهم، عن استغلال ضعف فطرتهم وسوء زلتهم وذلم لشهوتهم، أن تكفي عن إيذاهم، أن تكفي عن اختطافهم، رجالهم وأبنائهم

فتضحك ضحكة متهمكة ثم تقول هازئة

- وثانياً؟

- ثانياً، أريدك أن تردي إلى من اختطفتهم قسراً وسجنتهم قهراً، وعلى رأسهم أبناء المسكينة "مايسة منير" التي فقدت عقلها بعد أن اختطفتم أبناءها الثلاثة

فتضحك "كحلة" بقوة ثم تأخذ نفساً طويلاً وكأنها تهم بإجابة طويلة

- كم أنت حالم يا عزيزي "وليد"! ربما هذا أكثر ما أحببت فيك، فأنت مختلف عن كل من استدرجتهم وأغويتهم، أنت عفيف النظرة، طاهر بالفطرة، أتظن حقاً أن

كل الموجودين هنا حولي ممن ترى باقين هنا جبراً وقسراً كما تقول، بالعكس تماماً! من أول يوم استدرجتهم إلى هنا كما تقول خيرتهم مثلك، أن يعيشوا في نيعمي ويغترفوا من شهوتي، أو يرحلوا في سبيلهم، كل من أتى هنا خيرته، طفلاً رجلاً امرأة خيرته، أن يعيشوا هنا معي حيث لا حساب ولا عقاب ولا حتى عتاب، أو يرجعوا إلى عالمهم، حيث الأصول... تلك الكلمة البغيضة الجامدة الغبية، لو أعرف من ابتدعها لاعتصرته بين منفرجي حتى تجحظ أعضاؤه من فمه، وحيث العادات والتقاليد، وحيث الأعراف والكلام، والعيب والحرام، والمفروض والتهام، أخاف أن أقسم لك فلا تصدقني، لكن وحق من فطرتي وفطرك كلهم أبوا إلا كفورا، وآثروا أن يعيشوا في عالمي المنفي النائي العشوائي هذا، عن أن يعودوا إلى عالمهم البائس الجامد المتحجر

فيقاطعها "وليد" قائلاً بلهجة الاتهام

- بالطبع! {بل يريد الإنسان ليفجر أمامه}، أي إنسان خلق بالفطرة ضعيف وخطاء، وسيؤثر الحرام لو أوحى له زيفاً أنه حلال

فتقول هي مدافعة وكأنه طعن في عرضها

- أي حرام تعني؟ كل الموجودين هنا متزوجون على سنة... أعني أن كل إلا ممن أبوا!

فيقول "وليد" ساخراً

- يا للنفاق! ولم تلعثمت وتدراكت وتراجعت عما كنت ستقولين؟ سُنّة من التي تزوجوا عليها؟ بالتأكيد ليست أي سُنّة سماوية، ثم كيف الجمع المطلق، ثم بعده مباشرة الاستثناء! كيف كلهم متزوجون؟ وكيف إلا من أبوا!

فتقول لمفاجأته بلهجة تبدو صادقة

- أقسم لك إنني خيرتهم، من يريد الزواج فليتزوج، لكنني لم أجبرهم عليه كالإطار الوحيد الشرعي المقبول للعلاقة كما تفعل مجتمعاتكم وأديانكم، ولم أضع أي شروط له، ومن أبى منهم الزواج... فقد أبى وعليه وزره

فيضحك "وليد" بشدة ثم يقول هازئاً

- أعجب وألطف ما في الأمر أنك تتحدثين بصدق وتجرد وكأن ما تقولينه هو عين الصواب

- بالفعل أنا صادقة ولا غرض لي، أنا في أرضي وعلى عرشي لا أخاف شيئاً ولا أحداً

- وهذا بالضبط ما أعنيه، أنت تعتبرين ما تقولينه هو عين الصواب، الزواج بلا شروط هو عين الصواب، وتباعاً فالخيانة فيه ليست إثماً ولا جريمة ولا حتى عيباً، أو ربما ما نسمع عنه حالياً من تبادل الأزواج، ربما تعدين هذا انفتاحاً وحادثة، أليس كذلك؟ أرجوك أجيبيني بالصدق الذي عهدته فيك منذ بداية لقائنا

فتقول واثقة

- بالطبع أعتبر تبادل الأزواج فكراً مجدداً وسيلاً لتجديد ماء العلاقة الراكدة، أربعة أزواج أو أكثر يتشاركون فراشاً واحداً ويستمتعون ببعضهم البعض، رجالاً ونساءً، إنها فكرة "أوريجينال" كما يقول الفرنسيون، وقد مارسته أكثر من مرة وأعجبني كثيراً، وحتى العلاقة الثلاثية، رجل وامرأتين، أو العكس، أعجبني كثيراً أيضاً، ومهما حاورتك وجادلته لن تشعر بمتعتها حتى تلقي بنفسك في بحر شهوتها، وتبحر فيه وتفقد سيطرتك على جسدك، فتستخدم وتستخدم، يا للروعة!

فيضحك "وليد" بشدة بالطبع ضحكة سخرية، ثم يقول وهو يغالب ضحكاته المرة - لا جدوى من هذا الحوار مهما طال، هل تعديني أنك لن تستدرجي أو تخطفني أحداً بعد اليوم؟

فتقول بلهجة إصرار

- لم أنت مصر ومصمم أنني أختطفهم، أقسم لك إنني لا أبقى أحداً هنا على غير رغبته وكامل إرادته، ربما أستدرجهم إلى هنا، لكنني أخيرهم في البقاء كما أخبرتك، وحتى أخيرهم بين الحلال والحرام، وأقسم لك حتى إنه يوجد أناساً هنا في الجزيرة لا يزالون متزوجين على سنة الله ورسوله محمد، وعلى سنن الأديان السماوية

فيقول "وليد" مكذبها

- مستحيل!

فتقول في الحال بعند وإصرار

- أحضروا لي المهندس "طارق أنور" وزوجته "إقبال الناقوري" وأبناءهم الثلاثة "دينا" و"نادر" و"أحمد"... وأحفادهم!

ويقف "وليد" مشدوهاً مصدوماً لا يجد ما يقوله، حتى يأتوا له بمن استدعتهم، رجل كهل وامرأة كهلة، وشابة جميلة يافعة تحمل طفلاً والآخر تمسكه بيدها، وشاب في نفس عمر "وليد" تقريباً، ومراهق أصغر سنًا، لكن أشكالهم بالية وملابسهم أسمال رثة، وكأنهم بعثوا من مرقدهم بعد نوم طويل لقرون كفتية الكهف، ثم تقول "كحلة" بإصرار وتحد

- أعرفك بعائلة المهندس "طارق أنور" وزوجته السيدة "إقبال الناقوري"، وأبناءهم الثلاثة "دينا" وطفليها "طارق" و"لمياء"، وهذا الشاب اليافع الوسيم "نادر" عمره ١٨ عام، وهذا المراهق المشاكس "أحمد" ١٦ عام، والذي زعموا ظلماً وزيفاً أنني اختطفتهم منذ ١٠ أعوام تقريباً، وكانت قضية الرأي العام لعام أو بضعة، لكن كما تراهم شأنهم كشأن أي من سكان الجزيرة، جلبتهم وخيرتهم بين عالمي الحر الفسيح عديم القيود، والعالم البائس الضيق المظلم الذي أتوا منه فأثروا عالمي، حتى أن السيدة "إقبال" لم تمنع أن تشاركني زوجها في أكثر من مناسبة، بل وراقها هذا كثيراً في الواقع، واعترفت أنه كان له وقع السحر على نشاط العلاقة

ونشوتها وحميميتها بينها وبين زوجها، حتى هذا الشقي "أحمد" كان يختلس النظر أحياناً من باب الغرفة، والذي كنت أتعمد تركه مفتوحاً له خصيصاً، فلا أخفيك سرّاً تشتعل نشوتي وتستعر شهوتي حينما أعلم أن أحدهم يشاهدني خلصة أثناء علاقتي، وهذا حقيقة علمية إن كنت لا تصدقني، العبرة! لآخر مرة كل من هنا موجودون باختيارهم وبكامل إدراهم، لذا لا مجال أن أعاهدك وأعدك ألا أختطف أحداً، لأنه لا أحد مختطف هنا ولا محبوس قسراً

فيهز "وليد" رأسه بالطبع في حسرة ممزوجة بالصدمة والذهول والاشمئزاز، لكن لا مجال لهذا الآن، بعدما يفرغ من هذا الموقف البائس المظلم شديد الالتباس، يمكنه أن يقضي بقية حياته متقززاً مشمئزاً، لكن الآن، عليه أن يتم وينجز ما أتى هنا لأجله، لذا يقول قوياً متماسكاً

- اعتبريني أصدقك في كل ما قلت، إلا فيما يخص الأطفال المختطفون حديثاً، فهؤلاء في حكم الشرع والقانون وعلم النفس ناقصو الإرادة والأهلية، ولا يحق لهم إبرام أي صفقة أو عقد أو حتى اتفاق، ولا يمكن أن يخبروا في أي شيء يخص أموالهم ولا مستقبلهم، لذا أطلب منك أن تردني إلي هؤلاء، وتتركهم يرحلوا معي من هنا، وإن فعلت أعدك أنا شخصياً أن أعتبرك قديسة وصاحبة رأي ورؤية، وأدافع عنك حتى أمام كل من يتهمك بالفحش وسوء الخلق، ما قولك؟

فتصمت "كحلة" للحظات وتهز رأسها وكأنها تتفكر في وجهة العرض وتتدبره، ثم تبسم فجأة وكأنها واتتها فكرة حماسية راقتها كثيراً، ثم تقول متحمسة متهللة

- اعتبرني موافقة مبدئياً... لكن بشرط!

فيسألها "وليد" حذراً

- أي شرط؟

- منذ طفولتي وأنا أعشق أفلام الحركة والمعارك، وأجلس أمامها مبهورة كالمنومة مغناطيسياً، وتباعاً بالطبع فأنا أعشق أبطالها، الرجال الوسيمون الفحول الأقوياء مفتولي العضلات، الذين عندما يواجهون الأشرار والأعداء يذيقونهم أشد أنواع الفتك والانتقام، ويوسعونهم ضرباً وركلاً ولكمات، حتى تكاد الدماء تتطاير من أركان الشاشة، تلك هي مشاهدي المفضلة التي تعجبني وتثيرني بشدة، حتى إنها تثيرني جنسياً حتى أفضي شهوتي أحياناً، هل لك بصفتك بطل عالمي في الكاراتيه كما سمعت أن تمثل مشهداً عنيفاً من تلك المشاهد؟

فيقول "وليد" مشوشاً متحيراً

- كيف أمثل لك مشهداً من تلك المشاهد العنيفة؟ أتريديني أن أدخل معركة مفتعلة مع أحد الآن وأضر به أمامك؟

فتقول متهللة فرحة كالأطفال

- بالضبط! بالضبط هذا ما أريده، ولكن إليك عرضاً مغرباً للغاية لن تستطيع أن ترفضه أبداً

فيقول "وليد" لا يزال حذراً من عروضها الشاذة تلك

- سترك يا رب! ما العرض؟

- لك بكل رجل تضربه طفل تحرره وتأخذه معك

فيصمت "وليد" وتتسع عيناه تحمساً واستبشاراً بالعرض، وفي الحال يسألها

- أتقسمين على ذلك؟

فتقول في الحال

- بالطبع أقسم على ذلك، لكن إن خسرت...

فيقاطعها حاسماً شديد البأس والتأهب

- إن خسرت سأقتل نفسي بيدي! إلي بمن تريدني أن أواجههم وأنزلهم، لكن

واحداً تلو الآخر، ليسوا كلهم معاً

فتقول متحسرة

- كم كنت أود أن أراك تضرب عشرة رجال في معركة واحدة كما أبطال الأفلام،

لكن لا بأس، واحداً تلو الآخر كما طلبت... مستعد؟

فيأخذ "وليد" وضعية القتال كما في مباريات الكاراتيه وفي عينيه نظرة نارية كفيلة بأن تحرق كل من يقف أمامه في تلك اللحظة الحاسمة، ربما تذكر كل لحظات القلق والضيق والخوف التي مرت به في الفترة الماضية، فأشعلت في قلبه وعقله سعيراً سيصلاها كل من يواجهه، ثم يهز "وليد" رأسه بأنه مستعد، فتشير "كحلة" بسبابتها لأحد الرجال الواقفين في الجمع، رجل عملاق، ربما أضخم من في الحشد، عملاق يميل جسده إلى البدانة والترهل، وكأنه لم يمارس أي رياضة في حياته، ولا حتى المشي، ثم يقف أمام "وليد" للحظات كالأبله لا يعرف ماذا يفعل أو كيف يهاجمه، حتى تصرخ فيه "كحلة" بعنف وعنفوان

- اضربه!

فيرفع يديه ويقبل على "وليد" بطيء الخطى ثقيلها، وفي أقل من ثانية يضربه "وليد" بكل قوة ورشاقة لكمة واحدة في ملتقى البطن بالصدر، أو ما نسميه "فم المعدة"، فيصرخ هذا العملاق صرخة ألم طويلة مدوية كما الخريت يصرع، ثم يخر جاثياً على ركبتيه، ثم يسقط مغشياً عليه، فينظر "وليد" إلى "كحلة" ويقول متحدياً بئساً

- واحد!

فتشير "كحلة" لعملاق آخر، لا يختلف كثيراً عن العملاق الأول، لكنه أقل منه حجماً وأكثر بلاهة وبدانة وبطئاً، ويقبل مرتبكاً مهزوزاً مهزوماً مسبقاً على "وليد" بعدما رأى ما حل بالعملاق الأول، فيطير "وليد" في الهواء برشاقة رائعة، ويهديه

ركلة مثالية في جانب وجهه الأيسر، وربما كان هذا العملاق أكثر عملية من العملاق الأول، فلم يصرخ طويلاً، ولم يخر جاثياً على ركبته، بل سقط مغشياً عليه مباشرة من وضع الوقوف، لذا نظر "وليد" ونار القتال تشتعل في نفسه وتكاد تلقي بالشرر من عينيه ويقول لـ "كحلة" وقد استفحلت ثقته

- اثنين!

ولم يكن "وليد" قد لاحظ في خضم القتال أن "كحلة" أمرت بإخراج صبية من الجمع بعدما صرع العملاق الأول، وبعدها صرع العملاق الثاني أشارت "كحلة" بيدها فأخرجت طفلاً من الجمع، أصغر عمراً من الصبية الأولى، وهذا ما جعل الحماسة وروح القتال تستعر في نفس "وليد" أكثر فأكثر، فأخذت تشير "كحلة" للرجل تلو الآخر يقبل على "وليد" ويهاجمه، وكأنها تلقي لها بالخلوى، هذا الكمة في فكه، وهذا ركلة في خصيته، وهذا سيف يد في حلقه، وهذا رفسة في صدره، والعجيب أن لم يبق رجل واحد منهم واقفاً على قدميه بعد افترسه "وليد"، كلهم تقريباً سقط مغشياً عليه، وكلما ينظر "وليد" لجمع الأطفال ويراه ويكبر ويكثر، يستعر لهيب الحماسة والعزيمة في قلبه، ويسطع نور الحق في عقله وروحه، فيشتد فتكه ويقوى فتكه، حتى فوجيء "وليد" في غمار هذه المعركة السهلة أن أشارت "كحلة" بوقف القتال ووقف إقبال الرجال عليه، فسأها مستنكراً مستغرباً

- لم أوقفت القتال؟

فقال "كحلة" مستاءة بمرارة الهزيمة

- يكفي هذا! لا تكن طماعاً، لو أطلقت عليك رجال الجزيرة لفتكت بهم كلهم،
ولرحلت بالبقية من النساء والأطفال

فينظر "وليد" لجمع الأطفال ليجدهم قد تجاوز عددهم الـ ٥٠ ربما، فيتحمس ويهم
بأن يقول في محاولة أخيرة لتحرير المزيد من الأطفال
- لو تركتني...

فتقاطعه "كحلة" ثم تقول مبتسمة ابتسامة مأكرة

- دعني أوفر عليك الجهد والعرق يا "وليد"، ما خرج هؤلاء الأطفال إلا لأنني
أمرتهم وأشرت لهم بذلك، شاهد هذا... سيعجبك كثيراً!

فتقول "كحلة" لجمع الأطفال بلهجة حانية مداعبة مدللة

- أتريدون الرحيل مع عمكم "وليد" أم البقاء مع عمّتكم "كحلة" في الجزيرة؟ من
يريد البقاء معي في الجزيرة حيث اللعب واللهو وأكل الحلوى بلا حساب، يعود إلى
الجمع من حيث أتى

ولمفاجأة "وليد" وصدمته وخيبة أمله يعود الطفل تلو الآخر إلى الجمع، ومع كل
طفل يعود إلى الجمع يتحسر "وليد" وينفطر قلبه، وتتعالى ضحكات "كحلة"

الشامته المتشفية، حتى لا يبقى من الجمع الذي حرره بقتال الرجال سوى ٣ أطفال فحسب، وتنظر إليهم "كحلة" وتقول مستهينة

- هؤلاء هم من أتيت لأجلهم يا "وليد"، أبناء "مايسة منير" الثلاثة الذين اختطفتهم مؤخراً منذ قرابة العام، "سلوى" و"تامر" و"نيرمين"، وها هي "سلوى" كبيرتهم التي أفلتت مني واستنجدت بك على شاطئ البحر حيث قابلتني لأول مرة، هؤلاء هم الثلاثة أطفال الذين لم ألحق أن أدنسهم وأزرع فيهم حب الخطيئة والشهوة، خذهم وارحل، لقد استحققت ذلك عن جدارة، وهم أيضاً استحقوه

فيقترب "وليد" من الـ ٣ أطفال وينظر إليهم ودوداً رحيماً، فيضحكون له ضحكات ملائكية رقيقة جميلة، ثم يلتفت إلى "كحلة" ويسألها متحسراً

- وماذا عن البقية؟

فتقول "كحلة" صادقة

- من اختار منهم تغليب شهوته والخضوع لها سيبقى محبوساً هنا ربها حتى مماته، ومن استطاع أن يسموا عليها ويغلبها ويقهرها، فذلك سبيله الوحيد للتححرر والخلاص، ارحلوا في أمان

فيهز "وليد" رأسه منصاعاً مستسلماً، ثم يشبك الأربعة هو والأطفال أيديهم معاً ويتوجهون إلى الباب حيث أتى، ليعبروا معاً إلى بداية عالمهم ونهاية أسرهم... نهاية خوفهم.

خرج "وليد" من الباب في آخر الممر الضيق المظلم الكئيب، فرحاً منتشياً بالنصر- النسبي الذي حققه، وقد كان طفلان من أطفال "مايسة" الثلاثة متعلقين في يديه، لكنه فوجيء لحسرتة أن لا أحد معه، فأخذ يتلفت حوله جزعاً باحثاً عنهم، لكن لأسفه لم يجد شيئاً، فقال متحسراً غضباناً

- يا بنت الملعونة يا "كحلة"! ضحكت عليا وخذت العيال برضة!

وأخذ يبحث هنا وهناك لكن بلا جدوى، وإذا نظر في ساعته فوجدها قد شارفت على الثانية، فتذكر أن "رانيا" لا بد وقد أنهت درسها الخصوصي، فهرع في الحال إلى المكان الذي انطلق منه، هرع راكضاً يطوي الأرض من تحت قدميه، إلى أن وصل، ليجد "رانيا" لم تخرج بعد من المنزل الذي دخلته أول مرة منذ قرابة الساعتين، فتنهده مرتاحاً ثم جلس على الدكة الخشبية التي كان جالساً عليها قبل بداية هذا كله، وما أن جلس، حتى عاودته أفكار الحسرة والكسرة والضيق، كيف تمكنت الشيطانة من استغفاله وتضليله والاحتيال عليه، وأخذ يهز رأسه متحسراً على هذا الحال، كمن

فقد مالا عظيماً أو ملكاً قديماً، إلا أن خرجت "رانيا" تهرع من باب المنزل مقبلة عليه، تهرع إليه وابتسامة فرح طفولية جميلة ترسم على كل ملامحها، وتقول متلهللة - الحق يا "وليد" ... الحق! لقوا عيال "مايسة منير" الثلاثة على الشط في المكان الي اتخطفوا فيه بالضبط، لسة سامعة الخبر دلوقتي في نشرة الأخبار فيقوم "وليد" من مكانه مذهولاً لتسع عيناه عن آخرهما ويقول مشدوهاً - انتي بتتكلمي جد!

فتقول وقد ازداد تهللها وفرحها

- أيوة والله العظيم، دي الدنيا مقلوبة في "بورسعيد" كلها فيتقافز "وليد" فرحاً كما يفعل عندما يفوز بإحدى مباريات الكاراتيه، ثم يقول متلعثماً بالسرور والحماسة - ماطلعتش بتضحك عليا "رانيا"، على أد ما هي مكاراة وفيها شر وغواية الدنيا، لكنها صدقت وعدھا برضة، لسة الدنيا فيها خير والله فتسأله "رانيا" متحيرة - هي مين دي؟

ثم تصمت قليلاً وكأنها تتفكر في الأمر، ثم تفتح عينها وفمها في دهشة وتقول

- لاً! مستحيل! انت قابلتها؟ طيب إمتى! ده أنا مالحقتش... قابلتها يا "وليد"،
صح... صح؟

فيهز "وليد" رأسه بالإيجاب فرحاً فخوراً، فتسأله ما بين دهشتها وفضولها
وحماستها الشديدة

- إمتى؟ وفين؟ وإزاي؟ انت الي رجعت عيال "مايسة منير"؟

ومجدداً يهز "وليد" رأسه بالإيجاب فخوراً، فتقول "رانيا" وقد استبد بها الفضول
والتشوق

- يا نهار أبيض! ده انت لازم تحكي لي حالياً... تحكي لي كل حاجة، ماتسيش سفسوفة
إلا أما تحكيهالي، كل التفاصيل، من ساعة ما سبتك لحد ما رجعتك

فيقول "وليد" طائعاً وقد راقه الطلب والطالب والمطلوب

- طبعاً هاحكيلك كل حاجة، أمال هاحكي لمين يعني! بس الأول، نروح نادي
"بورفؤاد"، أنا عازمك على الغدا، أنا ميت من الجوع

فتقول "رانيا" فرحة طربة وقد راقها العرض والعارض والمعرض أيضاً

- ميت من الجوع! يا مفعجوع ده إحنا لسة فاطرين من أقل من ساعتين!

- مش مهم! أنا حاسس إني فرحان وجعان وعاوز آكل لحد ما يغمي عليا، وكم إن لازم نحتفل بانتهاء الكابوس ده، الكابوس يا "رانيا" اللي نغص عليا حياتي وحرمني من النوم والإحساس بالأمان والطمأنينة والاستقرار لأكثر من سنة فتقول "رانيا" متعاطفة مشفقة مغرمة

- عندك حق يا حبيبي، لازم نحتفل، لازم نفرح فرحة ما حدش فرحها قبلنا، ما فيش فرحة تستحق الاحتفال أد فرحة إن الإنسان يقهر خوفه، ويقوم ويبدأ من جديد

فيقول "وليد" وهو ينظر في عينيها مغرمًا بدوره، بلهجة تبدو مازحة

- وبمناسبة إنك قلتي يا حبيبي، وكالمعتاد شكلك مدلوقة عليا!

فتضربه في كتفه كعادتها مداعبة متدللة، فيضحك بقوة ثم يمضي محبًا ممتنًا

- أحب أعرفك إن انتي كمان حبيبتني، وحبيبتني أوي كمان، وأجمل حاجة حصلتلي في الدنيا، هايقولوا علينا اتنين مراهقين وعيال ومش عارفين إحنا بنعمل إيه، مش مهم! المهم هنا ودلوقتي زي ما بيقولوا الأجانب، أوزي ما بيقول اللي أحسن من الأجانب مليون مرة {وما تدري نفس ماذا تكسب غداً}... يللا نروح نتغدى؟ وكيف لها أن ترفض! وكل هذا الغرام والوله والفرح يفضح كل ما فيها... وفيه.

بعد مرور ٥ أعوام وبضعة أشهر...

يتشرف السيد الأستاذ الدكتور "محمد علي توفيق الشجيع" بدعوة سيادتكم بحضور حفل خطوبة ابنه الأستاذ "وليد" المعيد بكلية الألسن، على الآنسة "رانيا" المصورة الصحفية بمجلة "روز اليوسف" كريمة القبطان "هشام رفعت مشالي"، وذلك في تمام الساعة التاسعة يوم الخميس الموافق ٢٧ أغسطس ١٩٩٦ في قاعة الزمردة بقرية النورس... ونتمنى لأطفالكم يوماً هنيئاً!

تمت

